دورية دولية محكمة

مجلة

الدراسات الإستراتيجية والمسكرية

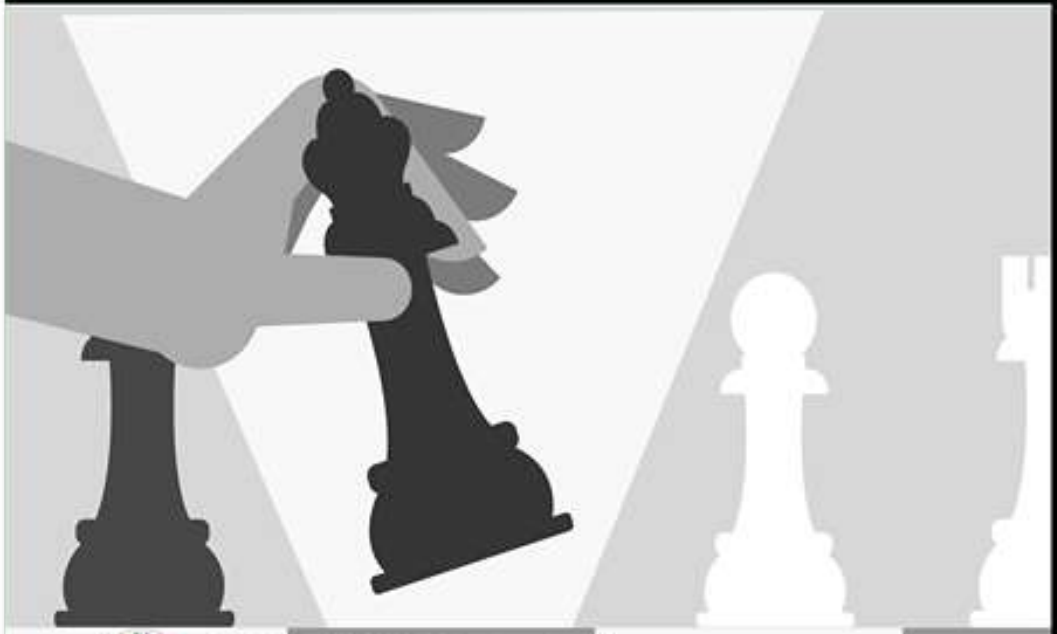

رقم التسجيل: VR.3373.6325.B

مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية

المركز الديمقراطي العربي

Journal of Strategic and military studies

International scientific periodical journal

مجلة دورية علمية دولية محكمة .. تصدر عن المركز الديمقراطي العربي .. للدراسات الإستراتيجية والعسكرية

JSMS

Germany: Berlin 10315
Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de

النـــــــــاشـــــــر

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا / برلين

Democratic Arab Center

For Strategic, Political & Economic Studies

Berlin / Germany

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved

No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher.

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين

Tel: 0049-code Germany

030-54884375

030-91499898

030-86450098

البريد الإلكتروني

book@democraticac.de

مجلة

الدراسات الإستراتيجية والعسكرية

Journal

Of Strategic and Military Studies

دورية علمية دولية محكمة

الرقم التسلسلي المعياري

Nationales ISSN-Zentrum für Deutschland

ISSN (ONLINE) 2626-**093X**

مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية مجلة دولية محكمة ثلاثية تصدر عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين.

تعنى المجلة في مجال الدراسات والبحوث والأوراق البحثية في مجالات الدراسات العسكرية والأمنية والإستراتيجية الوطنية، الإقليمية والدولية.

تصدر المجلة بشكل دوري ولها هيئة علمية دولية فاعلة تشرف على عملها وتشمل مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من عدة دول، حيث تشرف على تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة.

وتستند المجلة إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها، وإلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، كما تعتمد مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة.

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية
Journal of Strategic and Military Studies

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

رئيس التحرير: د. عبد القادر التايري

نائب رئيس: د. خالد شيات

مدير التحرير: دة. ليلى الرطيمات

ضبط وتدقيق: د. يوسف بليط ود. محمد الحسني

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. جمال ابراهيم

الطبعة الأولى

سبتمبر/ أيلول 2021 م

البريد الالكتروني للمجلة:

strategy@democraticac.de

International Standard Serial Number

ISSN (ONLINE) 2626-093X

اللجنة العلمية

رئيس اللجنة العلمية:

- أ.د. جمال ابراهيم، عميد القبول والتسجيل والامتحانات، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين

أعضاء اللجنة العلمية:

- د. خالد شيات، أستاذ العلاقات الدولية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
- دة. ليلى الرطيمات، أستاذة باحثة في العلاقات الدولية والقانون العام، كلية العلوم القانونية والسياسية، جامعة الحسن الأول، سطات -المغرب
- دة. مليكة الزخنيني، أستاذة باحثة في العلاقات الدولية، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال، المغرب.
- د. يوسف كريم مختبر الأبحاث القانونية والسياسية والاقتصادية، الكلية المتعددة التخصصات تازة- جامعة فاس. المغرب
- د. فؤاد الربع، باحث في القانون والعلاقات الدولية، مركز الشرق للدراسات والأبحاث، المغرب
- د. مصطفى سدني، مختبر: حسن الأداء في القانون الدولي والمقارن، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي بالرباط، المغرب
- د. محمد حيتومي، أستاذ باحث في علم الاجتماع، جامعة عبد المالك السعدي- تطوان، المغرب
- د. محمد أحميان، أستاذ باحث في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
- د. عبد العزيز بن لحسن، أستاذ باحث، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية، أستاذ باحث، الكلية متعددة التخصصات، تازة، جامعة فاس، المغرب.
- د. محمد عسيوي، أستاذ باحث، جامعة عبد المالك السعدي- تطوان، المغرب.
- د. علي بوخلخال، أستاذ باحث، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر.
- د. نسيم بلهول. أستاذ التعليم العالي في العلوم السياسية. جامعة البليدة 2. الجزائر.
- د. إدريس آيت الشيخ، أستاذ باحث في العلوم السياسية، معهد الدراسات الافريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. علا الحسين، أستاذ باحث في الاقتصاد، المدرسة الوطنية للعلوم التطبيقية، جامعة فاس، المغرب.
- د. باهني عبد الكبير أستاذ باحث في الجغرافية البشرية والتنمية، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.

- د. موسى المالكي، أستاذ باحث، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. عبد النور صديق، أستاذ باحث، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. عبد الحق البكوري، أستاذ باحث، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
- د. عزي هرو، أستاذ باحث، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
- د. لبيد عماد، أستاذ محاضر قسم أ، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 ، الجزائر
- د. حازم محفوظ، خبير بوحدة العلاقات الدولية بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، مصر
- د. عبد الحق الصدق، أستاذ باحث، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب
- د. بلباي إكرام، أستاذ محاضر قسم أ، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر
- د. فاطمة الزهراء عزيزي، أستاذة باحثة في الاقتصاد، معهد الدراسات الافريقية جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب
- د. خديجة بوتخيلي، أستاذة باحثة في العلاقات الدولية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية سلا، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. إدريس بلعابد، أستاذ باحث في التاريخ، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وجدة، المغرب.
- د.عبد الهادي أحمد عبد الكريم محاضر، كلية العلوم التربوية، جامعة أنجمينا – تشاد
- د. سليمان حامدون حرمة منسق شعبة التنمية المحلية كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة نواكشوط العصرية، موريتانيا
- د. مصطفى أعفير، أستاذ باحث، الكلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.
- د.يوسف بليط، أستاذ باحث، الكلية متعددة التخصصات بالناظور، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
- د. فيصل فاتح، أستاذ باحث، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.
- دة. شيرين جابر باحث أول بمركز الدراسات الاستراتيجية بمكتبة الإسكندرية، مصر.
- دة. بشرى عبد الكاظم عبيد، باحثة في الجغرافيا السياسية، وزارة التربية العراقية، العراق.
- د. عبد الرحيم فراح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، فاس، المغرب.
- د. امحمد موساوي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، فاس، المغرب.
- د. رضوان بريول، أستاذ باحث، الكلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.

- د. هشام المكي، أستاذ باحث، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.
- د. عبد السلام الأشهب، أستاذ باحث، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. ديمة عبد الله أحمد، أستاذ مساعد، الجامعة العراقية، كلية التربية للبنات، بغداد، العراق
- د. الرواص بدر الدين: دكتوراه في الجغرافيا الاستراتيجية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب
- د. ميثم منفي كاظم العميدي: أستاذ مساعد دكتور، قسم القانون، أقسام بابل، جامعه الكاظم، العراق
- د محمد عصام لعروسي، أستاذ العلاقات الدولية بالأكاديمية الدبلوماسية بأبو ظبي، مدير سابق للبحوث والدراسات بمركز ترينذز، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة
- دة. بثينة حساني، أستاذة الأدب الفرنسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب
- د. الهاشمي عقاوي، أستاذ الأدب الأنجليزي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب
- دة. امال بن صويلح أستاذة محاضرة تخصص حقوق جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر
- د. أحمد المرابطي، دكتور في القانون الدولي والعلاقات الدولية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب.

المحتويات

المقال	الصفحة
د. محمد سعد استراتيجية الردع والردع المضاد في العلاقات الأمريكية الإيرانية	9
د. بلعيبود بدرالدين الخيالة النوميدية: تسليحها وتكتيكاتها الحربية	26
دة. جعفر صبرينة عودة المقاتلين الإرهابيين الأجانب: التهديدات، والتحديات المستقبلية على الأمن الدولي	38
د. رشيد عدسي التراث العمراني بالواحات وآثار التمدين الحديث -واحة دادس نموذجا-	54
د. ذي يزن الأعوش الغزو النازي للسوفييت في عملية باربا روسا وتأثيرها على مسار الحرب العالمية الثانية: (تحليل استراتيجي لدوافع ونتائج أكبر عملية غزو في التاريخ العسكري)	78
د. محمد الطيار الاستراتيجيات والتكتيكات الحديثة للمجموعات الإرهابية في منطقة الساحل الإفريقي	103
د. محمد البوشيخي - د. هشام شعايبي إستراتيجية التأهيل الحضري بالمدن الجبلية بين اكراهات الواقع ومتطلبات الحكامة الترابية - حالة مدينة تاونات-	117
د. صديقي عبد الخالق - د. عباسي عبد الناصر دور الأنشطة الرعوية في تدهور الأراضي بالحوض النهري لواد تيفلت (الجهة الشمالية الغربية للمغرب)	136
دة. نجاة التزروتي زراعة القنب الهندي وتطور الدخل الأسري بالريف الغربي المغربي جماعة فيفي -إقليم شفشاون- نموذجا -	149

د ة. حبيبة التركاوي - د. حسن ادجوز المغرب في الاستيراتيجية الاقتصادية الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية	162
د. عبد القادر بوطالب أية مآلات ممكنة للعالم بعد جائحة كوفيد 19	175

Sommaire

Article	Page
Zerouali Sanae ; Zerouali Adnane **Activités traditionnelles en crise et espoir du développement du tourisme: cas du massif des Bni-Znassen (Maroc oriental)**	**7**
Galal Zanaty **Strategy of Relegional and Polotical Terrorism in Middle East during Historical Ages: Comparative Study between Templars and Assassins "Historical Theorization" Interdisciplinary Study**	**20**

"استراتيجية الردع والردع المضاد في العلاقات الأمريكية الإيرانية"

The Deterrence and Counter-Deterrence strategy in US-Iranian relations.[1]

محمد سعد -Mohamed Saad

مرشح للحصول على درجة الدكتوراة - معهد العلوم السياسية- كلية العلوم الاجتماعية- جامعة تشارلز- براغ.

mohamed.saad@fsv.cuni.cz

ملخص

طورت كل من الولايات المتحدة (قوى عظمى) وإيران (قوى إقليمية)، على مدار ما يزيد عن أربعة عقود - أي منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران- استراتيجيات الردع الخاصة بهما ضد بعضهما البعض. وطور الطرفان ضروريات للردع تتمثل في: أ- عقلنة تفاعلات الردع بين الطرفين بحساب تكاليف المكسب والخسارة. ب- خلق وضع راهن أفضل من وضع بديل إذا ما اندلعت مواجهة أكبر. ج- رسالة ردع واضحة يتم صياغتها إعلاميا وسياسيا، حيث يصوغ كل طرف رسالة واضحة عن قدراته وعن أهدافه التي يدافع عنها ولا يسمح بتجاوزها. د – وأخيرا، مصداقية في الردود، حتى يرسم كل طرف الخطوط الحمراء الذي تستلزم الرد إذا ما تم تجاوزها من قبل الطرف الآخر. ويحاول الطرفان رسم حدود الردع دون الرغبة في الدخول في حرب مفتوحة. ورغم تعدد المناوشات بين الطرفين التي وصلت لحد استهداف قادة كبار او قواعد عسكرية بهجمات صاروخية، إلا أننا لا يمكن أن نعتبر كل هذه العمليات انها اختلال للردع بقدر ما هي محاولة لرسم قواعد جديدة لهذا الردع، وتأكيد مصداقيته وفاعليته وعقلانية حدوده.

الكلمات المفتاحية: الردع، الردع التقليدي، إيران، الولايات المتحدة، العراق، الميليشيات الشيعية، ضروريات الردع، وكلاء إيران.

Abstract

Since the Islamic Revolution in Iran, the United States (great power) and Iran (regional power) have developed their deterrence strategies against each other in more than four decades. The two sides developed deterrence necessities, represented in A- Rationalizing the deterrence interactions between the two parties by calculating the costs-benefits analysis. B - Creating a better status quo than an alternative all-out war scenario. C- A clear message of deterrence formulated in media and political levels, whereby each party formulates a clear message about its capabilities and its objectives that defends and does not allow crossing their limits. D - Finally, credibility in the responses, so that each side draws red lines that require a response if the other party crosses them. The two sides are trying to demarcate deterrence without wanting to go to an all-out war. Despite the multiplicity of skirmishes between the two parties that have reached the point of targeting senior leaders or military bases with missile attacks, we cannot consider all these operations to be a disruption of deterrence as much as an attempt to draw new rules for this deterrence and confirm its credibility, effectiveness, and rationality of its borders.

Key Words: Deterrence, Conventional Deterrence, Iran, US, Iraq, Shiite Militias, Deterrence Necessities, Iran Proxies.

[1] This article was supported by the grant SVV - 260 595 Political Order in the Times of Changes.

مقدمة

نظرا لازدياد حدة المواجهة بين إيران والولايات المتحدة مع نهاية فترة حكم ترامب وبداية إدارة بايدن وسعي الطرفين الى اختبار مصداقية الردع لدى الطرف الأخر مع رفع تكلفة تجاوز الخطوط الحمراء لدى كل طرف، تحاول هذه الورقة تغطية فجوات لم يتم التطرق لها باستفاضة في ادبيات دراسة سياسات الردع التقليدي بين الولايات المتحدة كقوى عظمى وبين إيران كقوة إقليمية. فبينما اكتفت الأدبيات بدراسة سياسات الردع الأمريكي لإيران حال امتلاكها سلاح نووي، اغفلت الى حد كبير محددات الردع التقليدي بين الطرفين.[1] لذا فأن الهدف من هذه الورقة كشف الديناميات التي تشكل استراتيجيات الردع التقليدي بين الطرفين.

تعتمد الورقة على منهج التحليل المقارن لدراسة سلوك كل من الولايات المتحدة وإيران في بناء استراتيجيات الردع المتبادل بينهما. وتحاول من خلال استخدام مفاهيم نظرية الردع العقلاني Rational deterrence.[2] تستخدم الورقة مفهوم الردع الذي يعرفه بول هوث" التهديدات التي يقوم بها طرف ما لأقناع طرف اخر على الامتناع عن اتخاذ مسار عمل ما."[3] يقوم الردع بين الولايات المتحدة كقوى عظمى لها تواجد عسكري في الشرق الأوسط، وإيران كقوة إقليمية كبيرة تصارع الولايات المتحدة النفوذ في منطقة الشرق الأوسط على الردع التقليدي على خلاف الردع النووي الذي يقوم بين القوى العظمى بعضها وبعض. ويعرف جون ميرشايمر الردع بمعنى شامل بأنه " إقناع الخصم بعدم الشروع في إجراء معين لأن الفوائد المتصورة تفعل ذلك لا تبرر التكاليف والمخاطر المقدرة."[4] وفي هذا التعريف يظهر الردع على انه مفهوم شامل يشمل كل العوامل التي تؤدي الى ان يمتنع خصم من الهجوم في المقام الأول خوفا من عواقب لا يمكن ان يتحملها سواء على المدى البعيد او المدى القريب. او بعبارة أخرى يمكن القول ان الردع قائم على مفهوم يجعل الهجوم له تكلفة اعلى بكثير من تكلفة اللاهجوم مما يؤدي ان يفضل الخصم الا يلجأ للهجوم حفاظا على الوضع الراهن status quo. ويقوم الردع في المقام الأول على فرضية ان الطرفين لديهم قدرة على الحاق الضرر ببعضهم البعض. فعلاقة الخوف الاستراتيجي التي تقوم على ان أحد الأطراف قادر على تدمير الخصم تماما او تجريده من قدراته على الفعل تماما بدون أي اضرار او اضرار لا تذكر لا تسمى ردع، بل تسمى وفقا لتعبير توماس شيلينغ، "بالقوة الغاشمة brute force"او "القوة الخالصة pure force."[5]

---

[1] انظر :

Jacquelyn K. Davis and Robert L. Pfaltzgraff Jr. (2013). Anticipating a Nuclear Iran: Challenges for U.S. Security. New York: Columbia University Press,. P26.

Pollack, Kenneth M. (2013)Unthinkable: Iran, the Bomb, and American Strategy. New York: Simon & Schuster,. P 297.

Hicks, Kathleen H., and Melissa G. (2017). Dalton. Deterring Iran after the Nuclear Deal. Lanham, MD: Rowman & Littlefield,. P86.

[2] Mearsheimer, John J. (1983). Conventional Deterrence. Ithaca: Cornell University Press. P 23

[3] Huth, Paul K. (1999) "Deterrence and International Conflict: Empirical Findings and Theoretical Debates." Annual Review of Political Science 2, no. 1: 25–48. https://doi.org/10.1146/annurev.polisci.2.1.25. P26.

[4] Mearsheimer, John J. (1983). Conventional Deterrence. Ibid P14.

[5] انظر: Schelling, Thomas. (1976). Arms and Influence. New Haven, Conn: Yale University Press,

بناء على هذا الإطار النظري فيمكن القول ان فكرة الردع تدور حول القدرة على انتاج الخوف من الفعل في ذهن خصمك. لكن الأمور على الأرض ليست بهذا التبسيط. فحتى بعد انتاج الخوف المتبادل بين الأطراف فأن كل طرف يحاول ان يتحايل على هذا الخوف لترهيب خصمه بأقل الأضرار الممكنة. فكيف تحاول كلا من الولايات المتحدة وإيران التحايل على هذا الخوف المتبادل في صراعهما حتى لا تنزلق المواجهة إلى تصعيد يرغب الطرفان في تجنبه؟ فقد رسمت عملية استهداف مطار أربيل من قبل ميليشيا عراقية مقربة من إيران، والرد الأمريكي في البوكمال السورية تصور لمستقبل الردع والردع المضاد بين إدارة بايدن وإيران. فبعد 10 أيام فقط من استهداف مطار أربيل، قررت الولايات المتحدة الرد في منطقة البوكمال داخل الأراضي السورية على الحدود العراقية في 25 شباط/فبراير الماضي. ونظرا لتعدد العمليات العسكرية والعمليات المضادة تحاول هذه الورقة ان تختبر فاعلية الردع والردع المضاد بين إيران والولايات المتحدة، وتطرح سؤال أساسي وهو إلى أي حد استطاعت سياسة الردع الأمريكي لإيران تحييد كل مصادر تهديدات الصراع في مناطق النفوذ بين القوتين في الشرق الأوسط؟

كما تطرح الورقة أسئلة فرعية مثل: هل تنجح إيران في خلق واقع جديد من خلاله تجبر الولايات المتحدة على الانسحاب من مناطق تأثيرها في المنطقة؟ ام ان الولايات المتحدة استطاعت ان توسع من مناطق الاستهداف الإقليمية بحيث تستهدف إيران وأذرعها في نقاط بعيدة عن المناطق المتوقعة؟

وتنطلق الفرضية الأساسية للورقة من ان الردع يفقد مصداقيته بين القوى العظمى والقوى الإقليمية في حال عجز القوى العظمى عن تحييد كل مصادر التهديد التي يقوم بها الخصم. كما تقدم الورقة فرضية فرعية تقوم على فكرة ان اختبار قدرات الطرفين لبعضهما البعض قد يؤدي الى انهيار مصداقية الردع مما سيؤدي الى زيادة احتمالات قيام حرب مفتوحة حيث يعجز الطرفين على حساب التكاليف المحتملة نظرا لغياب الحسابات الضرورية لقياس تكاليف المكسب والخسارة.

أولا: ضروريات الردع

ولقيام الردع بين خصمين يجب ان تتوفر شروط محددة لازمة لتحقق الردع بين خصمين منها: العقلانية، والإبقاء على حالة وضع راهن للافعل أفضل من حالة الفعل فلا تدفع الخصم الى اللجوء للحلول اليائسة، ووجود درجة من اتصال الردع بين الخصمين لكي يتمكن كل خصم من معرفة قدرات خصمه بدرجة تسمح له بإقامة تصور مبدأي بحجم الضرر الذي سيقع عليه، وكذلك مصداقية الردع أي القدرة على تنفيذ الرد على الهجوم حتى لا يغري عدم الرد الخصم بتكرار الهجوم.

أ- العقلانية

تلعب عقلانية الأطراف وقدرتهم على حسابات الربح والخسارة دور أساسي لتحقيق الردع. وحول هذا المعنى فقد أكد كلا من ألكسندر وريتشارد سموك مفهوم الردع العقلاني على انه تلك الجهود المبذولة لأقناع الخصم أن " تكاليف

او مخاطر اجراء (عدائي) معين قد تفوق أي فائدة مرجوة منه"[1] وهو تعريف يركز على عقلانية تحليل التكلفة والفوائد Cost-Benefit Analysis. ويركز ميرشايمرعلى العقلانية في كتابه مأساة القوى العظمى The Tragedy of Great Power Politics حيث يعتبرها واحدة من خمس فرضيات أساسية لبناء نظريته حيث يقول " الافتراض الخامس هو أن القوى العظمى هي جهات فاعلة عقلانية. إنهم على دراية ببيئتهم الخارجية ويفكرون بشكل استراتيجي حول كيفية البقاء على قيد الحياة فيها. على وجه الخصوص، يعتبرون أن تفضيلات الدول الأخرى وكيف من المحتمل أن يؤثر سلوك تلك الدول الأخرى على استراتيجيتها الخاصة للبقاء. علاوة على ذلك، تهتم الدول بالعواقب طويلة المدى وكذلك الفورية لأفعالها." [2]

ويجادل البعض ان العقلانية لعبت دور كبير في انهاء أزمات بين القوى العظمى ومنعتهم من المواجهة المفتوحة التي يمكن ان تنزلق الى حرب نووية. فكانت ازمة الصواريخ الكوبية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أحد اهم امثلة الأزمة التي تم إدارتها بحسابات عقلانية منعت الطرفين من الدخول في حرب افناء نووية. وفي كل الأحوال، يستلزم الردع ان يكون لدى الطرفين درجة من العقلانية في المقام الأول تجعلهما قادرين على حساب تكلفة الهجوم وابعاده، لذا فأن الكثير من الكيانات والجماعات العقائدية والمؤدلجة يصعب ردعها لأنها تتحرك وفقا لأجندة عقائدية دوجمائية تتفوق على الحسابات العقلانية للخسارة والربح. كما ان بعض الأطراف لا يمكن ردعها لعدم قدراتها على الفهم والإدراك العقلاني التهديدات التي تواجهها إذا ما أقدمت على الفعل.[3]

ب- إبقاء وضع راهن أفضل للخصم

لا يجب ان يضع الطرف الأقوى، الطرف الأضعف في وضع يائس تماما بحيث يستوي لديه الفعل واللافعل. ففي الحرب العالمية الثانية اضطر الاتحاد السوفيتي الدخول في الحرب رغم إحساس قادته بتفوق الة الحرب الألمانية وذلك لأن الخطط العسكرية الألمانية لم تترك خيار اخر للقادة السوفييت بعد علمهم بنية المانيا الواضحة في احتلال الأراضي السوفيتية واسقاط نظامه. هناك مواقف عدة تضع أحد الأطراف في موقف يائس تجعل تكلفة فعله اما اقل من تكلفة اللافعل او حتى متساوية. وهنا تتجنب الأطراف العقلانية خلق هذا الوضع حتى لا ينهار مفهوم الردع لدى الطرف الأخر. وتاريخيا يتم التدليل بموقف مصر سنة 1973, فرغم التفوق العسكري لإسرائيل فأن تعثر مبادرات السلام السابقة لحرب أكتوبر والوضع اليائس للقيادة المصرية قد دفعها لفعل عسكري يمكنها من تحقيق انتصارات استراتيجية وسياسية إذا ما توفرت بعض القدرات للتصدي للتفوق العسكري الإسرائيلي.[4]

---

[1] Alexander L. George and Richard Smoke, (1974).Deterrence in American Foreign Policy: Theory and Practice, New York: Columbia University Press. P 11.

[2] Mearsheimer, John. (2001). The Tragedy of Great Power Politics. New York: Norton, P31.

[3] انظر: Edward Rhodes, (2000) "Conventional Deterrence," Comparative Strategy 19, no. 3: pp. 221-253, https://doi.org/10.1080/01495930008403210. P224.

[4] Mearsheimer, John J. Conventional Deterrence, Ibid, P163.

ج- اتصالات الردع (رسالة الردع)

يجب ان يكون لدى الطرفين درجة من اتاحة المعلومات ليعلم كل جانب ان لدى الخصم القدرة على الحاق أذى لا يمكن تحمله في حالة الهجوم. وهو ما يعرف باتصالات الردع أو رسالة الردع Deterrence communication والذي يقوم على فكرة اظهار القدرات العسكرية للخصم بدرجة كافية لإقناعه ان تكلفة هجومه ستكون مرتفعة للغاية وأيضا يلعب دور في التأثير النفسي في الخصم بحيث يخلق درجة من توازن الرعب على المستوى النفسي والإدراكي للخصم. وهو نموذج للردع القائم بين إسرائيل وحزب الله رغم تفاوت القدرات العسكرية للطرفين لصالح إسرائيل، فأن حزب الله قد نجح في خلق اتصالات ردع مع إسرائيل كافية لخلق رعب متبادل بين الطرفين يجعلهما لا يلجأ لخيار الهجوم على الطرف الأخر كخيار اول لهما. حيث ركزت الألة الإعلامية لحزب الله والخطابات السياسية لقياداته على إبراز القدرات العسكرية المعقدة للحزب كأحد وسائل الردع المتاحة.[1]

د- مصداقية الردع

لكي يتحقق الردع يلزمه درجة من المصداقية أي ان يكون الطرفين لديهم نية حقيقية للقيام بالرد في حالة الهجوم حتى لا يتعرض الردع كله للانهيار. فقد كان عجز روسيا القيصرية عن الدفاع عن حليفاتها صربيا فيما عرف بالأزمة البوسنية عام 1909 دافع للإمبراطورية النمساوية وألمانيا لتكرار أفعال عدائية في البلقان مما أدى لاندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914.[2] في نفس الاتجاه يعرف موللر " يؤدي الردع ان الا يقوم شخص ما بفعل شيء ما نظرا لأنه يتوقع او يخشى ان يكون في حالة أسوأ اذا قام بهذا الفعل مقارنة بحالته اذا لم يقم به"[3] وهنا يستلزم الردع ليكتمل كمفهوم ان يكون لدى الطرف الذي يقع عليه الردع القدرة في المقام الأول ان يقوم بفعل هجوم على الطرف الذي يقوم بسياسات الردع. ويعد الفشل في التأكيد على مصداقية الردع من خلال تحرك عقابي ما حال تجاوز الخطوط الحمراء أحد اهم العوامل التي قد تؤدي لانهيار فكرة الردع بشكل كامل مما يشجع الخصم على القيام بالمزيد من الأفعال العدائية.

ثانيا: أنواع الردع

كما يتم تقسيم أنواع الردع من حيث التكتيك إلى ردع عقابي deterrence by punishment حيث يمكن في هذه الحالة ان يقوم المعتدي او المهاجم بتحقيق هدفه الأولي لكن يدفع ثمن ضخم أكبر من امكانياته على التحمل او أكبر من أي مكاسب يمكن ان يحققها فيما بعد. وهو نفسه الردع الذي تعتمد عليه إيران في ردعها ضد الولايات المتحدة. ويقوم هذا النوع من الردع على هذه السردية " إذا ما قام الخصم بالهجوم، فربما يحقق انتصارات اولية نظرا لفروق

[1] Sobelman, Daniel. (2017). "Learning to Deter: Deterrence Failure and Success in the Israel-Hezbollah Conflict, 2006–16." International Security 41, no. 3 151–96. https://doi.org/10.1162/isec_a_00259. P 151.

[2] Orme, John. (1987). "Deterrence Failures: A Second Look." International Security 11, no. 4 96–124. https://doi.org/10.2307/2538838. P106

[3] Mueller K P (2018) Conventional Deterrence Redux: Avoiding Great Power Conflict in the 21st Century. Strategic Studies Quarterly, Winter:76–93. P78

القوة لكن تكلفة هذا الهجوم سيفوق بمراحل أي مكاسب يمكن ان تتحقق"[1] وهناك نوع اخر من الردع وهو ما يعرف بالردع بالحرمان deterrence by denial وهو يقوم على حرمان المعتدي من أي مكسب او احتلال أي أرض نظرا لتفوق المدافع على المهاجم.[2] ويقوم هذا النوع على السردية المنطقية التالية: " إذا ما قام الخصم بالهجوم، فسوف تنهزم قواته على أرض المعركة لذا فلن يحقق الهدف الذي من اجله قام بالهجوم."[3] وهو الردع الذي تتبناه الولايات المتحدة كقوة عظمى في مواجهة إيران في حال قررت إيران الهجوم المباشر على قوات أمريكية في الشرق الأوسط.

وأيضا ينقسم الردع وفقا للمساحة الجغرافية المشمولة بالحماية الى ردع مباشر Direct deterrenceحيث تلتزم الدولة بالرد على الخصم في حالة هجوم الخصم على هدف يقع داخل أراضيها او على مواطنيها او ممتلكاتها، وردع ممتد Extended deterrenceوهو التزام الدولة بالرد على أي هجوم يقوم به الخصم على حلفائها أيضا، كالتزام الولايات المتحدة ان ترد على أي هجوم نووي يقوم به الإتحاد السوفيتي ضد دولة أوربية حليفة في حلف الناتو.[4]

كما يتم تقسيم الردع وفقا للفترة الزمنية التي يتم ممارسته فيها الى ردع عام General deterrenceحيث يستمر الردع لفترة زمنية طويلة مثل الردع الذي قام بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي طوال الحرب الباردة، وردع فوري Immediate deterrenceالذي يقوم اثناء تفاقم أزمة ويهدف الى ردع الخصم من القيام بهجوم وشيك او عمل سريع اثناء تفاقم ازمة ما مثل ردع الحلفاء الغربين الاتحاد السوفيتي من احتلال برلين الغربية اثناء أزمة برلين سنة 1948.[5]

وينطبق كل ما سبق على الردع النووي او الردع التقليدي، ولكن ونظرا لتركيز هذه الورقة على الردع التقليدي القائم بين الولايات المتحدة وإيران فأنها سوف تتجنب الردع النووي وذلك لأنه خارج نطاق هذه الورقة وأيضا لكونه غير قائم بين إيران والولايات المتحدة الى وقتنا الحالي. فبرغم من الخلاف حول البرنامج النووي الإيراني بين إيران من ناحية، وجيرانها العرب وإسرائيل والغرب من ناحية أخرى، إلا انه لا يمكن الزعم ان هناك توازن رعب نووي بين إيران والغرب وذلك نظرا لعدم امتلاك إيران لأسلحة نووية وعدم قدرتها على تطوير هذه الأسلحة في وقت قريب. مفهوم الردع التقليدي ليس بمفهوم جديد حيث كتب جون ميرشايمر كتاب بنفس الاسم عام 1983 وهو يشمل كل أنواع الردع القائم على التهديد باستخدام أسلحة تقليدية دون أن ينطوي هذا التهديد على تلويح باستخدام أسلحة نووية او غير تقليدية. وقد تم توجيه الانتباه لأهمية الردع التقليدي بعد الحرب العالمية الثانية خاصة بعد الثمن الفادح الذي تم دفعه من الأطراف المتشاركة في الحرب التي اعتمدت في الأساس على الأسلحة التقليدية مما دفع المخططين الى الانتباه ان الأسلحة التقليدية يمكن ان تسبب اضرار اكثر من قدرات الدول على التحمل.[6] ويمكن الجدل انه ورغم

[1] B., O. F., & Sweijs, T. (2021). NL arms Netherlands annual review of military studies 2020: Deterrence in the 21st century - insights from theory and practice. The Hague: T.M.C. Asser Press. P51.

[2] انظر: Freedman, L. (2013). Strategy: A history. Oxford: Oxford University Press. pp. xii–xiii.

[3] Ibid p50.

[4] Danilovic, Vesna. (2002). When the Stakes Are High: Deterrence and Conflict among Major Powers. Ann Arbor: University of Michigan Press, P52

[5] Morgan, Patrick M. (1983).Deterrence: A Conceptual Analysis.. Beverly Hills, CA: Sage, P 2.

[6] انظر: Mueller, John. (1989). Retreat from Doomsday: The Obsolescence of Major War. S.L.: Basic Books,

الثمن الكبير الذي يمكن ان يدفعه الأطراف اذا ما دخلوا في حرب تقليدية الا ان الردع التقليدي لم يزل اقل قدرة في الحفاظ على حالة استقرار طويلة المدى بالمقارنة بالردع النووي, وذلك لأن الأطراف ربما تكون اكثر قدرة على تحمل تكلفة الضربات التقليدية والرد عليها بدرجة اكبر بكثير من قدراتها على تحمل الضربات النووية[1]. ورغم ان البعض يعتبر ان التلويح باستخدام عقوبات اقتصادية والضغوط الدبلوماسية لمنع الخصم من القيام بفعل معين يندرج تحت مفهوم الردع، الا ان الورقة ستقتصر على الردع القائم على استخدام القوى العسكرية سواء النظامية التي تقوم بها الدولة او غير النظامية التي تقوم بها أطراف غير حكومية. وتهدف الورقة الى اختبار مدى صمود ذلك الردع القائم بين إيران والولايات المتحدة في خلق توازن للقوى يمنع الأطراف من الدخول في مواجهات مفتوحة.

ثالثا: الصراع الإيراني الأمريكي: من الاحتواء الى الردع منخفض التكاليف

منذ قيام الثورة الإسلامية الإيرانية 1979, وكلا من الولايات المتحدة وإيران في حالة عداء ايدلوجي اخذ شكل المواجهات العنيفة منخفضة التكلفة دون الانزلاق الى مواجهة عسكرية مفتوحة. ويمكن تقسيم محاولات كل طرف للتأثير في الطرف الأخر في مراحل محددة كما يلي:

1- الاحتواء بالاستنزاف العسكري.

بداية من عام 1979, تبنت الولايات المتحدة سياسة الاحتواء تجاه الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وقد صاغ جورج كنان George Kennan هذه الإستراتيجية في بداية الحرب الباردة كمجموعة من النصائح فيما يعرف "بالبرقية الطويلة" لكيفية صياغة سياسة الولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفيتي. حيث افترض انه ونظرا للاختلافات الأيدلوجية والجيواستراتيجية، فأن كلا من الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي سيظلون أعداء. وان الولايات المتحدة لن تحاول ان تقوض النظام السوفيتي بالقوة نظرا للتكلفة المرتفعة لهذه المحاولة وبدلا من ذلك ستقوم باحتوائه بحيث لا يتوسع مشروعه في العالم وستمارس ضغوط اقتصادية وسياسية وتمنع توسعاته العسكرية قدر الإمكان بحيث يؤدي كل ذلك الى انهيار النظام من داخله.[2]

بعد الثورة الإسلامية، تصاعدت حدة العداء بين النظام الإيراني والولايات المتحدة بشكل خاص والغرب بشكل عام، وتصاعد العداء حتى وصل الى ازمة اقتحام السفارة الأمريكية واحتجاز الدبلوماسيين والموظفين الأمريكيين كرهائن سنة 1979. وأعلنت الجمهورية الإسلامية رغبتها في تصدير ثورتها والدخول في مواجهة مع الغرب وإسرائيل. لعب مبدأ تصدير الثورة الدور الأكبر في رسم سياسة إيران الخارجية منذ قيام ثورتها.[3] وتم النظر الى هذا المبدأ انه عنصر يضر بأمن واستقرار الشرق الأوسط لما يشكله من خطر على الأنظمة المحيطة كما يهدد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة.

---

[1] Edward Rhodes, (2000): "Conventional Deterrence," Comparative Strategy 19, no. 3 pp. 221-253, https://doi.org/10.1080/01495930008403210. Ibid. P222

[2] Kennan, G. (n.d.). Folder: Telegram, George Kennan to James Byrnes. Retrieved August 21, 2021, from https://www.trumanlibrary.gov/library/research-files/telegram-george-kennan-james-byrnes .

[3] Haggay Ram (1996) Exporting Iran's Islamic revolution: Steering a path between Pan-Islam and nationalism, Terrorism and Political Violence, 8:2, 7-24, DOI: 10.1080/09546559608427343 p.7.

في سنة 1979 أنشأت إيران ما يعرف ب "پاسداران" أو الحرس الثوري والذي تشكل من متطوعين ثوريين للحفاظ على الثورة ولمحاولة تصديرها أيضا ولو بوسائل عسكرية.[1] وشارك هذا الجيش في الحرب على العراق. وهنا اختارت الولايات المتحدة ان تطبق سياسة الاحتواء على إيران بحيث يتم استنزاف النظام الإيراني دون محاولة اسقاطه بشكل مباشر. قامت الولايات المتحدة بدعم جهود العراق الذي دخل في حرب مفتوحة طويلة مع إيران استمرت من 1980 الى 1988 قامت الولايات المتحدة فيها بتسليح نظام صدام حسين وشجعت شركائها الإقليميين على تمويل حربه الطويلة ضد إيران. بالتوازي مع تشجيع الجهود العسكرية، مارست الولايات المتحدة ضغوط دبلوماسية وعقوبات اقتصادية استنزفت النظام الإيراني لكنه كان قادر على تصدير ثورته عن طريق خلق تنظيمات شيعية موالية له في عدد من بلدان الشرق الأوسط. وكانت نقطة التحول الأبرز في استراتيجية النظام الإيراني لمواجهة سياسة الاحتواء الأمريكي هي ظهور حزب الله اللبناني. والذي مهد ظهوره لتشجيع إيران على تكرار التجربة في عدد من الدول وانشاء شبكة من الوكلاء الموالين لها في الشرق الأوسط.

2- الخرق الإيراني المضاد

كان ظهور حزب الله اللبناني سنة 1985 كجهة غير حكومية مسلحة تقوم بعمليات بولاء كامل لإيران دون ان تتحمل إيران تبعات عملياته بشكل مباشر، كان هذا الظهور نقطة تحول في مسار الردع الإيراني المضاد.. وهنا يمكن الجدل ان الردع قد دخل مرحلة جديدة تتحرك فيها إيران بدرجة من الحرية النسبية لتسبب توتر أمنى للولايات المتحدة وإسرائيل وأيضا لشركاء الولايات المتحدة في الخليج. فبداية من التسعينات استطاع حزب الله ان يخلق درجة من الردع المتوازن مع إسرائيل ويحقق نجاحات ملحوظة حيث استطاع ان يبني رسالة ردع واضحة باستهداف العمق الإسرائيلي فخلق مع الوقت مصداقية للردع لطرف أضعف في مواجهة طرف اقوى. ففي حين استخدم حزب الله تكتيكات حروب العصابات guerrilla warfare وأيضا استطاع ان يوجه ضربات قوية لأهداف ذات قيمة عالية لخصم اقوى منه.[2] خلق حزب الله أداة لإيران لمواجهة إسرائيل، وخلق توازن ردع معها مما جعله نموذج للنجاح الإيراني يمكن تكراره في عدد من البلاد التي يتواجد بها ثقل سكاني شيعي لخلق درجات من الردع للولايات المتحدة نفسها وهو ما سيشجع إيران على خلق شبكة من الفاعلين غير الحكوميين non-state actors او الوكلاء لتنفيذ سياساتها الأمنية.

3- الردع الممتد وتعهد حماية حركة ناقلات النفط في الخليج

أسست الولايات المتحدة سياسات ردع ممتد بحيث تتعهد بحماية ناقلات النفط لدول خليجية عربية وتتعهد بعقاب إيران إذا ما استهدفت ناقلات النفط. وتاريخيا بدأ هذا الردع الممتد حين دخلت الولايات المتحدة وإيران في مواجهة محدودة لتأسيس قواعد الردع الأمريكي في الخليج فيما عرف بحرب الناقلات الأولى.[3] في اثناء الحرب العراقية الإيرانية وبعد تصعيد عسكري عراقي على ناقلات ومنشآت النفط الإيرانية، قامت إيران باستهداف ناقلات تجارية مما أدى الى تدخل بحري أمريكي في عام 1987 وقامت البحرية الأمريكية بمرافقة بعض الناقلات لحمايتها من الهجمات

---

[1] انظر: Wehrey, Frederic M. (2009). The Rise of the Pasdaran: Assessing the Domestic Roles of Iran's Islamic Revolutionary Guards Corps. Santa Monica, CA: RAND Corporation.

[2] Sobelman, Daniel. (2006). "Learning to Deter: Deterrence Failure and Success in the Israel-Hezbollah Conflict, Ibid, p171.

[3] Martin S. Navias | Published in History Today Volume 69 Issue 8 August 2019. (2019, August 8). Oil and water: The tanker wars. Retrieved August 21, 2021, from https://www.historytoday.com/archive/feature/oil-and-water-tanker-wars .

الإيرانية. ورغم وقوع مناوشات عسكرية في هذه المرحلة بين البحرية الأمريكية والإيرانية منها اغراق فرقاطات إيرانية واسقاط طائرة مدنية إيرانية بالخطأ وتلغيم حاملة الطائرات الأمريكية صامويل روبرتس، الا ان الصراع لم ينزلق الى حرب مفتوحة. ونجحت الولايات المتحدة في تأسيس ردع يمنع إيران من استهداف الناقلات او استهداف الدول الخليجية العربية.

4- الاحتواء السلبي

بداية من حرب تحرير الخليج تبنت الولايات المتحدة ما يمكن ان نسميه الاحتواء السلبي، أي تصعيد الضغوط الدبلوماسية لعزل إيران دون الدخول في مواجهات عسكرية مباشرة معها. مع نشر قوات في منطقة الخليج لضمان امن المنطقة سواء من الاعتداءات العراقية أولا او من الاعتداءات الإيرانية المحتملة. في نهاية تلك المرحلة صعدت الولايات المتحدة من محاولة عزل إيران ووصفها بالدولة المارقة Rogue Stateاو أحد ثلاثة دول تشكل مع العراق وكوريا الشمالية ما عرفه جورج بوش الأبن "بمحور الشر" .axis of evil فبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر وتحديدا في خطاب حالة الاتحاد في سنة 2002 اتهم جورج بوش الأبن الثلاث دول بأنهم يقوموا بتمويل وإيواء ومساعدة الإرهاب الدولي.

"إن هذه الأنظمة، بسعيها للحصول على أسلحة دمار شامل، تشكل خطرا جسيما ومتزايدا. يمكنهم توفير هذه الأسلحة للإرهابيين، ومنحهم الوسائل تناسب كراهيتهم. يمكنهم مهاجمة حلفائنا أو محاولة ابتزاز الولايات المتحدة. في أي من هذه الحالات، سيكون ثمن اللامبالاة كارثيًا."[1] حيث تم تمهيد الطريق في هذا الخطاب للغزو الأمريكي للعراق كأضعف حلقات هذه السلسلة.

5- اضطراب التوازن

كان الغزو الأمريكي للعراق محاولة جديدة لتطوير الردع الأمريكي في المنطقة. حيث كانت تطمح الولايات المتحدة ان يقدم الغزو العراقي نموذج تهديد يكبح جماح إيران وتوسيع التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة الا ان الغزو الأمريكي للعراق 2003 مثل نقطة تحول في توازن القوى في منطقة الخليج بشكل عام، وفي العلاقات الإيرانية الأمريكية بشكل خاص. حيث كان إزاحة نظام معادي لإيران في العراق فرصة لإيران للاستثمار في المكون العراقي الشيعي لخلق شبكة ميليشيات موالية على غرار حزب الله. كما لعب القرب الجغرافي للقواعد الأمريكية في بلد تحت الاحتلال فرصة أخرى لاستهداف اهداف أمريكية بتكلفة منخفضة دون تحمل المسؤولية السياسية عن الهجمات بشكل مباشر. في هذه الأثناء صعدت إيران من التلويح باستخدام برنامجها النووي مما أخل بمبدأ الاحتواء السلبي الأمريكي. فوجود برنامج نووي إيراني قد وضع ضغوط على الإدارات الأمريكية المتعاقبة لفتح قنوات اتصال مع إيران. حيث لم تفلح العقوبات الاقتصادية والدبلوماسية الأمريكية على إيران في اثنائها عن توسيع برنامجها النووي. اسفرت لعبة عض الأصابع هذه عن توقيع الاتفاق النووي بين إيران والغرب في يوليو 2015 فيما يعرف بخطة العمل الشاملة المشتركة Joint Comprehensive Plan of Action والتي كانت أبرز خرق إيراني لاستراتيجية الاحتواء الأمريكية حيث أجبر الاتفاق الولايات المتحدة على ان تخفف العقوبات الاقتصادية وترفع العزلة الدبلوماسية عن إيران. حتى بعد الغاء الاتفاق

[1] Glass, A. (2019, January 29). President Bush cites 'axis OF evil,' JAN. 29, 2002. Retrieved August 21, 2021, from https://www.politico.com/story/2019/01/29/bush-axis-of-evil-2002-1127725

النووي في عهد إدارة ترامب، استطاعت إيران ان تطور شبكة الوكلاء المحليين مكنتها من استهداف مصالح أمريكية كما اعادت استهداف ناقلات النفط كأحد وسائل تصعيد الضغوط.

رابعا: كيف طورت إيران ضروريات الردع المضاد؟

أ- العقلانية

رغم ان ميرشايمر يقصر العقلانية في تعريفه، على القوى العظمى، الا ان معطيات البيئة الدولية قد اثبتت ان القوى الإقليمية مثل إيران قد تبنت درجات من العقلانية في حساب تكاليف الفعل او اللافعل ودرجة تأثير كل منهما. فوفقا لتقارير فقد تجنبت إيران اسقاط قتلى أمريكيين في هجومها الانتقامي في الثامن من يناير 2020 على قاعدة عين الأسد الأمريكية في العراق ردا على اغتيال الجنرال قاسم سليماني وهو الهجوم الذي اثبت أن إيران تحاول ان تضبط ردودها المضادة بقدر من العقلانية حتى في حالة استهداف الولايات المتحدة لأهداف بشرية كبيرة مثل كبار القادة العسكريين والمخططين الإستراتيجيين الإيرانيين. تحاول أيضا إيران ان تضبط استراتيجية الردع لديها بما لا يقلل تكاليف الردود الانتقامية قدر الإمكان وهو ما دفعها لخلق شبكة ميليشيا توزعها عبر الإقليم تقدم لها الدعم العسكري والسياسي وتستخدمها في استهداف خصومها. فاستهداف الحوثيين للسعودية يبقى ذو تكلفة أقل من استهداف إيران نفسها للسعودية. واستهداف ميليشيا شيعية القوات التركية في شمال العراق لن يحدث نفس إثر المواجهة المفتوحة بين البلدين لكنه سيحقق اهداف استراتيجية لمنع تركيا من التمدد في مساحات جيواستراتيجية تعتبرها إيران مناطق نفوذها.[1]

ب- وضع راهن أفضل

ترسل إيران رسالة لخصومها ان عدم مهاجمتها هو الوضع الأفضل للجميع خاصة في منطقة حركة الناقلات النفطية .ففي محاولة خلق سيناريو كارثي بديل عن الوضع الراهن صرح نائب الرئيس الإيراني محمد رضا رحيمي في ديسمبر 2011 " في حال تشديد العقوبات على إيران، فلن تمر قطرة نفط واحدة عبر مضيق هرمز"[2] وهو نفس التهديد الذي أعلنه الرئيس الإيراني حسن روحاني في 2018 بعد الغاء الاتفاق النووي، كما تم تجديد التهديد على لسان الأدميرال علي رضا تانغسيري أحد قادة الحرس الوطني الإيراني في 2019.[3]

ج- اتصالات الردع/رسالة الردع

طورت إيران اتصالات ردع ورسالة ردع من خلال تطوير قدراتها المباشرة وتطوير قدرات حلفائها الإقليميين. فكانت تجربة حزب الله مع إسرائيل والتطور النوعي والتقني في تقنية التسليح التي يحصل عليها الحزب وقدرته على ضرب العمق الإسرائيلي واستعراض هذه القدرات وصياغة رسالة إعلامية حولها أحد اشكال رسائل الردع واتصالات الردع التي توجهه إيران ووكلائها للخصوم. فمنذ الحرب العراقية الإيرانية، وإيران تطور برنامج للصواريخ الباليستية

---

[1] انظر: Hameed, S. (2015, December 09). Shi'ite militias Threaten Turkey over incursion into Iraq. Retrieved August 21, 2021, from https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-iraq-turkey-idUSKBN0TS21W20151209 .

[2] Johnson, R. (2011, December 27). IRAN: 'not a drop of oil will pass through THE Strait' if Sanctions Increase. Retrieved August 21, 2021, from https://www.businessinsider.com/iran-says-no-oil-will-pass-through-the-strait-of-hormuz-if-we-sanction-their-oil-exports-2011-12

[3] Farda, R. (2019, June 15). Iran guards NAVY threatens to CLOSE HORMUZ if "not allowed to use it'. Retrieved August 21, 2021, from https://en.radiofarda.com/a/iran-guards-navy-threatens-to-close-hormuz-if-not-allowed-to-use-it-/29896686.html .

المعلن عنه كأحد وسائل الردع الأساسية الموجهة أولا ضد العراق، ثم الى الولايات المتحدة وشركائها الإقليميين. ففي عام 1986, أطلق الحرس الثوري مشروع عسكري صناعي لصناعة الصواريخ الباليستية فيما عُرف بمجموعة الشهيد همت الصناعية في مالارد، بالقرب من طهران.[1] فوفقا لتقارير معلنة تتسامح إيران في تسريبها لخصومها "تمتلك إيران أكبر قدرات صاروخية في الشرق الأوسط، مع مخزون كبير من الصواريخ الباليستية قريبة المدى (CRBMs) والصواريخ الباليستية قصيرة المدى (SRBMs) والصواريخ الباليستية متوسطة المدى (MRBMs) التي يمكنها ضرب أهداف في جميع أنحاء المنطقة. على بعد 2000 كيلومتر من حدود إيران "[2] وتعلن إيران عن هذه القدرات إعلاميا في أكثر من مناسبة. فعلى سبيل المثال أعلنت إيران انها انتجت محليا صاروخ باليستي يصل مداه 1400 كيلومتر.[3] في اختبار الردع الأمريكي الممتد للسعودية، تحاول إيران استهداف المملكة في هجمات منخفضة التكلفة سواء بهجمات صاروخية او طائرات مسيرة هجومية وذلك من اجل إرسال رسالة حول قدراتها الممكنة.[4] ويمكن ان نلخص رسالة الردع الإيرانية في عدد من الرسائل الواضحة تقوم على استعراض قدراتها الصاروخية، واستعراض قدرات وكلائها، والهجمات المنخفضة التكاليف على خصومها، واستعراض قواتها البحرية في الخليج وحول مضيق هرمز.

د- مصداقية الردع

لتحقيق مصداقية الردع يجب ان تقوم القوة الإقليمية الأضعف بعمليات للرد على تجاوز الخطوط الحمراء التي ترسمها دون ان تقع في مواجهة كبيرة مع القوى العظمى. نفذت إيران هجمات غير تصعيدية على بعض ناقلات النفط بهدف التأكيد على مصداقية تهديداتها بأغلاق مضيق هرمز ان تتطلب الأمر. ففي 2019 تعرضت ست ناقلات نفط وطائرة تجسس أمريكية لهجمات يرجح ان مصدرها إيران مما أدى الى ان تعلن الولايات المتحدة نشر 1000 عنصر عسكري إضافي من قواتها في الشرق الأوسط. [5]

حاولت إيران ان تطوير مصداقية الردع الخاصة بها بعد مقتل الجنرال قاسم سليماني وتنفيذ هجومها الصاروخي المحدود على القوات الأمريكية في قاعدة عين الأسد. أعلنت إيران عن مسؤوليتها على الهجوم لتأكيد مصداقيتها في الرد.

---

[1] REZAEI, FARHAD. (2016)"Iran's Ballistic Missile Program: A New Case for Engaging Iran?" Insight Turkey 18, no. 4: 181-208. Accessed March 13, 2021. http://www.jstor.org/stable/26300459. P186

[2] Iran Military Power: (2019) Ensuring Regime Survival and Securing Regional Dominance. Washington, D.C.: Defense Intelligence Agency,. P30.

[3] Hafezi, P. (2020, August 20). Iran announces locally made ballistic and cruise Missiles amid U.s. tensions. Retrieved August 21, 2021, from https://www.reuters.com/article/us-iran-military-missiles-idUSKBN25G0NK

[4] Person. (2019, September 20). Saudi Arabia's Defense Ministry displays Iranian drones, cruise missiles used In ARAMCO ATTACKS. Retrieved August 21, 2021, from https://www.arabnews.com/node/1556271/saudi-arabia

[5] انظر :

Meredith, S. (2019, June 22). Oil tanker attacks in the Strait of Hormuz requires an 'INTERNATIONAL RESPONSE,' US envoy to Iran says. Retrieved August 21, 2021, from https://www.cnbc.com/2019/06/22/oil-tanker-attacks-in-the-strait-of-hormuz-requires-an-international-response-us-envoy-to-iran-says.html

Morin, R. (2019, June 18). Pentagon sending 1,000 U.S. troops to Middle east after oil TANKER ATTACKS. Retrieved August 21, 2021, from https://www.usatoday.com/story/news/politics/2019/06/17/us-sending-1-000-troops-middle-east-after-oil-tanker-attack/1483739001/

لكن بخلاف ذلك الهجوم حاولت إيران ان ترفع تكلفة استهداف سليماني لكن دون ان تتحمل المسؤولية المباشرة عن طريق الميليشيات العراقية الحليفة لها.[1]

وبالإضافة لذلك، حاولت إيران تشتيت واحتواء جهود الردع الأمريكي في العراق وفي الإقليم بصورة يمكن ملاحظتها فيما يلي.

خامسا: الجهود الإيرانية لاحتواء الردع الأمريكي

1- دولة الميليشيات ام دولة العراق؟

ترسخت فكرة الميليشيا الموازية للدولة في العراق منذ الأيام الأولى لظهور النظام العراقي الحالي, لكنها تأكدت بعد ظهور ما يعرف بالهيئة التنسيقية للمقاومة العراقية[2] وهي تنسيقية تضم أهم ثلاثة روافد أساسية للميليشيا الشيعية المسلحة وهم كتائب حزب الله العراق التي تتبع أيدلوجيا فكرة ولاية الفقيه بولاء إيراني كامل حيث كان مؤسسها أبو المهدي المهندس[3] عضو في الحرس الثوري الإيراني, وعصائب أهل الحق بزعامة قيس الخزعلي التي تشير تقارير[4] إلى تنسيقها وتدريبها وتمويلها تحت رعاية جيش القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، وحركة النجباء بقيادة أكرم الكعبي الذي أعلن انه على استعداد للقتال ضد حكومة بلاده نفسها والإطاحة بها إذا ما طلب منه المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي ذلك.[5] ورغم الولاء للفقيه الإيراني أو التنسيق مع القادة العسكريين الإيرانيين، إلا أن تلك الفصائل هي في الأساس فصائل عراقية ترفع شعار المقاومة وفي الوقت الذي لا تنسق فيه بشكل كاف مع الحكومات العراقية لكنها تنسق بشكل كبير مع إيران لدرجة أنها أوقفت كل عملياتها في الفترة الأخيرة من حكم الإدارة الأمريكية السابقة خوفا من ضربة أمريكية قوية لإيران في أيام ترامب الأخيرة. تشكل هذه التنسيقية أجندة تتعارض في كثير من الأحيان مع الحكومات العراقية وتخلق لها أزمات في قدرة الدولة على إنفاذ القانون وهي تستفيد من شعار المقاومة لإضعاف الدولة وخلق مراكز صنع قرار بعيدة عن الحكومة وكسر احتكار الحكومة للسلاح وتوزيع المناصب الحكومية على الموالين أو حتى جمع الضرائب[6], مما يجعلها تفرض شروط على الحكومة، أو تتعقب المتظاهرين السلميين الذين يتظاهروا ضد الفساد الطائفي، أو تغتال الناشطين الذين ينتقدوا إيران دون خوف من ملاحقات قانونية نظرا لسيطرتها على أدوات

---

[1] Shesgreen, D., & Hjelmgaard, K. (2020, March 13). Official: Pentagon launches airstrikes targeting Iran-backed militia after rocket attack on U.S., British troops. Retrieved August 21, 2021, from https://eu.usatoday.com/story/news/world/2020/03/12/us-military-coalition-personnel-killed-in-iraq-rocket-attack-iran-militias/5029918002/ .

[2] "هيئة المقاومة العراقية" تعلن وقف الهجمات ضد المصالح الأميركية بشروط. (2020, October 10). Retrieved August 21, 2021, from https://www.rudaw.net/arabic/middleeast/iraq/11102020 .

[3] من هو أبو مهدي المهندس الذي قتل مع قاسم سليماني في بغداد؟. (2020, January 3). Retrieved August 21, 2021, from https://www.bbc.com/arabic/50983574

[4] Asaib AHL al-Haq. (n.d.). Retrieved August 21, 2021, from https://www.counterextremism.com/threat/asaib-ahl-al-haq .

[5] Weiss, B. (2019, March 05). Iraqi Shiite militia leader says he would overthrow government if ordered by Iran's supreme leader. Retrieved August 21, 2021, from https://web.archive.org/web/20190330160457/https:/www.longwarjournal.org/archives/2015/11/us-designated-terrorist-of-iraqi-militia-reportedly-in-aleppo.php

[6] Rasheed, A., Dehghanpisheh, B., & Georgy, M. (2018, November 13). In Iraq's parliament, Shi'ite militia leaders plan to call the shots. Retrieved August 21, 2021, from https://www.reuters.com/article/us-iraq-militias-insight-idUSKCN1NI1DI

القوة والقمع. وهي حالة تحاول فيها إيران استنساخ حزب الله اللبناني في المشهد العراقي وقد نجحت بشكل كبير.[1] يخلق هذا المشهد الضبابي أزمة كبيرة للولايات المتحدة إذا ما نفذت هذه الميليشيات عمليات ضد مصالحها في العراق أو ضد حلفائها الإقليميين. فكون ان هذه الميليشيات عراقية، وكون أن أعضاءها من الشيعة العراقيين فإن أي استهداف لهم يضعف الموقف الأمريكي في العراق ويصب مزيد من الغضب على الوجود الأمريكي بين الرأي العام العراقي المستنفر من تحويل بلده لساحة قتال بين أمريكا وإيران.[2] حيث أدى استهداف الولايات المتحدة لقاسم سليماني القائد الإيراني، وأبو المهدي المهندس قائد كتائب حزب الله العراق على الأراضي العراقية إلى إحساس متزايد بالغضب ضد الوجود الأمريكي بين العراقيين. هذا الوضع سهل على إيران استخدام هذه الميليشيا للقيام بعمليات ضد المصالح الأمريكية وضد الناشطين العراقيين على حدا سواء دون أن تتحمل المسؤولية المباشرة عن ذلك، بل أن أي رد من الولايات المتحدة ضد ذلك الاستهداف ربما يأتي بنتائج عكسية.

2- سيولة المسميات وشبكات التضليل

مما زاد من تعقيد الشبكة الإيرانية هو سيولة المسميات. وهو تكتيك تستخدمه الميليشيا المدعومة من إيران حيث تنشطر إلى أكثر من تنظيم يحمل أكثر من اسم. ففي حين أعلن تنظيم يسمي نفسه "سرايا أولياء الدم" مسؤوليته على هجوم كبير مثل هجوم أربيل، انتشرت مسميات كثيرة لميليشيا وسرايا تقوم بعمليات ثم تختفي. فقد ظهرت العديد من هذه المسميات التي لا تعلن عن انتماء أيدلوجي ولكن تظهر تبعيتها من خلال العمليات على الأرض. ففي حين أعلنت كتائب حزب الله العراق هدنة مشروطة مع الولايات المتحدة، تحركت سرايا تسمي نفسها "قاصم الجبارين" لتستكمل العمليات.[3] نفس التكتيك ظهر بظهور ميليشيا جديدة مثل "عصبة الثائرين"، و" أصحاب الكهف"، وغيرها تقوم بعمليات وتعلن عن المسؤولية ثم تختفي أو تتراجع وتظهر أسماء جديدة. في ظل حالة السيولة الشديدة للمسميات يصعب على الحكومة العراقية والولايات المتحدة وحلفائها تحميل أي مسؤولية لأي طرف. فالأطراف الرئيسية تعلن عدم مسؤوليتها والأطراف التي تعلن المسؤولية لها حضور إعلامي مؤقت أكثر من حضورها الفعلي على الأرض.[4]

3- نتكلم فرادى ونتحرك سويا

تظهر إيران قدرة كبيرة على تحريك ميليشياتها ضد الولايات المتحدة وضد شركائها في المنطقة بصورة منسقة تماما. وتظهر السعودية المتورطة في حرب في اليمن كمثال لذلك. ففي حين تواجه السعودية الحوثيين في اليمن، يتم

---

[1] Davison, J., & Aboulenein, A. (2019, November 29). Threats, arrests, targeted KILLINGS silence IRAQI DISSIDENTS. Retrieved August 21, 2021, from https://www.reuters.com/article/us-iraq-dissent-crackdown-insight-idUSKBN1Y326O

[2] Lubold, G., Youssef, N., & Coles, I. (2020, March 13). U.S. strikes Iran-Backed militias in Iraq. Retrieved August 21, 2021, from https://www.wsj.com/articles/latest-attack-on-u-s-forces-in-iraq-could-drag-it-back-into-washingtons-tussle-with-iran-11584027344

[3] Mehr News Agency. (2020, December 26). سريّة "قاصم الجبارين" تتبنى الهجمات على أرتال القوات الأميركية في العراق. Retrieved August 21, 2021, from https://ar.mehrnews.com/news/1910451/%D8%B3%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%82%D8%A7%D8%B5%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D8%AA%D8%A8%D9%86%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A3%D8%B1%D8%AA%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A9.

[4] انظر: محمود, س. (2020, August 09). تعرف على الفصائل المسلحة التي ظهرت في 2020-. Retrieved August 21, 2021, from https://al-aalem.com/news/57211-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%B8%D9%87%D8%B1%D8%AA-%D9%81%D9%8A

الهجوم عليها بصواريخ بدائية ومُسيرّات إيرانية بهجمات منسقة ومخطط لها من اليمن، أو من العراق أو حتى من سوريا.[1] وتوزع إيران الأدوار في تحمل المسؤوليات. ففي أيلول/سبتمبر 2019 تحمل الحوثيين مسؤولية هجوم على مصافي النفط السعودية القادم من الشمال لا الجنوب.[2] ومؤخرا أعلنت ميليشيات عراقية تطلق على نفسها "ألوية الوعد الحق" المسؤولية عن هجوم آخر بمسيرات على المملكة في 23 كانون ثان/يناير الماضي استهدف قصر اليمامة الملكي بالعاصمة الرياض وتوعدت الميليشيا بمزيد من الهجمات على الولايات المتحدة وشركائها.[3] تتحرك الميليشيات المدعومة من إيران سويا لتنفيذ ضربات منسقة على خصوم إيران ووفقا لأجندة إيرانية لا محلية حيث إن مصلحة أيران تأتي في المقدمة حتى لو تعارضت مع المصالح المحلية. وتتحرك في بقعة جغرافية كبيرة يمكن ان تسبب تشتيت لخصومها. فهجمات من الجنوب والشمال وبدعم لوجيستي من شبكة معقدة تمتد من إيران نفسها إلى لبنان، العراق، سوريا، اليمن. كل ذلك جعل ردود الولايات المتحدة على ضربات أربيل تبدو معقدة وتحتاج إلى حلول مختلفة عن الحلول التقليدية وميادين جديدة غير العراق نفسه.

سادسا:الجهود الأمريكية للحفاظ على الردع

تريد الولايات المتحدة أن تنفذ هدفين فيما يتعلق بعلاقتها مع إيران، الأول حفاظها على قنوات تواصل دبلوماسي لإعادة الاتفاق النووي مع إيران مرة أخرى وذلك لمنعها بالجهود الدبلوماسية من امتلاك سلاح نووي. والهدف الثاني، هو الحفاظ على قدراتها على الردع العسكري ومصداقية هذا الردع بعمليات عسكرية محدودة لكن مؤثرة لكي تحتوي إيران وتمنعها من تصعيد الهجمات العسكرية القاتلة.

1- توسيع رقعة الشطرنج

أظهرت عملية البوكمال ان الولايات المتحدة تهدف إلى توسيع رقعة المواجهة مع تقليل الأَضرار الجانبية. حيث نفذت ضربة محدودة تستهدف ميليشيا شيعية عراقية مدعومة من إيران لكن ليس على الأراضي العراقية وذلك لكي تتجنب الثمن السياسي لغضب العراقيين. أرادت الولايات المتحدة من توسيع رقعة المواجهة ان تستفيد من الميزة النسبية التي صنعتها إيران لنفسها وهي الانتشار الجغرافي لأماكن توزيع الأذرع الإيرانية. فكما أن إيران تستخدم أي من هذه الأذرع كمنصات هجوم من أي مكان، تؤكد الولايات المتحدة بضربتها الأخيرة أن الرد سيكون في أي مكان فيه تواجد إيراني. حيث سعت الولايات المتحدة إلى توسيع رقعة الشطرنج لتشمل أماكن كانت آمنة نسبيا وأرسلت رسالة مفادها: نعرف من أنتم وسنتعقبكم في أي مكان أيا ما كان الاسم الذي قررتم أن تطلقوه على انفسكم.

2- الاستثمار في التناقضات الداخلية

تعلم الولايات المتحدة أن الميليشيا المستهدفة بغارة البوكمال (كتائب حزب الله، وكتائب سيد الشهداء) على علاقة متوترة مع الحكومة العراقية نظرا لدورها في عمليات تهريب السلاح وتحصيل الجمارك من المنافذ. لذا ظهرت

[1] Hubbard, B., Karasz, P., & Reed, S. (2019, September 14). Two major Saudi oil INSTALLATIONS hit by drone strike, and U.S. blames iran. Retrieved August 21, 2021, from https://www.nytimes.com/2019/09/14/world/middleeast/saudi-arabia-refineries-drone-attack.html

[2] Pamuk, H. (2019, December 19). Exclusive: U.S. probe of Saudi oil attack shows it came from north - report. Retrieved August 21, 2021, from https://www.reuters.com/article/us-saudi-aramco-attacks-iran-exclusive-idUSKBN1YN299

[3] Abdul-zahra, Q. (2021, February 25). Recent drone attack on Saudi royal palace launched from Iraq. Retrieved August 21, 2021, from https://apnews.com/article/yemen-iran-saudi-arabia-riyadh-middle-east-ab3a83c9090c31f772bad7556bd482f1

الحكومة العراقية غير مكترثة بالضربة الأمريكية الأخيرة أو حتى متعاونة بتقديم معلومات استخبارية عن الميليشيات وفقا لوزير الدفاع الأمريكي. يبدو ان الإدارة الأمريكية تريد ان تستفيد من التناقضات الداخلية بين الجهات المتصارعة في العراق وفي بلدان أخرى.[1] حيث يمثل تصاعد الخلافات بين الحكومة العراقية وهذه الميليشيا من جهة، والخلاف بين هذه الميليشيا والأكراد من جهة أخرى فرصة مواتية للولايات المتحدة لتقديم نفسها كحليف أمني للحكومة العراقية المركزية او لحكومة إقليم كردستان العراق. مما يسهل جمع معلومات استخباراتية على الأرض وتوجيه ضربات مركزة ومنخفضة التكلفة السياسية قدر الإمكان. حيث أدى تصاعد الضغط على الحكومة العراقية من قبل الميليشيات الموالية لإيران إلى سعي الحكومة لتوسيع تنسيقها الأمني والتدريبي مع قوات تابعة للناتو. حيث وافق حلف الناتو في 24شباط/فبراير على زيادة عدد القوات العاملة في العراق من 500 إلى 4000 عنصر. حيث صرح الأمين العام للحلف ينس ستولتنبرغ أن "مهمتنا تأتي بناء على طلب الحكومة العراقية".[2]

3- يد تمتد للمصافحة وأخرى تستعد لإطلاق النار

تؤكد الإدارة الأمريكية الجديدة انها ورغم رغبتها الشديدة لإبرام اتفاق نووي جديد مع إيران إلا انها لن تتردد في استخدام القوة العسكرية أن تم استهدافها عسكريا مع استمرار فتح القنوات الدبلوماسية لعودة المفاوضات النووية. كما أرادت أن توجه ضربة للجهود الإيرانية التي تهدف إلى خلق شبكة معقدة لاستهداف خصوم إيران دون ان تتحمل إيران المسؤولية. فعلى الرغم من تعقيد شبكات التضليل الإيرانية إلا أن الولايات المتحدة لازالت تُحمل المسؤولية لإيران مباشرة وتستهدف أدواتها عسكريا.

استنتاج

طورت كلا من الولايات المتحدة (قوى عظمى) وإيران (قوى إقليمية)، على مدار ما يزيد عن أربعة عقود منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران، استراتيجيات الردع الخاصة بهما ضد بعضهما البعض. وطور الطرفين ضروريات للردع تتمثل في عقلنة تفاعلات الردع بين الطرفين بحساب تكاليف المكسب والخسارة، وخلق وضع راهن أفضل من وضع بديل إذا ما اندلعت مواجهة أكبر، ورسالة ردع واضحة يتم التركيز عليها إعلاميا وسياسيا حيث يصيغ كل طرف رسالة واضحة عن قدراته وعن أهدافه التي يدافع عنها ولا يسمح بتجاوزها، واخيرا مصداقية في الردود حتى يرسم كل طرف الخطوط الحمراء الذي تستلزم الرد إذا ما تم تجاوزها من الخصم. الطرفين يحاولا رسم حدود الردع دون الرغبة في الدخول في حرب مفتوحة. ورغم تعدد المناوشات بين الطرفين التي وصلت لحد استهداف قادة كبار او قواعد عسكرية بهجمات صاروخية، الا اننا لا يمكن ان نحسب كل هذه العمليات انها اختلال للردع بقدر ما هي محاولة لرسم قواعد جديدة لهذا الردع وتأكيد كل من مصداقيته وفاعليته ومدى عقلانية حدوده.

يمارس الطرفين ضغوطهما في أطار لا يتم تجاوزه الا بحسابات معقدة، ويتراجع الطرفين عند الضرورة حتى لا تنزلق المواجهات الصغيرة إلى حرب مفتوحة. فبرغم اختبار إيران لقدراتها في استهداف المملكة السعودية كشريك أساسي

[1] Biden takes first military action with Syria strike ON IRAN-BACKED MILITIAS. (2021, February 26). Retrieved August 21, 2021, from https://www.bbc.com/news/world-middle-east-56205056

[2] NATO. (2021, May 06). NATO mission Iraq. Retrieved August 21, 2021, from https://www.nato.int/cps/en/natohq/topics_166936.htm

للولايات المتحدة في المنطقة او اختبار قدراتها في تجاوز المظلة الدفاعية الأمريكية للدفاع ضد الصواريخ والمُسيرات الإيرانية التي نجحت إيران وحلفائها في اختراقها في السعودية والعراق، الا ان القدرات التدميرية لهذه الصواريخ لم تزل محدودة وذلك للحفاظ على رسالة ومصداقية الردع دون تجاوزه الى المواجهة العسكرية المفتوحة التي في الغالب ستكون لصالح الطرف الأكثر تسليحا.

وعليه فلا يمكن الجدل ان الردع بين الولايات المتحدة كقوة عظمى وإيران كقوة إقليمية قد انهار بالكلية، بل انه في مراحل تشكل. وهو ما يدحض الفرضية الأساسية التي بدأنا بها. فالردع الأمريكي لإيران لم يفقد مصداقيته بالكلية، لكننا يمكننا الجدل ان إيران تحاول ان تختبر هذه المصداقية في أكثر من موضع منها العراق والسعودية، وقد نجحت جزئيا في تشتيت استراتيجية الردع الأمريكي بخلق شبكة من الوكلاء تتحمل المسؤولية الجزئية بديلا عن إيران نفسها مما أدى لتشتيت استراتيجية الردع الأمريكي والعجز عن تقديم ردع ممتد للمملكة السعودية في صراعها مع الحوثيين أحد وكلاء إيران، ولا في صراعها مع الميليشيات الشيعية العراقية. الا ان مصداقية الردع الأمريكي لم تزل متماسكة فيما يخص الأهداف الأكثر أهمية مثل القوات الأمريكية في العراق او حركة النفط في الخليج. فبالرغم من محاولات إيران لخلق واقع استراتيجي جديد لممارسة ضغوط على الولايات المتحدة، الا اننا لا يمكن القفز لنتيجة ان هذا الواقع سيؤدي الى انسحاب الولايات المتحدة من مناطق النفوذ الخاصة بها في الشرق الأوسط او التخلي عن الدفاع عن الأهداف التي تعتبرها حيوية لها في المنطقة. خاصة ان الولايات المتحدة استطاعت استيعاب التكتيكات الإيرانية وخلقت تكتيكات مضادة لاحتوائها. لا أحد يستطيع التنبؤ برد الفعل الإيراني تجاه الجهود الأمريكية للحفاظ على الردع في المنطقة وحصار ميليشياتها. الا ان الاختيارات الإيرانية أصبحت محدودة، فأما تكبح جماح ميليشياتها لتعود إلى مفاوضات طويلة، وأما تواجه تصعيدات عسكرية تؤجل الوصول إلى اتفاق تحتاج اليه أكثر من أي وقتا مضى لإنقاذها من حصار اقتصادي يهدد شرعية النظام.

قائمة المراجع

- Alexander L. George and Richard Smoke, (1974).Deterrence in American Foreign Policy: Theory and Practice. New York: Columbia University Press.
- B., Osinga Frans P, and Tim Sweijs. (2021). NL ARMS Netherlands Annual Review of Military Studies 2020: Deterrence in the 21st Century - Insights from Theory and Practice. The Hague: T.M.C. Asser Press,.
- Danilovic, Vesna. (2002). When the Stakes Are High: Deterrence and Conflict among Major Powers. Ann Arbor: University of Michigan Press,.
- Edward Rhodes, (2000). "Conventional Deterrence," Comparative Strategy 19, no. 3: https://doi.org/10.1080/01495930008403210.
- Freedman, Lawrence. (2013). Strategy: a history. Oxford: Oxford University Press,.
- Haggay Ram (1996) Exporting Iran's Islamic revolution: Steering a path between Pan- Islam and nationalism, Terrorism and Political Violence, 8:2, 7-24, DOI: 10.1080/09546559608427343.
- Hicks, Kathleen H., and Melissa G. Dalton. (2017). Deterring Iran after the Nuclear Deal. Lanham, MD: Rowman & Littlefield,.
- Huth, Paul K. (1999). "Deterrence and International Conflict: Empirical Findings and Theoretical Debates." Annual Review of Political Science 2, no. 1: 25–48. https://doi.org/10.1146/annurev.polisci.2.1.25.
- Jacquelyn K. Davis and Robert L. Pfaltzgraff Jr.(2013). Anticipating a Nuclear Iran: Challenges for U.s. Security. New York: Columbia University Press,.
- Mearsheimer, John J. (1983). Conventional Deterrence. Ithaca: Cornell University Press,.
- Mearsheimer, John. (2001). The Tragedy of Great Power Politics. New York: Norton,.
- Morgan, Patrick M. (1983). Deterrence: A Conceptual Analysis. Beverly Hills, CA: Sage,.
- Mueller K P (2018) Conventional Deterrence Redux: Avoiding Great Power Conflict in the 21st Century. Strategic Studies Quarterly, Winter:76–93.
- Mueller, John. (1987). Retreat from Doomsday: The Obsolescence of Major War. S.L.: Basic Books, 1989.
- Orme, J. (1987). Deterrence Failures: A Second Look. International Security, 11(4), 96-124. doi:10.2307/2538838
- Pollack, Kenneth M. (2013). Unthinkable: Iran, the Bomb, and American Strategy. New York: Simon & Schuster,
- Rezaei, Farhad. (2016): "Iran's Ballistic Missile Program: A New Case for Engaging Iran?" Insight Turkey 18, no. 4 181-208. Accessed March 13, 2021. http://www.jstor.org/stable/26300459.
- Schelling, Thomas. (1976). Arms and Influence. New Haven, Conn: Yale University Press,.
- Sobelman, Daniel. (2017). "Learning to Deter: Deterrence Failure and Success in the Israel-Hezbollah Conflict, 2006–16." International Security 41, no. 3: 151–96. https://doi.org/10.1162/isec_a_00259.
- Wehrey, Frederic M. (2009). The Rise of the Pasdaran: Assessing the Domestic Roles of Iran's Islamic Revolutionary Guards Corps. Santa Monica, CA: RAND Corporation.

الخيالة النوميدية: تسليحها وتكتيكاتها الحربية

The Numidian cavalry: its weaponry and war tactics

د.بلعيبود بدرالدين
أستاذ محاضر معهد الآثار. جامعة الجزائر02
badreddine.belaiboud@univ-alger2.dz

ملخص:

برهن الفرسان النوميديون في الكثير من المواجهات عن قوتهم وإقدامهم من خلال طريقة قتالهم الفعالة رغم تسليحهم البسيط والتجهيز البدائي لخيولهم، لم تركز الكتابات القديمة على الدور الكبير لسلاح الخيالة النوميدية سواء في الجيش النوميدي أو كفرق مساعدة في الجيشين القرطاجي والروماني، هذا ما أجبر الباحثين على الاعتماد على بعض الاشارات في المصادر الأدبية التي جاءت خلال سرد أحداث المعارك والمواجهات التي شارك فيها الفرسان النوميديين، فبالإضافة لهذه الكتابات اعتمد الباحثون على المخلفات الأثرية التي صورت الفارس النوميدي والتي جاءت لتؤكد التوصيف الذي جاء في المصادر التاريخية، ومن خلال هذا البحث سنحاول إبراز أهم العوامل والمميزات التي رفعت من فعالية الخيالة النوميدية.

Abstract:

In many clashes, the numid horsemen have demonstrated their strength and effective fighting method despite their simple weaponry and primitive equipping of their horses. Ancient writings did not focus much on the important role of the Numid cavalry, either in the Numid army or as auxiliary troops in other armies such as the Carthaginoan army and the Romanian army. Archaeological remains depicting the Numid cavalry confirm the description that comes from different historical sources, through this research we will try to highlight the most important factors and characteristics that increased the effectiveness of the Numidian cavalry.

مقدمة:

كانت منطقة شمال إفريقيا محل أطماع للكثير من الأمم على غرار الفينيقيين الإغريق والرومان، وكانت الصراعات العسكرية لا تخلو في تاريخ هذه المنطقة عبر القرون المتعاقبة، ما جعل الليبيين وبعدهم النوميديين والمور ينشئون على تربية عسكرية تجعلهم مستعدين لأي طارئ، فكان للخيالة دورا متميزا واحتل الفارس مكانة كبيرة في المجتمع النوميدي، ويستدل على ذلك من خلال كتابات القدامى والشواهد الأثرية من مسكوكات وأنصاب، كما احتل الحصان مكانة كبيرة في الحياة اليومية وفي مختلف المجالات، وفي زمن الحروب لعبت الخيالة دورا أساسيا وكانت متميزة من ناحية تسليح فرسانها ومن ناحية طرق وتكتيكات قتالها من جهة أخرى

1- مكانة الحصان في المجتمع النوميدي:

ما يؤكد الاهتمام بتربية الخيول في نوميديا هو ذكره "سترابون" على أن ملوك نوميديا كانوا يقومون بإحصاء المهور كل عام، وقد تم إحصاء مائة ألف مهر دون أن يحدد في فترة تم ذلك[1]، وقد أرجع "ستيفان قزال" هذا الاهتمام الكبير بتربية الخيول من طرف ملوك نوميديا إلى حاجتهم إلى امتلاك خيالة ممتازة للحفاظ على سيادتهم، إضافة إلى ولعلهم ككل النوميديين بركوب الخيل[2]، وتبرز مكانة الخيالة في عددها الكبير بالنسبة لعدد المشاة، مما يبرهن على المكانة الممتازة التي يشغلها الحصان في الجيوش الملكية[3]، فحسب "سترابون" فإن مدينة سيرتا في زمن ميكيبسا يمكنها أن تجد لوحدها عشرة ألف فارس[4].

تدل نسبة الفرسان العالية مقارنة بالمشاة على العدد الكبير للخيول في إفريقيا، وكانت نوميديا أكثر المناطق إنتاجا للخيول، وأكدت المصادر أن ملوك نوميديا أولوا عناية كبيرة لتربية المواشي خاصة تربية الخيول، وكانت السباقات من بين أكثر الاهتمامات للفرسان النوميديين، كانت إفريقيا من بين المناطق التي كانت تعرف بتربية الخيول الموجهة للسباقات وللسرك[5].

من ناحية تربية الخيول في نوميديا، فإنها تتحمل مختلف عوامل المناخ[6]، وهي لا تحتاج إلى عناية خاصة[7]، حتى قال "أبيانوس" عن الحصان النوميدي أنه لا يعرف ذوق الشعير، ويكتفي العشب ولا يشرب إلا قليلا[8]، فهي لا تحتاج الكثير من الكلأ وتستطيع النوم في الهواء الطلق، ويعبر "سترابون" على قناعة الحصان النوميدي: "عند نزول الفارس

---

[1] Strabon. (1819). **Géographie.** Trad. M. Coray. Paris. XVII. 3. 19

[2] Gsell, St. (1927). **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord**. V. Librairie Hachette et C[ie]. Paris. p.182

[5] حارش، محمد الهادي. (2013). مملكة نوميديا. دراسة حضارية منذ القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م. الجزائر. 2013. ص 155

[4] Strabon. XVII. 3. 13

[5] Ait Amara O. (2014-2015). « **Le cheval en Numidie : bilan des connaissances** ». *Aquila Legionis*. pp. 23-44. Madrid p.24

[6] Gsell , St. (1928). p.155

[7] Lucain. (1976). **Guerre civile**. Trad. Bourgery. Paris. IV. 678

[8] Appien. (2001). **Histoire romaine**. Trad. P. Goukowsky. Paris. IX. 42-45

من على ظهر الحصان بعد قطع مسافة طويلة يتركه ليبحث عن الكلأ بكل حرية[1]، ومن ناحية التدريب تعتبر الخيول النوميدية هادئة وتروض بسهولة [2].

احتل الحصان مكانة كبيرة في الحياة العامة للنوميديين، فالحصان يستجيب للكثير من الاحتياجات اليومية، حيث استخدم في زمن السلم والحرب، واعترف بهم القدامى أنهم من أحسن الفرسان، كما كانوا يحسنون ركوب الخيل منذ الطفولة، يمتطونها دون سرج وهذا حسب ما ذكرته الكثير من النصوص القديمة وبرهنت عليه المخلفات الأثرية من منحوتات ومسكوكات، وكان النوميديون لا يستخدمون الشكيمة ولا اللجام ولا مهماز، وكان الفارس يحمل عصا صغيرة ليقود الحصان وفي بعض الأحيان يوضع على رقبة الحصان طوقا[3]، ومن بين أهم مجالات استخدام الخيول في المجتمع النوميدي نجد:

أ- الصيد

هناك الكثير من محطات الفن الصخري في الصحراء تحتوي على نشاهد للصيد، حيث نشاهد أفرادا يرمون طرائدهم وهو ما يؤكد ما المكانة الكبيرة التي تحتلها هذه الممارسة آنذاك، واستخدم الليبيون الخيول في مطاردة الغزلان[4]، وكان الصيد يمارس منذ القدم سواء بهدف توفير الطعام أو التصدي للحيوانات الضارية التي تهاجم الأفراد والمواشي[5].

كان الأفارقة في البداية يصطادون الحيوانات المتوحشة دفاعا عن أنفسهم، وفيما بعد أصبح الصيد لتبلية حاجة الرومان في استخدام هذه الحيوانات في مختلف الألعاب[6]، وكان النوميديون في الغالب يمارسون الصيد وهم على ظهور الخيول ليطاردوا مختلف أنواع الحيوانات البرية كالنعام والأحمرة الوحشية والثعالب، سواء برميهم بالرماح أو إمساكهم بالحبال[7]، كان الصيد يحتل مكانة متميزة لدى النوميديين، فكانوا يقضون أوقات طويلة في تتبع الحيوانات المفترسة[8].

كان الصيد عبارة عن نوع من أنواع التدريب على القتال، ويذكر "أبيانوس" أن "ماسينيسا" استطاع أن يجمع حوالي ألفين رجل من النوميديين ووجههم لممارسة ليملئوا أوقات فراغهم بنشاط بدني وفي نفس الوقت كنوع من التدريب من العسكري[9].

---

[1] Strabon. XVII. 3. 7
[2] Strabon. XVII. 3. 7
[3] فرحاتي، فتيحة. (2007). نوميديا: من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 -46 ق.م. الجزائر. ص 227.
[4] Elien. (2002). **Nature Animaux.** Trad.A. Zucker. Paris, XIV. 14
[5] Hérodote. (1985). **Histoires**. Trad. Le Grand Ph.E. Paris. IV. 183
[6] Pline l'ancien. (1829). **Histoire Naturelle**. Trad. M. Ajasson de Grandege. Paris. VIII. 24
[7] Gsell, St. (1913). p.173
[8] Ait Amara, O. 2014-2015. p.33
[9] Appien. X, 41

ب- السباق

كان النوميديون يمارسون الفروسية وسباق الخيل منذ صغرهم، وهي الهواية المفضلة لديهم، وكان السباق النشاط المفضل بالنسبة للفرسان النوميديين، كانت إفريقيا مشهورة بتربية خيول السباق. قام "مصطنبعل" ابن "ماسينيسا" بتربية الخيول وأحرز مرتين على جوائز في الألعاب الأثنية (Panathénées) سنتي 168 و164 ق.م، كما فازت الخيول النوميدية في العديد من السباقات في روما[1].

ج- الحرب

تناولت الكثير من الكتابات القديمة دور الخيالة النوميدية في المجال العسكري، وما هو مؤكد أن النوميديين استطاعوا دائما أن يجمعوا عددا كبيرا من فرق الخيالة خلال الحروب، وهناك الكثير من الأمثلة المعروفة التي تخص تعداد الفرسان النوميديين خلال المواجهات، يذكر "تيتيوس ليفيوس" أن "سيفاكس" إلتحق بالقرطاجيين سنة 204 ق.م على رأس خمسون ألف من المشاة وعشرة آلاف من الفرسان[2]، كما ذكر إحدى معارك "يوغرطا" شارك في صفوفه ستون ألف فارس[3].

2- طبيعة الفرسان في الجيش النوميدي:

يمكن أن نميز عند النوميديين نوعين من الخيالة: الخيالة النخبة وهم الفرسان الدائمون، والخيالة الاحتياطيين هم الفرسان الذين يستدعون عند اندلاع الحروب وعند الحاجة، وكان هذا التقسيم موجود قبل الملك "يوبا الأول" حيث كانت لملوك نوميديا فرسان نخبة نظاميين لا يشاركون إلا في المواجهات الكبيرة، غير أن هذه الفرق تختلف عن الخيالة الخفيفة فيما يخص السرعة وسهولة الحركة والمناورة، بالإضافة إلى الفرسان المرتزقة الذين وظفوا في الجيوش النوميدية حسب الأوضاع والظروف[4].

أ- الفرسان الدائمون

يعتبر الحرس الملكي والحاميات في مختلف المدن النواة الصلبة التي تقوم عليها القوات النوميدية، وكان الجيش يوزع على شكل وحدات تحت قيادة ضباط ويتولون تدريبه من ذوي التجربة والخبرة في الحروب والقدرة على فرض النظام، كانت هذه القوات أكثر تجهيزا ومزودة بالأسلحة الهجومية والدفاعية، وأشارت المصادر إلى تكوين فيالق من المشاة ثقيلي العدة، كما كانت خيول الفرسان الدائمين تحمل الشكيمة، وجاءت إشارات في المصادر الأدبية حول ذلك، وهو ما أشار إليه "الكاتب المجهول" (Pseudo-César) في حديثه حول "يوبا الأول" عند التحاقه بالقائد "سكيبيو" على رأس قوة مشكلة من ثلاث فرق من المشاة الثقيلة وثمانمائة من الفرسان النوميديين النظاميين وعدد كبير من الفرسان النوميديين غير النظاميين الذين لا يستخدمون اللجام وجزء كبير من المشاة خفيفي العدة وثلاثون فيلا[5].

---

[1] Gsell , St. (1927). p.182

[2] Tite-live. (1988). **Histoire Romaine**. Trad. A. Flobert. Paris. XXX. 7

[6] أورسيوس. (1982). تاريخ العالم. ترجمة بدوي عبد الرحمن. بيروت. ص 10, 15

[4] Ait Amara, O. (2013). **Numides et Maures au combat. Etats et armées en Afrique du Nord jusqu'à l'époque de Juba Ier.** Ortacesus. pp.85-86. 88

[5] Pseudo -César, XLVIII

وهو النص الذي يفهم منه وجود نوعين من الفرسان: النظاميون وغير النظاميون المسلحون بالرمح المعروف استخدامه بكثرة عند النوميديين حتى اعتبره السلاح الوطني لهم[1]، وكان في هذه القوات النظامية الفرسان والمشاة وقد أشاد المؤرخين بالدور الذي كان يلعبه الفرسان في القوات النوميدية، فإضافة إلى الخيول الجيدة وكثيرة العدد بناء على تلك المصادر فقد اشتهر النوميديين بالفروسية التي كانت رياضتهم المفضلة، ما جعل نسبة الفرسان تكون مرتفعة في هذه القوات[2].

ب- فرسان الاحتياط

إضافة إلى الوحدات النظامية نجد وحدات الاحتياط التي تجند عند اندلاع الحرب وتسرح بمجرد انتهاءها، وما يدل على هذا ما أورده "تيتيوس ليفيوس" حين يتحدث عن تسليم "سيفاكس" الأسلحة والخيول للعديد من النوميديين الذين جندهم، وأنه قدم حشدا من الفلاحين الذين زودهم الأسلحة والخيول، وأكد أنه سيجند كل الذين يمكن تجنيدهم في مملكته[3]، مما يدل على إمكانيات التجنيد الكبيرة في المملكة، ورغم نقص التدريب الذي قد يبدو عند هؤلاء الاحتياطيين الذين يتدربون تدريبا خفيفا[4]،غير أن هذا النقص تعوضه الصفات القتالية التي يتمتع بها النوميديين: قوة التحمل والخفة والشجاعة[5].

ج- الفرسان المرتزقة

تشير بعض النصوص إلى استخدام الملوك النوميدين المرتزقة من الليغوريين والتراقيين والإيبيريين، فقد تحدث "سالوستيوس" عن ليغوريين وتراقيين في صفوف قوات "يوغرطا"[6]، وتحدث "الكاتب المجهول" عن فرسان غاليين وإيبريين قاتلوا في جيش "يوبا الأول".

3- أنواع الخيالة النوميدية:

جاء ذكر الخيالة النوميدية لأول مرة من طرف المؤرخ اليوناني "بوليبيوس" حين تناول القائد القرطاجي "حنون" في الصقيلية خلال الحرب البونية الأولى[7]، كان للفرسان النوميديون حضورا في كل المواجهات المهمة في الحروب البونية الثلاثة، وكان لهم في الكثير من المعارك دورا أساسيا وحاسما، ومن خلال المصادر الأدبية والمخلفات الأثرية يمكن تقسيم الخيالة النوميدية حسب تسليحها وتدريبها ومهامها إلى نوعين:

أ- الخيالة الثقيلة

لا نملك إلا القليل من المعلومات حول الخيالة النوميدية الثقيلة في الفترة التي سبقت حكم "يوبا الأول"، وبالرغم من أن النوميديين كانوا في اتصال دائم مع القرطاجيين والرومان لاحقا إلا أنهم لم يتأثروا بهم كثيرا في المجال

---

[1] Gsell, St. (1927). p.146

[2] حارش، محمد الهادي. ص.79

[3] Tite-live. XXX. 8. 11
[4] Salluste. (1968). **Guerre de Jugurtha**. Trad. F. Richard. Paris. LXXX.
[5] Gsell, St. (1927). p.149
[6] Salluste. XXXVIII.
[7] Polybe. I. 5

العسكري، وآثروا الاحتفاظ بتقاليدهم في مجال الفروسية[1]. لم تذكر الخيالة النوميدية الثقيلة من طرف الكتاب القدامى بشكل صريح إلا في فترة حكم الملك "يوبا الأول"، حيث كانت الخيالة في هذه الفترة مجهزة وتختلف عن الخيالة الخفيفة التي لم تكن تستخدم السرج واللجام، وأطلق على الخيالة الثقيلة اسم فرسان النخبة، وأشار الكاتب المجهول إلى الخيالة الثقيلة للملك "يوبا الأول" بأنها وحدات جندت ودربت لتشكيل الحرس المقرب، وتتميز هذه الخيالة بأنها فرق منظمة ومشكلة من خيول مسروجة وملجمة[2].

ب- الخيالة الخفيفة

عرفت تقاليد الفروسية للنوميديين من خلال المصادر الأدبية، ف "سترابون" يقول عن النوميديين أنهم يقاتلون في أغلب الأحيان ممتطين الخيول ويحملون رماحا، ولا يستخدمون لجاما ويمتطون خيولا من دون سروج، وكان الفارس يستخدم طوقا من حبل نباتي أو من شعر، وخيولهم صغيرة وطيعة يقودونها باستعمال عصا صغيرة، ويتبع الحصان الفارس كما يتبع الكلب سيده[3]، هناك الكثير من الكتاب القدامى الذين أشاروا إلى فعالية الخيالة الخفيفة، حيث يرجع "سيليوس ايتاليكوس" ذلك إلى الشروط الطبيعية التي تشجع الفروسية وتشجع تربية الخيول حيث يقول: "هنا يركض الفرسان النوميديين بكل حرية على خيول بدون أعنة يقودونها فقط باستعمال عصا صغيرة على عنق الحصان، وهذه العصا لها نفس الدور والفعالية مع اللجام"[4].

صور فرسان الخيالة الخفيفة على الأنصاب بشكل واسع خاصة في منطقتي القبائل وقسنطينة بالجزائر، كما حملت المسكوكات كثيرا من صور فرسان هذا النوع من الخيالة عكس فرسان الخيالة الثقيلة، وتظهر أنصاب منطقة القبائل الكبرى فارسا ممتطيا حصانا غير مسروج وغير ملجوم، ومن أشهر هذه الأنصاب هو نصب أبيزار وسمي بذلك نسبة لاكتشافه في قرية أبيزار، ولاية تيزي وزو عام 1858م، ويظهر في النصب رجل ذو وجه دائري ولحية طويلة مدببة من الأسفل، يمتطي حصانا بلا سرج ويحمل بيده اليسرى درعا وثلاثة رماح ورافعا يده اليمنى، وتوجد بين الإبهام والسبابة حلقة دائرية[5].

كما يوجد ضمن هذه المجموعة أيضا نصب برج منايل، وكنصب أبيزار صور فارس ممتطي حصانا غير مسروج ويحمل بيده اليسرى درعا دائريا صغيرا ورمحين، وجاء رأس الفارس وصدره بمنظر مقابل، عكس حوضه وأطرافه السفلى التي صورت بالمنظر الجانبي، وكما هو الحال في أغلب أنصاب التي تنتمي لنفس المجموعة يحمل الفارس في يده اليمنى قطعة دائرية. ويتميز نصب برج منايل عن الأنصاب الأخرى كون الفارس في صدره وفي ساعده الأيمن شارات

[1] Ait Amara, O. (2013). p.46-47
[2] Pseudo César. (1997). **La guerre de l'Afrique**. Trad. A. Bouvet. Paris. XVIII. 1
[3] Strabon. XIV. 7
[4] Silius Italicus. (1979). **La guerre punique. I. IV**. Trad. P. Miniconi. G. Devallet. Paris. I. 13
[5] Laporte, J.P. (1992). « **Datation des stèles libyques figurées de Grande Kabylie**». *Africa Romana*. Oristano. pp. 411-412

ربما قد تكون وشما، أما بالنسبة للحصان فهو مصور بمظهر جانبي وينظر نحو اليمين، وذيله طويل ومضفور وينتهي بقطعتين كرويتين[1].

هناك أيضا نصب سيدي نعمان الذي عثر عليه في الضفة اليمنى لواد سباو غير بعيدة عن ذرع بن خذة، جاءت صورة الفارس غير مختلفة عن باقي أنصاب المجموعة، يحمل الفارس بيده اليسرى درعا دائري وثلاثة رماح، وهي نفس العدة الذي يحملها الفارس المصور في أنصاب المجموعة[2]. بالإضافة إلى الأنصاب المذكورة يوجد عددا من الأنصاب التي صورت الفارس النوميدي، وفي أغلبها تشترك في المظهر العام وفي التفاصيل سواء كان بالنسبة للفارس أو بالنسبة للحصان وكلها تنتمي إلى مجموعة نصب أبيزار مثل أنصاب بوجمعة والسوامع والشرفة وسمعون.

4- تسليح الخيالة النوميدية:

يحارب الفرسان النوميديين باستعمال رماحا قصيرة نوعا ما وهي من أسلحة الرمي حيث تنتهي بقطعة حديدية حادة قد تكون عريضة أو ضيقة، كما يحمل الفارس أيضا خنجرا بحد واحد، ويحمل الفارس درعا صغيرا دائريا أو بيضوي الشكل مصنوع من الجلد[3]، وتتشكل عدة الفارس النوميدي أساسا من:

أ- الرمح

اعتبر"ستيفان قزال" الرمح سلاحا وطنيا للأفارقة[4]، وتشير المصادر إلى استعمال النوميديين لهذا السلاح في الصيد وفي الحرب، وهو يكاد يكون سلاح الهجوم الوحيد الذي يمتلكونه، وكانت مسافة الرمي بالرمح تصل إلى أربعون مترا، وكان الإفريقيون بصفة عامة يرمونها بنفس البراعة التي اشتهر بها الفرس والبارثيون، وكان كل فارس يحمل معه ثلاث رماح على الأقل كما ورد عند "هيرودوت"[5]، أما "سيليوس إيتاليكوس" فذكر بأن الرمح الليبي تصنع من القصب[6]، لكن الرسومات الصخرية تدعم ما جاء في المصادر الأدبية الأخرى بأن أسنة الرماح كانت معدنية وهي مثلثة الشكل يتضح ذلك من خلال النتوءات التي تظهر في وسطها[7].

يطلق أغلب الكتاب على الأسلحة التي يحملها الفرسان المصورين في أنصاب منطقة القبائل بالرماح لكن هذه التسمية لا تعتبر حقيقة على هذا السلاح، الرمح يتميز بصاري أطول بكثير مما صور في أنصاب مجموعة أبيزار وفي نقوش الأطلس الأعلى بالمغرب، حيث صورت الصواري قصيرة وغليظة تشبه للحربة وهو سلاح استعمله الأفارقة في

[1] Camps, G. Chaker, S. Laporte, J.P. (1999). « **Deux nouvelles stèles kabyles au cavalier** ». *B.A.C.* 25. 1996-1998. Paris. pp.19-32
[2] Camps, G. Chaker, S. Laporte, J.P. pp.19 ; 21
[3] Camps, G. Chenorkian, R. Lhote, H. (1989). « **Armes** ». *E.B.* VI. p.899
[4] Gsell, St. (1928). pp.49-50.
[5] Hérodote. VIII. 71.
[6] Silius Italicus. III. 304.
[7] عقون، محمد العربي. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. عين مليلة. ص 39

عدة مجالات، وهو سلاح يستعمل للرماية ويمكن أن يستعمل كسلاح للطعن، لكن عدد الرماح التي يحملها الفارس دليل أن الفارس يستعمل هذا السلاح للرمي وهو ما أشارت له النصوص القديمة[1].

يعتبر الرمح من دون أدنى شك السلاح الأساسي للأفارقة، وكان كل رجل يحمل رمحين أو ثلاثة، وكانت عبارة عن صواري خشبية مثبتة في طرفها أسنة معدنية[2]، من بين ما عثر في ضريح الخروب رأسين لرمح ولحربة، مشكلتين من اسطوانتين طويلتين حيث يدخل الصاري الخشبي فيها، رأس الرمح ضيق ومدبب بينما رأس الحربة عريض على شكل ورقة الرند[3].

ب- الدرع

عرف استخدام الدروع في إفريقيا منذ زمن بعيد، حيث هناك العديد من رسومات ونقوش الفن الصخري التي تصور أفراد يحملون دروعا، وذكر هيرودوت أن الليبيين كانوا يستعملون أدوات للحماية مصنوعة بجلد النعام[4] وبجلود الفيلة، ومن المزايا التي تتمتع بها الجلدية خفتها سواء في المعركة أو أثناء التنقل، كما تحدث "سترابون" على نوع آخر من وسائل الحماية هي واقية الصدر التي تصنع هي أيضا من الجلود[5]، هناك شكلين للدروع:

- **الدرع الدائري**

عثر على العديد من الرسومات الصخرية والنقوش في كثير من المواقع تعود إلى الفترة النيوليتية، وتمثل محاربين صحراويين يحملون دروعا صغيرة مستديرة الشكل، وكان الدرع الدائري الأكثر استعمالا لدى الأفارقة، واستعمله النوميديين للفرسان وللمشاة معا، ويذكر سترابون أن الأفارقة يستخدمون دروعا صغيرة مصنوعة من جلود الفيلة[6]، والكثير من الشواهد المادية منحوتات لدروع دائرية، مثل مجموعة أبيزار التي كل مواضيعها تدور حول فرسان يحمل درعا دائريا صغيرا ورماحا، ونصب من معبد الحفرة، وكعناصر زخرفية معمارية كما هو الحال بالنسبة لضريح لخروب.

- **الدرع البيضوي**

بالإضافة إلى الروع الدائرية التي كانت كثيرة الاستعمال، هناك شكل آخر من دروع تأخذ الشكل البيضوي، عثر على رسومات صخرية في الغرب الجزائري صورت فيها دروع بيضوية الشكل[7]، كما نجد أنصابا نحت فيها هذا الشكل من الدروع، كما هو الحال بالنسبة لنصب من معبد الحفرة [8].

---

[1] Camps, G., Chaker S., Laporte J.P. p.30
[2] Gsell , St. (1918). p.318.
[3] Camps, G, Chenorkian, R. Lhote, H. p.899
[4] Hérodote. IV. 175
[5] Strabon. XVII. 3. 7
[6] Strabon. XVII. 3. 7
[7] Gsell, St. (1928). p.50
[8] Ait Amara O. (2016). « **Les armes de protection des combattants numides à l'époque de Massinissa**» Massinissa au cœur de la consécration du premier état numide. Actes du colloque international El Khroub (Constantine) du 20 au 22 sept. 2014). Alger. P.275-340

5- الخطط العسكرية للخيالة النوميدية:

هناك فرق بين الخطة والاستراتيجية، فالخطة هي توظيف مختلف الوسائل للإنتصار في المعرك، وعرفها "جومني" وأوردها "ديبورت" في كتابه: "الخطة هي فن القتال في الميدان... وتشمل حركة الجيش في ميدان القتال أو طريقة القتال، ومختلف التشكيلات لقيادة الفرق للهجوم"، أما الاستراتيجية فهي توظيف مختلف الوسائل للإنتصار في الحرب، وقال "جيموني": "الاستراتيجية هي فن تنفيذ الحرب على الخرائط"[1].

عرفت الشعوب القديمة على غرار النوميديين أن طرق القتل غير المباشر تكون أقل تكلفة في العدد وأحسن طريقة في مواجهة العدو، مع أن هذه الطرق أقل شرفا من الحروب المفتوحة، واعتبر الرومان الحيل الحربية منافية لمبادئهم، لكن خلال الحرب البونية الثانية في مواجهة القرطاجيين المعروفين بكثرة حيلهم وخططهم الحربية، حيث تبنى الرومان العمل بالحيل واعتبروها دليلا على الذكاء إذا كانت من طرفهم، ويعتبرونها خيانة إذا جاءت من طرف أعدائهم[2].

من بين أهم الإجراءات المطبقة في هذا المجال: حراسة الطرق والمرتفعات لاستباق تحركات العدو، الهجوم على العدو في طريق عودته وانسحابه والكمائن باستخدام فرق الخيالة والقتال الليلي والجوسسة، وما إلى ذلك من إجراءات، ومن النقاط الهامة الذي يأخذها المخطط بعين الاعتبار هي الاختيار المناسب للميدان التي يتم فيه تطبيق الخطة، لتحقيق المباغتة وخلق الفوضى في صفوف العدو ما يدفعه إلى الفرار ما يسفر عن ذلك خسائر كبيرة، هناك العديد من الخطط التي تطبقها الجيوش في الفترة القديمة وتهدف دائما إلى مباغتة العدو[3].

استخدم النوميديون كغيرهم من الشعوب خططا في مواجهاتهم كما أشار إلى ذلك ايليوس إيتاليكوس الذي قال عن إفريقيا أنها أرض الحروب والمحاربين ولا تتم الثقة بالسيف إلا إذا رافقته الحيلة[4]، أما "لوكان فقال في سياق حديثه:"...مخافة حيل الافارقة وحروبهم البونية المليئة بالحيل"[5]. وتكمن الخطط العسكرية التي كان تطبقها الخيالة النوميدية في إطار الخطة العامة للجيش فيما يلي:

أ- حرب العصابات

يمكن اعتبار حرب العصابات كإستراتيجية حربية وكخطة عسكرية في آن واحد وهي عبارة عن خيار إستراتيجي أو تمليه الظروف، فهذا من المواجهة يكون حيال عدو لا يمكن التفوق عليه في الحرب المفتوحة، من خلال هذا المفهوم نتكلم على حرب العصابات كإستراتيجية حربية يتبناها عادة الطرف الأضعف في الصراع[6].

---

[1] Desportes, V. (2001). **Comprendre la guerre**. 2e éd. Paris. p.121
[2] Ait Amara, O. 2013. pp.141-143
[3] Le Bohec, Y. (2014). **La guerre romaine : 58 avant J.-C.-235 après J. –C.** Paris. pp.222-223
[4] Silius Italicus. I. 218
[5] Lucain. IV. 736
[6] Le Bohec. Y. p.280

أحيانا تبنى النوميديون حرب العصابات مرغمين بسبب عدم تكافئ القوى بينهم وبين عدوهم فلجئوا لإستراتيجية حرب العصابات في مجابهة الجيوش المنظمة التي تفوقهم عددا وعدة، أما إذا تكلمنا عن حرب العصابات كخطة حربية فهي مجموعة من المناورات والعمليات التي تطبقها قوة عسكرية قليلة العدد حيال قوة أكبر أو جيش نظامي، وتكمن هذه الخطط في عمليات المناوشات والكر والفر.

تعتبر عملية الكر والفر من خطط حرب العصابات التي تميز بها النوميديين، وحسب "بوليبيوس" فإن المقاتلين النوميديين ينقسمون إلى مجموعات صغيرة تنسحب من المعركة لتعود بكل قوة[1]، تقوم الخيالة النوميدية بالتظاهر بالهجوم على قوات العدو، وما إن يستعد فرسان العدو بالهجوم يتراجع الفرسان النوميديين وينتشرون في كل اتجاه، ليعودوا بقوة لينقضوا على فرسان العدو المتراجعين في خسائر كبيرة[2]. وهذا ما دفع بعض الكتاب لاعتبار الفرسان النوميديين خيالة ممتازة لإثارة المناوشات وزرع الفوضى والرعب في صفوف العدو خاصة مع الصيحات التي ترافق هجوماتهم، كما تعتبر الخيالة الخفيفة فعالة جدا للمطاردة والقضاء على الفارين والمنهزمين، حيث تحرمهم من أي هدنة أو راحة[3].

عندنا تهجم فرقة من خيالة من العدو على الفرسان النوميديين يقومون بالإنسحاب والتفرق في جميع الاتجاهات، فإذا لم يتمكن الفرسان النوميديين من صد الهجوم يستغلون العددي لينقضوا عليهم من الخلف أو من الجوانب[4]. كما كان الفرسان أثناء المعارك يتعمدون زرع الفوضى بين الصفوف، لخلط أوراق المعركة، حيث يختلط العدو بالصديق والخيالة بالمشاة، وفي ظل هذه الفوضى المختلقة يقوم الفرسان باختراق صفوف العدو[5].

طبق "يوغرطا" حرب العصابات بهدف استنزاف القوات الرومانية حيث كان للخيالة دورا أساسيا في هذه المعارك، حيث كان القائد النوميدي يتتبع القوات الرومانية متخذا من المرتفعات طريقا له وذلك دون الاحتكاك بهم، وأحيانا يظهر لهم ويختفي ما يجعل الجيش الروماني دائم الترقب والحذر وهذا ما يحرمهم من الراحة[6].

ب- الكمائن

أشار العديد من المؤرخين القدامى أن النوميديين كانوا بارعين في تطبيق خطط الحرب والحيل في مواجهة أعدائهم، وهذا ما أشار إليه "الكاتب المجهول" أن نوميديا مليئة بالفخاخ[7]، وتعتبر الكمائن من أكثر الخطط التي طبقا النوميديين في معاركهم، وهو ما اشتهر به يوغرطا في حربه ضد الرومان[8]. وكان النوميديين يعرفون بكثرة الكمائن، وذكر

[1] Polybe. III. 2.72
[2] Polybe. III. 71. 9-10
[3] Ardant du Picq, Ch. (1978). **Etudes sur le combat. Combat antique et combat moderne**. Paris. p.30
[4] Salluste. L. 5-6
[5] Salluste. LIX. 201
[6] Salluste. LV. 8.
.[7] Pseudo-César. X. 3
[8] Salluste. XXXIV. 73-74

"سالوستيوس" أن الرومان كانوا يخافون عند سماع صوت الخطى التي يستشعرون من خلالها قرب النوميديين ما يتسبب لهم بالارتباك[1].

في كثير من الحالات استخدمت الخيالة النوميدية كطعم لاستدراج العدو، وهو ما أورده "بوليبيوس" بأن فرسانا نوميديين في جيش حنبعل كلفوا باستدراج القنصل "سومبرونيوس" للضفة الأخرى لنهر تريبي حيث كان حنبعل يتربص به[2]، تمهيدا لهذه المعركة في إطار الحرب البونية الثانية.

ج- التمويه

إذا كان عدد العدو كبيرا جدا ويستحيل مواجهتهم يتم حينها تقسيم الخيالة حينها إلى مجموعات صغيرة يسهل تنقلها وتخفيها، لتتجمع في وقت لاحق في مكان معلوم، وهو بالضبط ما قام به "ماسينيسا" لما واجه قوات "سيفاكس" والقوات القرطاجية، حيث كان على رأس قوة من الفرسان، فانقسموا إلى مجموعات صغيرة ليتمكنوا من الانتشار والتخفي بعيدا عن أنظار القوات المعادية، بعد أن حدد لهم الملك مكانا وزمانا محددين للتجمع من جديد[3].

من بين خطط التمويه التي طبقها الخيالة النوميدية هو ما ذكره "فرونتان" عن فرسان نوميديين في ليغوريا كانوا ضمن القوات المساعدة في الجيش الروماني تحت قيادة القنصل "كوينتوس مينوكيوس" كان يبدو مظهرهم رثا وحركاتهم غير منتظمة وكانوا يتظاهرون بالسقوط من على ظهور الخيول، ليشكلوا عرضا يغري جنود العدو في التخلي عن مواقعهم وصفوفهم، ويقترب الفرسان النوميديين ببطء، وما إن تحين الفرصة ينطلق الفرسان يشقون الصفوف التي فقد تراصها وتماسكها[4]، وهو ما أشار له "تيتيوس ليفيوس" حيث قال أنه للوهلة الأولى تبدو الخيالة النوميدية بمظهر بسيط جدا وبعدد غير معتبر، وكما يظهر الفارس من دون الحزام الحربي ولا يحمل من الأسلحة سوى بضعة رماح، ويمتطي الفرسان خيولا غير مسرجة[5].

خاتمة

حافظ الفرسان النوميديين على تقاليد الفروسية عبر قرون طويلة، فمن خلال الكتابات الكلاسيكية تناول الكتاب القدامى خصائص ومميزات الفرسان النوميديين، سواء من جانب كيفية ركوب الحصان الذي يميزها عن غيرها في عدم استخدام السرج واللجام، ومن جانب تسليح الفارس النوميدي الذي يعتمد على أسلحة خفيفة لكنها فعالة وتتمثل في الدرع الدائري والرماح، وهذا ما تؤكده الشواهد الأثرية، كما تميزت الخيالة النوميدية بفعالية قتالية عالية عبر طريقة القتال والخطط التي طبقتها في المعارك ما جعل منها القوة الضاربة للجيش النوميدي، ورغم الاحتلال الروماني لإفريقيا إلا أن تقاليد الفروسية النوميدية استمرت لفترة غير قصيرة من الزمن.

---

[1] Salluste. LIII, 194
[2] Polybe. (2004). **Histoire.** Trad. J. Defoucault. Paris. III. 71
[3] Appien. III, XII, 46-49
[4] Frontin. (1999). **Les stratagèmes. Introduction**. Trad. P. Laederich. Paris. I
[5] Tite-Live. XXXV. 11. 7-8

قائمة المراجع

- أورسيوس. (1982). تاريخ العالم. ترجمة بدوي عبد الرحمن. بيروت
- عقون، محمد العربي. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. عين مليلة
- حارش، محمد الهادي. (2013). مملكة نوميديا. دراسة حضارية منذ القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م. الجزائر
- فرحاتي، فتيحة. (2007). نوميديا: من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213 -46 ق.م. الجزائر

- Ait Amara O. (2016). «**Les armes de protection des combattants numides à l'époque de Massinissa**» Massinissa au cœur de la consécration du premier état numide. Actes du colloque international El Khroub (Constantine) du 20 au 22 sept. 2014. Alger
- Ait Amara O. (2014-2015). « **Le cheval en Numidie : bilan des connaissances** ». *Aquila Legionis*. pp. 23-44. Madrid
- Ait Amara, O. (2013). **Numides et Maures au combat. Etats et armées en Afrique du Nord jusqu'à l'époque de Juba Ier.** Ortacesus
- Appien. (2001). **Histoire romaine**. Trad. P. Goukowsky. Paris
- Ardant du Picq, Ch. (1978). **Etudes sur le combat. Combat antique et combat moderne**. Paris
- Camps, G. Chaker, S. Laporte, J.P. (1999). « **Deux nouvelles stèles kabyles au cavalier** ». *B.A.C.* 25. 1996-1998. pp.19-32. Paris
- Camps, G. Chenorkian, R. Lhote, H. (1989). « **Armes** ». *E.B.* VI
- Desportes, V. (2001). **Comprendre la guerre**. 2e éd. Paris
- Elien. (2002). **Nature Animaux.** Trad.A. Zucker. Paris
- Frontin. (1999). **Les stratagèmes. Introduction**. Trad. P. Laederich. Paris
- Gsell, St. (1913). **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord.** I. Librairie Hachette et Cie. Paris
- Gsell, St. (1918). **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord.** II. Librairie Hachette et Cie. Paris
- Gsell, St. (1927). **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord**. V. Librairie Hachette et Cie. Paris
- Gsell, St. (1928). **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord**. VII. Librairie Hachette et Cie. Paris
- Hérodote. (1985). **Histoires**. Trad. Le Grand Ph.E. Paris
- Laporte, J.P. (1992). « **Datation des stèles libyques figurées de Grande Kabylie**». *Africa Romana*. Oristano
- Le Bohec, Y. (2014). **La guerre romaine : 58 avant J.-C.-235 après J. –C.** Paris
- Lucain. (1976). **Guerre civile**. Trad. Bourgery. Paris
- Pline l'ancien. (1829). **Histoire Naturelle**. Trad. M. Ajasson de Grandege. Paris
- Polybe. (2004). **Histoire.** Trad. J. Defoucault. Paris
- Pseudo César. (1997). **La guerre de l'Afrique**. Trad. A. Bouvet. Paris
- Salluste. (1968). **Guerre de Jugurtha**. Trad. F. Richard. Paris
- Silius Italicus. (1979). **La guerre punique. I. IV**. Trad. P. Miniconi. G. Devallet. Paris
- Strabon. (1819). **Géographie.** Trad. M. Coray. Paris
- Tite-live. (1988). **Histoire Romaine**. Trad. A. Flobert. Paris

عودة المقاتلين الإرهابيين الأجانب: التهديدات، والتحديات المستقبلية على الأمن الدولي

The return of foreign terrorist fighters: threats and future challenges on international security

الدكتورة جعفر صبرينة

كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية جامعة الجزائر 3 ، DJAFFAR.SABRINA16@gmail.com

ملخص

تهدف الدراسة للتطرق إلى التهديدات المستقبلية المرتبطة بالمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع في سوريا والعراق على الأمن الدولي عامة وعلى الأمن الوطني للدول المعنية بالظاهرة، خاصة أولئك الذين لديهم نوايا في مواصل النشاط الإرهابي خارج بؤر التوتر سوريا والعراق، كما سنبرز التحديات المستقبلة للدول المرتبط بتهديدات المقاتلين الإرهابيين الأجانب:

كما تسعى الدراسة التسليط الضوء على المناطق المرشحة والمحتمل أن تكون الوجهة المفضلة للمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين، وذلك انطلاقا من مؤشرين أساسيين: مدى استقرار الأوضاع الأمنية ونجاعة المؤسسات الأمنية لدول تلك المناطق في القيام بمهمة مراقبة الحدود والتعاون الاستخباراتي الثنائي أو الإقليمي لدول المنطقة، بالإضافة الى المؤشر المتعلق بمدى وجود حركات وخلايا إرهابية نشطة أو نائمة في المنطقة التي من شأنها احتضان المقاتلين الإرهابيين الأجانب المنسحبين من مناطق الصراعات والتوتر. في السنوات الاخيرة في ظل خسارة التنظيم لمناطق سيطرته في سوريا والعراق.

الكلمات الدالة: الارهاب ,تنظيم داعش, المقاتلين الإرهابيين الأجانب, التهديدات الامنية, الامن الدولي.

Abstract:

This study treats the dilemma of former 'daesh' foreign fighters who left the Iraqi and Syrian arena. These fighters do constitute a threat on international security, and on the security of Arab states. Moreover,.

Study not only highlights future challenges associated with this issue, but also the hot spotlights where these fighters may operate, starting with: (1) the security situation and the stability of institutions in charge of security; (2) the presence of terrorist cells, either active or inactive, that may integrate such individuals, especially after 'daesh' lost many territories like Iraq and Syria.

Key words: Terrorism, deash, foreign fighters, security threats, international security.

مقدمة:

تطرح معضلة عودة المقاتلين الإرهابيين الأجانب الذين قاتلوا في السابق مع تنظيم داعش الارهابي جملة من التهديدات الأمنية والتحديات الكبيرة على البلدان التي وجدت نفسها مجبرة على التعامل مع هذه المعضلة المعقدة بعد أن جعله الرئيس الأميركي دونالد ترامب أمرا واقعا أمام المجتمع الدولي عندما أعلن أنه يجب القبول بعودة المقاتلين الأجانب في ظل حشر التنظيم الارهابي في المربع الأخير له في سوريا والعراق.

ولكن عودة هؤلاء عودة عناصر تنظيم داعش إلى بلدانهم الأصلية تؤرق دول شمال أفريقيا التي تقول الإحصائيات إن مواطنيهم يشكلون نسبة هامة من التنظيم الارهابي، إلى جانب وجود تنظيمات متطرفة محلية تنشط في هذه المناطق وهي عبارة عن تفرعات لتنظيم داعش الارهابي أو موالين له مما يجعل إمكانية الالتحاق بهذه المجموعات المحلية حلا بالنسبة لعناصر داعش في ظل خسارة التنظيم لمناطق سيطرته في سوريا والعراق.

المشكلة البحثية:

جملة من التساؤلات الكثيرة تطرح عندما نناقش فماهي اهم التهديدات والرهانات التي يمكن التي تشكلها عودة هؤلاء على أمن بلدانهم في ظل التهديدات المتواصلة التي لا يزال يشكلها الإرهاب؟ وكيفية التعامل مع عودة المقاتلين في صفوف تنظيم داعش إلى بلدانهم، من بينها المحاكمات ووضع برامج خاصة لإعادة تأهيل العائدين من جهة من جهة اخرى هناك العديد الدول في أوروبا وفي شمال أفريقيا هناك رفض شعبي كبير لعودة من انظموا إلى تنظيمات المتشددة وتورطوا بشكل أو بآخر في الجرائم الإرهابية التي ارتكبها هؤلاء .

ويترتب عن الإشكالية المطروحة، التساؤلات الفرعية التالية:

1- ما هي تجليات ومظاهر تأثير المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع في سوريا والعراق على الأمن الدولي؟

2- ما هي التهديدات الامنية المستقبلية المرتبطة بالظاهرة على الأمن الدولي؟

3- ماهي أهم الرهانات المستقبلية للدول في عملية مواجهة التهديدات المرتبطة بالعودة المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من سوريا والعراق؟

الفرضيات المستعملة:

وتستند الدراسة للإجابة عن الإشكالية الرئيسية مجموعة من الفرضيات العلمية.

1- العمليات الإرهابية التي ينفذها المقاتلون الإرهابيون الأجانب العائدون من سوريا والعراق لها نتائج - قصيرة المدى- وآثار -طويلة المدى- على مختلف أبعاد ومكونات الأمن الوطني للدول .

2- تدهور الأوضاع الأمنية ووجود حركات وخلايا إرهابية في بعض المناطق، تجعلان منها فضاء مستقطب وبيئة حاضنة للمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من سوريا والعراق مستقبلا .

3- تعد إجراءات منع ومكافحة ظاهرة عودة المقاتلين الإرهابيين الأجانب تحديات آنية ومستقبلية للمجتمع الدولي عامة والدول المشكلة له خاصة.

أهداف الدراسة:

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية التالية:

1- التعريف بظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب وإعطاء نظرة عامة حولها، خاصة كونها موضوع الساعة ، ناهيك عن الاهتمام الدولي الذي جعل منها تتصدر أولوية أولوياته في عملية منعها ومكافحتها في الوقت الراهن.

2- التعرض لاهم التهديدات و التحديات المستقبلية للظاهرة على الأمن الدولي، وتجلياتها على المستوى الدولي، سواء على أمن الدول، وحركيته وحجم التهديدات المرتبطة بها.

مناهج الدراسة:

وبهدف الإلمام بجميع جوانب البحث، اعتمدنا في دراستنا هذه على تكاملية منهجية توفق ما بين المنهج التاريخي من خلال العودة إلى جمع المعطيات والمعلومات المتعلقة بالمراحل والمحطات التاريخية السابقة وكذا الظروف والوقائع التاريخية التي عرفت بروز ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب، وتتبع ديناميكيته ومسار تطورها مع مرور الوقت، إلى غاية وصولها للمرحلة التي هي عليها الآن .

تقسيم الدراسة:

أما بخصوص خطة الدراسة، فقد ارتأينا أن تقسم إلى ثلاث محاور رئيسية، خصص المحور الأول لمفهوم ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب أما المحور الثاني من الدراسة فقد ثم التطرق فيه إلى التهديدات والتحديات المستقبلية المرتبطة بظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب على الأمن الدولي، اما المحور الثالث و الاخير تناولنا فيه الوجهات المستقبلية المحتلة للمقاتلين الإرهابيين الأجانب، وقد ركزنا في ذلك على ثلاث مناطق مرشحة لأن تستقطب العديد من المقاتلين الإرهابيين الأجانب مستقبلا، ويتعلق الأمر بمنطقة إفريقيا و منطقة آسيا فمنطقة أوروبا.

المحور الأول: مفهوم ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب

إن مصطلح المقاتلين الأجانب كان يستعمل للتعبير عن الكتائب الدولية المتكونة من الملتحقين الأجانب القادمين من مختلف دول العالم للمشاركة في الحروب الأهلية التي عرفتها بعض الدول على غرار الحرب الأهلية الاسبانية وكذا الحروب اليوغسلافية في بداية تسعينيات القرن الماضي ولكن مع الهجمات الإرهابية التي استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية في **11**سبتمبر **2001**، تم ربط الجهاد بالمقاتلين الأجانب وأصبح الحديث عن المقاتلين الإرهابيين الأجانب[1]، فماذا يقصد بظاهرة المقاتلين الارهابيين الأجانب ؟ وماهي أهم المفاهيم المرتبطة بها ؟

[1] - David Malet," Foreign Fighter Mobilization and Persistence in a Global Context", Terrorism and Political Violence, Volume 27, 2015 - Issue 3 p3

1- مفهوم ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب:

المقاتلون الإرهابيون الأجانب: لقد عرفت ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب العديد من التعريفات، من أبرزها نذكر ذلك التعريف الذي جاء في قرار مجلس الأمن رقم 2178 (2014)، الذي يعتبر أن المقاتلين الإرهابيين الأجانب هم الأفراد الذين يسافرون إلى دول غير التي يقيمون فيها أو يحملون جنسيتها بغرض ارتكاب أعمال إرهابية أو تدبيرها أو الإعداد لها أو المشاركة فيها أو توفير تدريب على الأعمال الإرهابية أو تلقي ذلك التدريب في سياق النزاعات المسلحة [1].

من خلال التعريف المقدم نرى أنه يركز في تعريف ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب على ثلاث معايير أساسية: المعيار الأول هو معيار قانوني، كون أن الأفراد ينتقلون إلى دولة أو دول أجنبية عنهم، في وضعية غير قانونية كونهم لا يحملون جنسيتها أو شهادة الإقامة فيها، أما المعيار الثاني فهو معيار النشاط الإرهابي، ذلك أن الهدف والمقصد من انتقال الأفراد إلى تلك الدول هو الاضطلاع بأنشطة إرهابية سواء كان ذلك النشاط يتعلق بتنفيذ هجمات إرهابية أو التدبير لها أو التخطيط لها أو تقديم تدريبات عليها أو تلقي ذلك التدريب وغيرها، بمعنى كل الأنشطة المرتبطة بالعمل الإرهابي، أما المعيار الثالث والأخير هو المعيار الأمني، والمتمثل في أن الدول والمناطق التي يتم الانتقال إليها تعرف أوضاع أمنية غير مستقرة وفي غالب الأحيان تشهد نزاعات مسلحة وصراعات داخلية .

2- تعرف الأمن الدولي:

قبل التطرق إلى تعريف الأمن الدولي، يجب بداية تعريف الأمن، فالأمن لغة يشير في القواميس اللغوية إلى تحقيق حالة من انعدام الشعور بالخوف و إحلال الشعور بالأمان ببعديه النفسي والمادي مكانها[2].

أما اصطلاحا فقد عرف العديد من التعريفات من أهمها وأبرزها نذكر التعريف الذي قدمه "**Walter Lippman** " الذي اعتبر الأمن بأنه الحالة التي تبقى فيها الأمة في وضع آمن إلى الحد الذي لا تكون فيه عرضة لخطر التضحية بالقيم الأساسية إذا كانت ترغب في تفادي وقوع الحرب، وتبقى قادرة لو تعرضت لتحد على حماية هذه القيم عن طريق انتصارها في حرب كهذه، أمّا "Arnold Wolfers" فيرى بأنّ الأمن موضوعيا يرتبط بغياب التهديدات ضد القيم المركزية، أما ذاتيا فهو يشير إلى غياب الخوف من أن تكون تلك القيم موضع هجوم[3].

أما فيما يخص **الأمن الدولي**، فقد عرف هو الآخر العديد من التعريفات، من أهمها نذكر ذلك التعريف الذي يعتبر بأن الأمن الدولي يقصد به، كمفهوم، أربعة أشياء: الأمن الدولي هو هاجس لكل الدول، هو حاجة لكل الدول، هو غاية لكل الدول ولكن أيضا هو معضلة لكل الدول، وعند الحديث عن الأمن الدولي فإن الأمر يتعلق بتصور غائي للمجتمع الدولي، خاصة فيما يتعلق بالتعامل مع الظواهر المهددة للأمن والسلم الدوليين، وهو بذلك يرتبط من جهة بالطبيعة التعددية للدول التي ينتج عنها فوضى بنيوية في النظام الدولي، ومن جهة أخرى، يتعلق بمفاهيم **التهديد** (الذي يقصد به وضع القيم المركزية للدولة ومصلحتها الوطنية في خطر سواء كانت مصالح قطرية أو كونية)، **الهشاشة**

[1] -القرار رقم: 2178 المؤرخ في: 2014/09/24، المتعلق بالمقاتلين الإرهابيين الأجانب.

[2] - فايز محمد الدويري، ***الأمن الوطني***، (الأردن، دار دائر لنشر والتوزيع،2013)، ص66

[3] - جون بيليس , ستيف سميث, ***عولمة السياسة العالمية***، (دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2004)، ص 412.

(الذي يقصد بها غياب الاستقرار أو ضعفه في المنظومة الاقتصادية، العسكرية، السياسية والقيمية سواء داخل الدولة أو على المستوى الدولي) **والخطر** (الذي يرتبط بإدراك مرحلي مجالي للتهديد في بدايته، الذي يمكن احتوائه إن لم يتفاقم[1].

وانطلاقا من هذه المكونات الثلاثة للدول يميز "**Barry Buzan**" ما بين مصادر التهديد التي تمس بأمن الدول وأهداف السياسات المنتهجة لمواجهتها حسب القطاعات إلى: التهديدات العسكرية، التهديدات الاقتصادية، التهديدات السياسية، التهديدات المجتمعية والتهديدات البيئية.

كما يعتبر التصور الموسع للأمن الذي طرحه "Barry Buzan" من بين أهم الإسهامات المقدمة في مجال الدراسات الأمنية، إذ أن فهم البعد الأمني للدول ودراسته يتطلب تسليط الضوء على الأبعاد المختلفة للأمن القومي للدول، ويتعلق الأمر بكل من: الأمن العسكري، الأمن السياسي، الأمن الاقتصادي، الأمن المجتمعي والأمن البيئي[2].

أما "**Barry Buzan**" فيرى بأن الأمن مفهوم معقد وأن تعريفه ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار ثلاثة معطيات أساسية، بدأ بالسياق السياسي للمفهوم، مرورا بالأبعاد المختلفة له، وانتهاء بالغموض والاختلاف الذي يرتبط به عند تطبيقه في العلاقات الدولية.

3- تعريف مصطلح المقاتلين الإرهابيين الأجانب

من أهم التعريفات المقدمة لظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب من طرف المنظمات الدولية, نذكر ذلك التعريف المقدم من طرف منظمة الأمم المتحدة من خلال قرار مجلس الأمن رقم **2178** الصادر في **24** سبتمبر **2014** المتعلق بظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب، الذي يعرفها بأنها: **"**مجموعة الأفراد الذين يسافرون إلى دول غير تلك الدول التي يقيمون بها أو يحملوا جنسيتها بغرض ارتكاب أعمال إرهابية أو تدبيرها أو الإعداد لها أو المشاركة فيها أو توفير تدريب على الأعمال الإرهابية أو تلقي ذلك التدريب في سياق النزاعات المسلحة**"**[3].

أما التقرير الصادر عن لجنة الأمن القومي الامريكي الصادر في سبتمبر **2015**, يعرف ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب بأنهم الافراد الذين يغادرون دولهم ويعبرون الحدود من أجل الالتحاق بجماعات متطرفة[4].

أما "**Paul Tumelty**" و"**Cerwym Moore**" فيعرفان المقاتلين الإرهابيين الأجانب بأنهم المقاتلين الغير محليين والغير أصليين –بالنسبة للدولة التي يقاتلون بها –، الذين يلتحقون بمنطقة نزاع مسلح للمشاركة في أعمال عدائية مدفوعين بدوافع ايديولوجية ودينية بدلا من الدوافع المالية[5].

أما "**Thomas Hagghammer**" فيعتبر بأن المقاتلين الإرهابيين الأجانب هم الأفراد الذين :

- يلتحقون وينشطون في منطقة تمرد إلى جانب المتمردين.

---

[1] - محند برقوق, ***مقدمة لطلبة السنة الأولى ماجيستير تخصص العلاقات الدولية والأمن الدولي***، (وهران: جامعة وهران 2 محمد بن أحمد، 2012/2011).

[2] - Barry Buzan , ***New patterns of global security in the twenty-first century***, (International Affairs, 1991), pp 439-450

[3] - United Nations: security council, resolution 2178, 24/09/2014, p2.

[4] - ***combating terrorism and foreign fighter***, (USA: Home land security comity travel, 2015) p8.

[5] - Cerwyn Moor, Paul Tumelty, " foreign fighters and the case of Chechnya: a critical assessment", ***studies in conflict and terrorism***, 2008, p413.

- لا يتمتعون بصفة المواطنة لأحد طرفي الصراع ولا تربطهم أي علاقة بهم.
- لا ينتمون إلى مؤسسة عسكرية رسمية.
- لا يتقاضون مقابل مالي.

وانطلاقا من مختلف التعاريف المقدمة لظاهرة المقاتلين الإرهابين الأجانب سواء من طرف المنظمات الدولية، مراكز الأبحاث واللجان الوطنية المختصة والباحثين والمختصين، نستنتج أن هناك إجماع واتفاق حول العناصر المشكلة لتعريف الظاهرة، ويتعلق الأمر بـ:

- أنهم يلتحقون بمناطق للصراعات المسلحة.
- أنهم ينتقلون إلى دول غير دولهم الأصلية التي يحملوا جنسيتها أو يقيمون بها.
- أنهم يقاتلون إلى جانب جماعات إرهابية.
- أنهم مدفوعين بأسباب وخلفيات إيديولوجية وعقائدية.
- أنهم يقومون بأعمال ونشاطات إرهابية.

وعليه، يمكن أن تعرف ظاهرة المقاتلين الإرهابين الأجانب بأنهم الأفراد الذين ينتقلون إلى مناطق الصراعات المسلحة في دول أجنبية قصد الالتحاق بالجماعات المتطرفة والمشاركة في مختلف الأعمال والنشاطات الإرهابية مدفوعين في ذلك بخلفيات وأسباب إيديولوجية متطرفة.

المحور الثاني: تداعيات وآثار ظاهرة المقاتلين الأجانب على الأمن الدولي:

إن النشاطات والأعمال الإرهابية التي يقوم بها المقاتلون الإرهابيون الأجانب النشطين في تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام سواء في منطقة الصراع في كل من سوريا والعراق أو أثناء عودتهم إلى دولهم الأصلية أو دول إقامتهم أو دول العبور أو دول ثالثة التي يلجؤون إليها لها تداعيات مباشرة على الأمن الوطني لتلك الدول ومن ثم على الأمن والسلم الدوليين.

ويتجلى تأثير ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب على بنية الأمن الدولي من خلال تأثيرها على الأمن القومي للدول الأصلية أو الدول المقيمين بها أو دول العبور أو دول ثالثة والدول المجاورة لمنطقة الصراع بمختلف أبعادها سواء ما تعلق بالأمن العسكري، الأمن الاقتصادي.

1- تأثير ظاهرة المقاتلين الإرهابيين على الأمن العسكري والاقتصادي للدول:

بالنسبة لتأثير ظاهرة المقاتلين الأجانب على الأمن العسكري يعتبر **Barry Buzan** بأن الهدف المرجعي الأساسي والأولي للأمن العسكري هي الدولة، وتتضمن الحفاظ على السلامة الترابية للإقليم وحمايتها من مختلف التهديدات والأخطار التي قد تتعرض لها من البيئتين المحلية الداخلية والإقليمية للدولة[1].

[1] - Barry Buzan, ***Op. cit***, p70.

فبالعودة لتأثير العمليات الإرهابية المنفذة من طرف مقاتلين سابقين بتنظيم الدولة في العراق والشام على الأمن العسكري للدول المستهدفة، تجدر الإشارة إلى أنه ومنذ الإعلان عن دولة الخلافة في جوان **2014** إلى غاية فيفري **2017** تم تنفيذ حوالي **143** هجوم إرهابي في **29** دولة، مخلفة بذلك تسجيل مقتل حوالي **2000** شخص وسقوط العديد من الجرحى، إضافة للعديد من الخسائر المادية الكبيرة، الأمر الذي جعل من تنظيم الدولة من التنظيمات الإرهابية الأكثر دموية في العالم[1].

إذ شهدت فرنسا في الفترة ما بين **2014-2016** العديد من الهجمات الإرهابية التي كان لها التأثير المباشر على أمنها العسكري، من أبرزها هجمات **13** نوفمبر **2015** بباريس التي استهدفت ملعب فرنسا وثلاث شوارع في العاصمة الفرنسية، وقد أسفر هذا الهجوم حسب تصريحات الرئيس الفرنسي **François Hollande** في **27** نوفمبر **2015** عن مقتل **130** مواطن فرنسي وإصابة أكثر من **400** شخص بجروح متفاوتة الخطورة، إضافة إلى إحصاء العديد من الخسائر المادية التي مست المنشآت والمؤسسات العمومية والخاصة[2].

في نفس الإطار، عرفت تونس هي الأخرى في الفترة ما بين **2014-2016** مجموعة من الهجمات الإرهابية، كالهجوم الإرهابي الذي استهدف متحف "باردو" في **18** مارس **2015**، والذي نفذ من طرف إرهابيين من جنسية تونسية، كانا –حسب التقارير الأمنية- منتميين إلى كتيبة **عقبة بن نافع** التابعة لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي قبل أن يلتحقا بمراكز التدريب التابعة لتنظيم الدولة في ليبيا، وقد أسفر الهجوم على مقتل **23** شخص معظمهم سياح من جنسيات فرنسية، ايطالية، ألمانية وبولندية، إضافة إلى شرطي تونسي، كما تم تسجيل إصابة **05** أشخاص بجروح خطيرة.

وعليه فقد كان لتلك العمليات الإرهابية تأثير مباشر على الأمن العسكري للدول المستهدفة وذلك من خلال استهدافهم لمؤسسات ومنشآت عمومية وخاصة، وكذا إسقاط العديد من القتلى والجرحى محدثين بذلك إخلال بالنظام العام وسلامة الإقليم وأمن مواطنيها هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يعتبر تنفيذ تلك الهجمات الإرهابية فشل بالنسبة للفواعل الأمنية داخل الدولة كونها فشلت في رصد ومن ثم منع تنفيذها.

أما بالنسبة لتأثير ظاهرة المقاتلين الأجانب على الأمن الاقتصادي، وهو البعد الذي لا يقل أهمية عن سابقه، فالأمن الاقتصادي حسب **Charles Wolf** هو القدرة على حماية وتعظيم المصالح الاقتصادية للدولة في وجه مختلف الأحداث والتغييرات والتطورات التي من شأنها تهديد أو تعطيل تلك المصالح، سواء كانت تلك التحديات والعراقيل مصدرها داخلي أو خارجي[3].

---

[1] - William Audureau,; Maxime Vandano , Les attentats de l'Etat Islamique : 20 pays, 18 mois , plus de 1600 morts, Available from: www.lemonde.fr, Accessed on: 4/7/2019.

[2] - William Audureau, ***Ibid***.

[3] - C.R Neu ; Charles Wolf, ***the economic dimensions of national security***, (RAND, 1994), p94

فالهجمات الإرهابية التي نفذت في العديد من الدول كان لها تداعيات وآثار طويلة الأمد على الأمن الاقتصادي للدول المستهدفة، فحسب كل من **Philip Keefer** و**Norman Loayzo** يمكن أن نميز ما بين نوعين من الخسائر والتكاليف الاقتصادية الناجمة عن ذلك[1].

- **التكاليف المباشرة:** وتتمثل في الخسائر التي تنجم مباشرة عن تنفيذ الهجمات الإرهابية كالأضرار التي تلحق بالممتلكات العمومية والخاصة، تخريب البنى التحتية وتقليص النشاط التجاري على المدى القصير في المنطقة المستهدفة.

- **التكاليف الغير مباشرة:** تكون هذه التكاليف على المدى المتوسط والبعيد من خلال تسجيل تراجع في المؤشرات الاقتصادية للدولة على المستوى الكلي كتراجع معدل الدخل المحلي الخام، تراجع الاستثمارات الأجنبية المباشرة، تراجع قيمة العملة الوطنية، ارتفاع معدلات التضخم.

هذا وتعتبر **Irina Gabriela** في مقال لها بعنوان **"الإرهاب وتداعياته على الاقتصاد الكلي"**، أن الهجمات الإرهابية لها تداعيات على النشاط الاقتصادي داخل الدولة من خلال[2]:

- تخريب البنى التحتية للدولة والممتلكات العمومية والخاصة.
- تراجع معدلات قطاع الاستثمار خاصة الاستثمار الأجنبي المباشر.
- التأثير على سوق الأسهم **stock market** وأسهم رأس المال **capital stock**.
- التأثير على معدل النمو الاقتصادي للدولة من خلال تراجع تدفقات رؤوس الأموال كنتيجة لتراجع الاستثمار الأجنبي المباشر، ومن ثم تراجع في العملة الوطنية كنتيجة حتمية لتراجع الطلب عليها.

فمن خلال ما سبق، يمكن القول بأن الهجمات الإرهابية المنفذة من طرف المقاتلين الإرهابيين الأجانب الذي التحقوا بتنظيم الدولة في العراق والشام بعد عودتهم لدولهم الأصلية على غرار تونس وفرنسا، كان له انعكاسات سلبية على الأمن الاقتصادي للدول، من خلال تأثيره على النشاط الاقتصادي لتلك الدول وذلك بتسجيل تراجعات في المؤشرات الاقتصادية الخاصة بها بداية بتراجع العوائد المالية للقطاعات الحساسة الجالبة للعملة الصعبة مثل القطاع السياحي الذي يساهم بحصة معتبرة من الدخل المحلي الخام لبعض الدول، ثم انخفاض تدفقات رؤوس الأموال من الخارج في إطار الاستثمارات الأجنبية المباشرة ومن ثم تراجع في قيمة العملة الوطنية للدول المستهدفة، مما يؤثر على معدل النمو الاقتصادي للدولة، زيادة على ذلك تراجع النشاط التجاري بسبب الأوضاع الأمنية الغير مستقرة من شأنه أن يؤثر على التحصيل الجبائي وإيرادات الميزانية العمومية للدول من الوعاء الضريبي بسبب تراجع النشاط التجاري، إضافة الى زيادة تكاليف الأمن[3].

---

[1] - Philip Keefer , Norman Loayzo, ***Terrorism, economic development and political opennes***, (Combridge University press , 2008), p20.

[2] - Irina Gabriela , Radu Lesca, ***Terrorism and its impact on global economy : trends and challenges***, 2016, p90.

[3] - قرار رقم: 246/72 المؤرخ في 18 جانفي 2018 المتعلق بآثار الإرهاب على التمتع بحقوق الإنسان، الفقرة 05، ص.04 .

2- تأثير المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين على حل النزاعات:

إضافة لمساهمة المقاتلين الإرهابيين الأجانب في تنفيذ أعمال إرهابية وكذا الدور الذي يقمون به والمتمثل في نشر الأفكار المتطرفة والتجنيد لصالح تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، فإن لنشاط المقاتلين الإرهابيين الأجانب تأثير كذلك على حل النزاعات في مناطق الصراع.

ففي هذا الصدد تشير العديد من التقارير الصادرة عن هيئات الأمم المتحدة المكلفة بمكافحة الإرهاب وكذا قرارات مجلس الأمن لاسيما القرار 2178 (2014) وكذا القرار 2396 (2017) على أن الخطر والتهديد الذي يشكله المقاتلون الإرهابيون الأجانب لا يقتصر على دولهم الأصلية أو الدول التي يقيمون فيها، وإنما يتعداها الى التأثير على مناطق النزاع في العالم.

فمناطق الصراع التي ينشط بها مقاتلون إرهابيون أجانب سيؤثرون عليها من خلال كونهم يصعبون ويطيلون ويعرقلون عملية حل الصراع في المنطقة، إضافة إلى ذلك، فإنهم يشكلون تهديدا محتملا على الأمن الوطني للدول المجاورة لمناطق النزاعات[1].

فوجود مقاتلين إرهابيين أجانب يزيد من حدة الصراعات ومدتها واستعصائها على الحل وذلك إضافة لما قد يشكله المقاتلين الإرهابيين الأجانب من تهديد على أمن دولهم الأصلية والدول التي يعبرونها والدول التي يسافرون إليها والدول المجاورة لمناطق النزاعات المسلحة والتي تعاني في غالب الأحيان أعباء أمنية جسيمة، كما قد يطال تهديد المقاتلين الإرهابيين الأجانب جميع الدول والمناطق حتى البعيدة منها عن مناطق النزاعات[2].

3- تأثير المقاتلين الإرهابيين الأجانب على الامن الدولي في مجال مكافحة الإرهاب:

إضافة لتأثير ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب على بنية وحركية الأمن الدولي، فقد كان لها كذلك تأثير على أدوات الأمن الدولي في مجال مكافحة الإرهاب، لا سيما على استراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب وكذا الإجراءات والتدابير الأمنية المنصوص عليها في قراري مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة رقم **2178** المؤرخ في **24** سبتمبر **2014** والقرار رقم **2396** المؤرخ في **21** ديسمبر **2017**، وقبل تبيين تجليات هذا التأثير، لابد بداية إلى استعراض ما جاء فيها من تدابير وإجراءات لمكافحة ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب.

كما قام المجتمع الدولي من خلال منظمة الأمم المتحدة قصد منع ومكافحة الإرهاب وكذا ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب على وضع استراتيجية عالمية لمكافحة الإرهاب والتي تعرف باستراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب، بالإضافة إلى اتخاذ العديد من التدابير الرامية لمواجهة ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع في سوريا والعراق من خلال إصدارها للقرار رقم **2178 (2014)** وكذا القرار رقم **2396 (2017)**.

[1] - ***Guidelines for addressing the threats and challenges of foreign terrorist fighters within a human rights framework***, (OSCE office for democratic institutions and human rights, 2018), p13/

[2] - قرار رقم: 2178 المؤرخ في: 2014/09/24 المتعلق بظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب، الأمم المتحدة، مجلس الأمن، ص2.

المحور الثالث: التهديدات والتحديات المستقبلية لظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب على الأمن الدولي.

ففي هذه النقطة سيتم التركيز على فئة المقاتلين الإرهابيين الأجانب الذين يعودون إلى دولهم الأصلية أو الدول التي يقيمون بها أو مناطق نزاع أخرى من أجل الاضطلاع بأعمال إرهابية جديدة في منطقة مختلفة لصالح التنظيم، سواء تنفيذا لتعليمات مركزية من قياديي التنظيم أو تعزيزا لصفوف فروع أخرى للتنظيم خارج المنطقة أو غيرها.

وسيتم التركيز في تحديد هذه المناطق على مؤشرين أساسيين:

–مؤشر أمني مؤسساتي: يرتبط هذا المؤشر بمدى الاستقرار الموجود في المنطقة أو الدول المشكلة لها وكذا نجاعة المؤسسات الأمنية لتلك الدول في مجال مراقبة الحدود وتحركات المقاتلين الإرهابيين الأجانب من وإلى دولها، بالإضافة إلى مدى مرونة وحيوية تبادل المعلومات ما بين أجهزتها الاستخباراتية بخصوص تحركات المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين.

–مؤشر تواجد حركات وخلايا إرهابية محلية أو إقليمية في المنطقة: وطبيعة العلاقة القائمة فيما بين مختلف التنظيمات الإرهابية لا سيما تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وتنظيم القاعدة، كون أن ذلك سيوفر للمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع بسوريا والظروف والبيئة المناسبين للالتحاق بالمنطقة، الأمر الذي يجعل منها فضاء استقطاب لمختلف المقاتلين الأجانب العائدين، وعليه، فقد قسمنا تلك المناطق إلى ثلاثة أقسام حسب القارة المتواجدة فيها، ويتعلق بالمناطق التي يحتمل أن يقصدها المقاتلون الإرهابيون الأجانب العائدون من سوريا والعراق في إفريقيا، آسيا.

1- المناطق الإفريقية

يمكن تقسيم المناطق المرشحة لاستقطاب المقاتلين الإرهابيين الأجانب في القارة الإفريقية إلى مناطق واقعة في شمال إفريقيا، غرب إفريقيا وشرق إفريقيا.

فالأوضاع الأمنية التي تعرفها بعض دول شمال إفريقيا على غرار ليبيا، تونس وبعض المناطق في مصر من جهة، وتواجد جماعات إرهابية موالية لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وبعض الخلايا التابعة له من جهة أخرى، جعل من المنطقة جاذبة للمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع في سوريا والعراق.

ففي **مصر**، أشارت العديد من التقارير المرفوعة إلى رئيس مجلس الأمن على مستوى منظمة الأمم المتحدة، إلى وجود جماعات إرهابية موالية لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وصمودها في بعض المناطق المصرية، لا سيما في شبه جزيرة سيناء، كجماعة أنصار بيت المقدس التي أعلنت ولاءها لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام في نوفمبر **2014**، إضافة إلى بعض الخلايا الإرهابية التي أصبحت أكثر بروزا للعيان في بعض المناطق المصرية الحضرية من خلال تنفيذها لعدة هجمات إرهابية في البلاد[1].

[1] - تقرير موجه الى رئيس مجلس الأمن من رئيس لجنة مجلس الأمن العاملة بموجب القرارات 1267 (1999) و1989 (2011) و2253 (2015) المؤرخ في: 2018/02/27 بشأن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) وتنظيم القاعدة وما يرتبط بهما.

هذا وقد أظهر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الناشط في شبه جزيرة سيناء بعض القدرات في استخدام بعض الأسلحة المضادة للطائرات من خلال إسقاطه لطائرة مروحية مصرية باستخدام أحد أنظمة الدفاع الجوي المحمولة، فضلا عن امتلاكه هذه الأسلحة، نجح التنظيم في اختراق مصالح الأمن العملياتي للقوات الأمنية المصرية بحيث تشير بعض عملياته من قبيل تفجير بعض السيارات التابعة للمنشآت الأمنية واختطاف إحدى السفن الحربية المصرية واغتيال بعض المسؤولين والضباط الأمنيين البارزين مثل **"محمد مبروك"** إلى امتلاكه بعض المعلومات الداخلية السرية حول القوات التي يستهدفها

هذا وقد أظهر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الناشط في شبه جزيرة سيناء بعض القدرات في استخدام بعض الأسلحة المضادة للطائرات من خلال إسقاطه لطائرة مروحية مصرية باستخدام أحد أنظمة الدفاع الجوي المحمولة، فضلا عن امتلاكه هذه الأسلحة، نجح التنظيم في اختراق مصالح الأمن العملياتي للقوات الأمنية المصرية بحيث تشير بعض عملياته من قبيل تفجير بعض السيارات التابعة للمنشآت الأمنية واختطاف إحدى السفن الحربية المصرية واغتيال بعض المسؤولين والضباط الأمنيين البارزين مثل **"محمد مبروك"** إلى امتلاكه بعض المعلومات الداخلية السرية حول القوات التي يستهدفها[1].

هذا ولم يقتصر أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام في ليبيا على المقاتلين الليبيين فحسب، بل التحقوا بالمنطقة مقاتلين من تونس، الجزائر، مصر، العراق، اليمن، السعودية، نيجيريا وغيرها من الدول، إذ قدر عدد المقاتلين التونسيين في ليبيا على سبيل المثال حوالي **1000** مقاتل.

كما أبدت العديد من الدول عن قلقها بخصوص التضامن والتعاون الحاصل ما بين الجماعات الإرهابية الإقليمية النشطة في شمال إفريقيا ومنطقة الساحل والصحراء وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، لاسيما في مجال التدريب وتوريد الأسلحة والدعم اللوجستي، إضافة إلى إقدام بعض الحركات الإرهابية كجماعة **"بوكو حرام"** بإنشاء خلايا إرهابية تابعة لها في الداخل الليبي.

فالأوضاع الأمنية الغير مستقرة وخاصة ضعف أنظمة مراقبة الحدود الليبية والدول الواقعة على مستوى حزامها الأمني من جهة، والخلايا الإرهابية المتواجدة على مستوى الدولة الليبية في مختلف مناطقها من جهة أخرى، زيادة على استغلال التنظيم للمناطق النائية في الوسط والجنوب الليبي للتدريب والتجنيد والإعداد للهجمات الإرهابية، يجعل من ليبيا من المناطق المرشحة بقوة لأن تصبح وجهة للعديد من المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من سوريا والعراق[2].

2- المناطق الآسيوية:

بالإضافة إلى المناطق الموجودة في القارة الإفريقية، هناك بعض المناطق الموجودة في آسيا والتي من شأنها هي الأخرى أن تكون وجهة للمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من سوريا والعراق، خاصة في منطقة وسط وجنوب آسيا ومنطقة جنوب شرق آسيا.

---

[1] - قرار رقم: 246/72 المؤرخ في 18 جانفي 2018 المتعلق بآثار الإرهاب على التمتع بحقوق الإنسان، الفقرة 05، الأمم المتحدة، الجمعية العامة، ص.04 .

[2] - بعثة الأمم المتحدة الى ليبيا، تقرير الأمين العام بخصوص الأوضاع السياسية والأمنية في ليبيا، مؤرخ في: 2019/01/07، الفقرة 18، الأمم المتحدة، مجلس الأمن،

تشير التقارير الصادرة عن لجنة مكافحة الإرهاب التابعة إلى مجلس الأمن للأمم المتحدة بأنه وبالرغم من استمرار العمليات العسكرية الأفغانية والدولية من أجل إضعاف تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام، إلاّ أنه لازال يقاوم ويشن هجمات إرهابية لا سيما في منطقة كابول، كما زاد عدد الأفراد والمقاتلين المنتسبين إلى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام كما زاد انتشارهم الجغرافي في البلد، كما أعربت عديد الدول عن قلقها من أن وجود مقاتلين إرهابيين أجانب من الأوزبك والطاجاكستانيين في شمال أفغانستان يحتمل أن يؤدي مع مرور الوقت إلى تشكيل تنظيم الدولة الإسلامية لتهديد حقيقي على أمن دول آسيا الوسطى.

هذا ويضم تنظيم الدولة الإسلامية في البلد مقاتلين إرهابيين تتراوح أعدادهم ما بين **1000 و4000** مقاتل منهم مقاتلين إرهابيين أجانب وأعضاء سابقين في حركة طالبان وباكستان (**Tehrik-e Taliban Pakistan**) والحركة الإسلامية لأوزبكستان (**Islamic Movement of Uzbekistan**) ومقاتلون من خارج المنطقة المباشرة فضلا عن منشقين عن حركة طالبان الأفغانية بالإضافة إلى المقاتلين الإرهابيين الأجانب القادمين من منطقة النزاع في سوريا والعراق.

بالإضافة إلى أفغانستان، كانت هناك عدة محاولات لتنظيم الدولة الإسلامية لإقامة وإنشاء هيكل تنظيمي في دولة باكستان، إلاّ أن العمليات العسكرية الباكستانية التي أجرتها في بعض المناطق القبلية أسفرت عن اعتقال أكثر من **4000** إرهابي من خلال ما يزيد عن **2000** عملية مبنية على معلومات استخباراتية، كما تم الإطاحة بحوالي **100** شبكة دعم محلية[1].

هذا وقد أعلنت لجنة الأمن القومي في كازاخستان يوم **20** نوفمبر **2014** عن وجود أكثر من **300** شخص من أصول كازاخستانية يقاتلون في صفوف التنظيم في سوريا والعراق، وأن خمسين بالمئة منهم هم من النساء، كما أضاف بيان لجنة الأمن القومي بأن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام استقطب العديد من الأفراد والمقاتلين الذي أقنعهم بالالتحاق بصفوفه في منطقة النزاع في سوريا والعراق والقتال إلى جانبه من دول منطقة آسيا الوسطى لا سيما من الشيشان القوقاز وكازاخستان.

إضافة إلى دول وسط وجنوب آسيا، تعتبر الدول الواقعة في جنوب شرق آسيا هي الأخرى من المناطق المحتمل أن تعرف تدفق العديد من المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع في سوريا والعراق، إذ جاء في تقييمات العديد من دول المنطقة بأن خسائر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا ستؤدي إلى تفاقم التهديد الذي تواجهه دول جنوب شرق آسيا، كون أن أموال التنظيم ومقاتليه الأجانب منتشرين في جميع دول العالم، ورغم أن غالبية المقاتلين الإرهابيين الأجانب من جنوب شرق آسيا، الذين يبلغ عددهم حوالي **1000** شخص لم يعودوا بعد، فإن أولئك الذين عادوا يشكلون تهديدا عابرا للحدود الوطنية) الأمم المتحدة، مجلس الأمن،(2019 .

[1] - بعثة الأمم المتحدة الى ليبيا، تقرير الأمين العام بخصوص الأوضاع السياسية والأمنية في ليبيا، الفقرة 53. 2019/01/07.

ففي إندونيسيا مثلا لازالت تعتبر كل من جماعة أنصار الخلافة (**Jamaah Ansharut Khilafah**) وجماعة أنصار الدولة (**Jamaah Ansharut Daulah**) من أهم الشبكات الإرهابية المرتبطة بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ولكل واحدة منهما مجال ونطاق نشاطها والذي يشمل عدة مقاطعات إندونيسية.

أما في ماليزيا، فتعرف هي الأخرى نشاطا للحركات الإرهابية النشطة بداخلها، إذ منذ سنة **2013** ثم الكشف عن **18** مخطط إرهابي في ماليزيا، تشكل مزيجا من المخططات المدارة من طرف تنظيم الدولة الإسلامية في منطقة النزاع في سوريا، والمخططات المستوحاة من الواقع المحلي وكذلك هجمات أشخاص منفردين، كما قامت السلطات الأمنية الماليزية في سنة **2017** بتعطيل وتفكيك خلايا إرهابية بداخلها تعمل على تجنيد السكان المحليين والأجانب للقتال في جنوب الفلبين.

إن التغير الاستراتيجي الحاصل في تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام من جراء الضغوط العسكرية التي تعرض لها من التحالف الدولي من جهة، وحركية المقاتلين الإرهابيين الأجانب الذين انتقلوا من منطقة النزاع في سوريا والعراق إلى دولهم الأصلية أو الدول التي يقيمون بها أو دولة ثالثة بالإضافة إلى أولئك الذين فضلوا الالتحاق بمناطق نزاع أخرى، خلق تحديات جديدة أمام الدول وكذا أمام منظمة الأمم المتحدة المسؤولة عن حماية الأمن والسلم الدوليين، لذلك سنتطرق من خلال هذا المبحث إلى استعراض أهم التحديات الجديدة التي أصبحت تفرضها ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب على المستوى الدولي، والتي يمكن حصرها في ثلاث تحديات أساسية: يتعلق التحدي الأول بغياب إحصائيات وأرقام دقيقة حول المقاتلين الإرهابيين الأجانب النشطين في تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، أما التحدي الثاني فيتمثل في التحديات القضائية التي تواجه المدعين العامين في التعامل مع القضايا المتعلقة بالمقاتلين الإرهابيين الأجانب، أما التحدي الثالث والأخير فيتمثل في التحديات الأمنية التي تواجه الدول الأعضاء مستقبلا بعد عودة المقاتلين الذين يحملون جنسيتها أو شهادة الإقامة فيها أو مناطق النزاعات المسلحة.

خاتمة:

انطلاقا مما سبق التعرض إليه من التهديدات والتحديات المستقبلية المرتبطة بظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع في سوريا والعراق يمكن الخروج بالاستنتاجات التالية:

أ. إن المناطق التي تعرف أوضاع أمنية غير مستقرة وغير متحكم فيها من طرف المؤسسات الأمنية من جهة، نشاط للحركات والخلايا الإرهابية التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وتنظيم القاعدة من جهة أخرى في إفريقيا - لا سيما شمال شبه جزيرة سيناء بمصر والمناطق الساحلية والوسطى والجنوبية لليبيا، ومالي، النيجر، نيجيريا، بوركينافاسو، الصومال، جيبوتي، إثيوبيا وكينيا- وآسيا –لاسيما أفغانستان، كازاخستان، أوزبكستان، طاجاكستان، ماليزيا، إندونيسيا والفيليبين- وبعض المناطق الأوروبية، تجعل منها مناطق مستقطبة ووجهات محتملة للمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من سوريا والعراق.

ب. التهديدات المستقبلية للمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع في سوريا والعراق، مرتبطة بالأساس بفئة المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين إلى دولهم الأصلية أو الدول التي يقيمون بها أو دول ثالثة أو مناطق النزاع قصد القيام بأنشطة إرهابية في إطار تعليمات مركزية من قياديي الدولة الإسلامية، أو انطلاقا من مبادرات فردية باسم التنظيم.

ج. التحديات المستقبلية المرتبطة بالمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع في سوريا والعراق، تتمثل أساسا في ما هو محتم على الدول مواجهته ذات الصلة بالمقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من سوريا والعراق، في إطار مهامها التقليدية والحيوية التي تضطلع بها والمتمثلة في حماية أمنها الداخلي والخارجي، وتتمثل بصفة خاصة في **تحديات أمنية** لها علاقة بنشاط المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين وما يشكلونه من تهديد حقيقي على أمنها الوطني، كخطر تعرضها لهجمات إرهابية، أو أن تصبح فضاء لتجنيد الأفراد وتدريبهم وعمق استراتيجي للحركات والتنظيمات الإرهابية، إضافة إلى **تحديات قضائية** مرتبطة بوضعيتهم القانونية ومدى توفر نصوص وتشريعات وقوانين تلائم وتستجيب لخصوصيات الظاهرة خاصة عند عودتهم إلى دولهم الأصلية أو الدول التي يقيمون بها، تفاديا للوقوع في فراغ قانوني بخصوص حالتهم ومن ثم صعوبة محاكمتهم ومتابعتهم، زد على ذلك صعوبات الحصول على أدلة ملموسة وواضحة لإدانتهم، دون أن ننسى **التحديات الاستخباراتية** المتصلة بهم، لا سيما فيما يخص غياب إحصائيات وأرقام دقيقة حول المقاتلين الإرهابيين الأجانب في مختلف المراحل التي مروا عليها، بداية من عدد الملتحقين بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام في سوريا والعراق إلى غاية عدد العائدين منهم إلى دولهم الأصلية أو الدول التي يقيمون بها أو دولة ثالثة أو مناطق النزاع، مرورا بعدد المقاتلين الإرهابيين الأجانب الذين قتلوا في المنطقة أو تم إلقاء القبض عليهم في إحدى دول العبور وغيرها.

أما فيما يخص تأثير المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين من منطقة النزاع في سـوريا والعراق على بنية الأمن الدولي فإنه يتجلى في نتائج وآثار نشـاطاتهم الإرهابية سـواء ما تعلق منها بتنفيذ هجمات إرهابية، التجنيد، نشـر أفكار متطرفة تفضي إلى العنف أو إنشاء خلايا إرهابية، على المكونات الثلاث التي تقوم عليها الدول (فكرة الدولة، القاعدة الفيزيائية للدولة ومؤسسات الدولة) ومن خلالها على الأبعاد المختلفة للأمن الوطني أهدافها المرجعية، سواء ما تعلق بالأمن العسكري، الاقتصادي، السياسي والمجتمعي.

قائمة المراجع

- الأمم المتحدة .(2018) .*قرار رقم 72/246 :المؤرخ في 18 جانفي 2018 المتعلق بآثار الإرهاب على التمتع بحقوق الإنسان، الفقرة 05.* الأمم المتحدة، الجمعية العامة.

- الأمم المتحدة، مجلس الأمن .(2014) .، *القرار رقم 2178 :المؤرخ في24/09/2014 :، المتعلق بالمقاتلين الإرهابيين الأجانب .*

- الأمم المتحدة، مجلس الأمن .(2014) .*قرار رقم 2178 :المؤرخ في 24/09/2014 :المتعلق بظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب .*

- الأمم المتحدة، مجلس الأمن .(2018) .*تقرير موجه الى رئيس مجلس الأمن من رئيس لجنة مجلس الأمن العاملة بموجب القرارات 1267 (1999)و (2011) 1989و (2015) 2253المؤرخ في 27/02/2018 :بشأن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام) داعش (وتنظيم القاعدة وما يرتبط بهما .*

- الأمم المتحدة، مجلس الأمن .(2019) .*بعثة الأمم المتحدة الى ليبيا، تقرير الأمين العام بخصوص الأوضاع السياسية والأمنية في ليبيا، الفقرة 53ة .07/01/2019 .*

- الأمم المتحدة، مجلس الأمن .(2019) .*بعثة الأمم المتحدة الى ليبيا، تقرير الأمين العام بخصوص الأوضاع السياسية والأمنية في ليبيا، الفقرة ./07/01/2019 .*

- أمم المتحدة، مجلس الأمن، .(2019) . *بعثة الأمم المتحدة الى ليبيا، تقرير الأمين العام بخصوص الأوضاع السياسية والأمنية في ليبيا، مؤرخ في07/01/2019 :، الفقرة 18 .*

- جون بيليس ، و ستيف سميث .(2004) .*عولمة السياسة العالمية* .دبي :مركز الخليج للأبحاث.

- فايز محمد الدويري .(2013) .*الأمن الوطني* .الأردن :دار دائر للنشر والتوزيع،.

- محند برقوق .(2012-2011) .مقدمة لطلبة السنة الأولى ماجيستير تخصص العلاقات الدولية والأمن الدولي .وهران :جامعة وهران 2 محمد بن أحمد.

<u>المراجع باللغة الأجنبية:</u>

- 2015). *combating terrorism and foreign fighter.* USA: Home land security comity travel.

- Audureau, W., & Vandano , M. (2019, 7 4). *Les attentats de l'Etat Islamique : 20 pays, 18 mois , plus de 1600 morts* . Récupéré sur www.lemonde.fr

- Buzan, B. (1991). is international security possible?, paper presented at :new thinking about strategy and international security. London: Harper Collis Acadimic.

- C.R Neu , & Wolf, C. (1994). *the economic dimensions of national security.* RAND.

- Irina Gabriela ، و Radu Lesca. (2016). Terrorism and its impact on global economy : trends and challenges. *Vol. 7*.

- Keefer , P., & Loayzo, N. (2008). *Terrorism, economic development and political openness.* Combridge University press.

- Malet, D. (2015). foreign fighter mobilization and persistence in a global context.
- Maxime Vandano. (15 11, 2015). *Attentats du 13 Novembre : que soit on des terroristes impliqués ?* تم الاسترداد من www.lemonde.fr
- Moor , C., & Tumelty, P. (2008). foreign fighters and the case of Chechnya: a critical assessment. *studies in conflict and terrorism*(No.05,),.
- OSCE office for democratic institutions and human rights. (2018). *Guidelines for addressing the threats and challenges of foreign terrorist fighters within a human rights framework.*
- United Nations: security council. (2014). *resolution 2178, 24/09/2014.*

التراث العمراني بالواحات وآثار التمدين الحديث

-واحة دادس نموذجا-

Urban heritage in oases and the effects of modern urbanization

- Dades Oasis as a model -

رشيد عدسي، طالب باحث في سلك الدكتوراه

جامعة القاضي عياض كلية الآداب مراكش –المغرب-

rachid.adsse@gmail.com

ملخص

يعتبر التراث المعماري بواحة دادس ثروة مهمة على كل المستويات، وقد عرف مجتمع الواحة عددا من التغيرات التي أثرت بشكل سلبي على هذا التراث مما أدى إلى تدهوره وتراجعه وضياع الكثير منه، وهو يستدعي الاهتمام بهذا التراث وتوظيفه في المجالات الاقتصادية والتنموية للرفع من مستوى التنمية في المنطقة، بشكل يساير التطور الحضاري

والتمدين الحديث.

ويسعى هذا المقال إلى إبراز النمط العمراني التراثي في واحة دادس، وسبل استثماره وتوظيفه في البرامج التنموية للمنطقة، ومواجهة مختلف التحديات التي تواجه هذا التراث والمحافظة عليه لاستمرار تميز الطابع العمراني العام للواحة، وتحقيق استدامتها على المدى البعيد.

Abstract:

The architectural heritage of the Dades Oasis is considered an important wealth at all levels. The community of this oasis has undergone several changes that have negatively affected this valuable heritage which led not only to its deterioration, decline but also loss to much of it. This call for giving much interest to this heritage and its use in the economic and development fields so as to raise the level of development in Dades region in a way that keeps pace with the development of civilization, and modern urbanization.

This article seek to highlight the urban and heritage pattern in Dades oasis and ways to invest and employ it in the development programs of the area and to face challenges facing this heritage and to preserve it so as to continue to distinguish the general urban character of the oasis and achieve its long term sustainability.

مقدمة

يكتسي التراث –بمختلف تمظهراته- أهمية بالغة عند مختلف الأمم والشعوب باعتباره ذاكرة جماعية تختزل هوية الإنسان وثقافته، وشاهدا على حضارته وإنجازاته، كما أنه ثروة مهمة لها قيمة عالية من الناحية العلمية والجمالية والفنية... ويمكن توظيفها للاستفادة منه لتطوير قطاعات انتاجية جديدة، والرفع من مستوى التنمية.

تعتبر الواحات من المجالات التي عرفت الاستقرار البشري منذ أزمنة تاريخية قديمة، وأبدع إنسان الواحة في سياق بحثه عن الاستقرار أشكالا معمارية فريدة تتناغم مع الوسط الطبيعي، وتتوافق مع قيمه ومعتقداته وإمكاناته المادية، وتعكس فنا معماريا فريدا في غاية الدقة والإبداع، استطاع الصمود لمئات السنوات في ظروف طبيعية قاسية.

وواحة دادس من المناطق التي تتميز بالعديد من المؤهلات الاقتصادية، الطبيعية والتراثية والتاريخية... على الرغم من أن مستويات التنمية فيها تبقى متدنية وتعاني من الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وغياب الكثير من المرافق المهمة، وهو ما يستدعي العمل على الاستثمار العقلاني لهذه الموارد، والسعي لرفع مستويات التنمية بها، خاصة وأنها تمثل وجهة سياحية عالمية ويزورها سنويا آلاف السياح من مختلف بقاع العالم.

إن دراسة التراث المعماري يضعنا أمام حقيقة قاسية نظرا لما تشهده هذه المعالم من التدهور والضياع بسبب عدة عوامل بشرية وطبيعية، التي رافقت ظاهرة الحداثة والتمدين الحديث، مما أدى إلى إحداث قطيعة مع الأصالة والتراث في مختلف تجلياتها.

وفي هذا السياق يمكن أن نطرح عددا من التساؤلات الجوهرية.

ما أهمية التراث المعماري وأما أبرز تجلياته بواحة دادس؟ وما هي السبل الكفيلة باستثمار هذا التراث وخلق دينامية تنموية متكاملة بالمنطقة.؟

إلى أي حد يمكن للمقومات الطبيعية والثقافية لواحة دادس أن تشكل قوة اقتصادية فعالة وما هي أهم العراقيل الإدارية البيئية والاجتماعية التي تعرقل التنمية بالواحة.؟

كيف يمكن رد الاعتبار لهذا الموروث الثقافي وتنميته بالموازاة مع الرهانات العامة التي يعرفها المجال الواحي.؟

منهجية البحث

تم الاعتماد على أدوات منهجية أساسها الدراسة الميدانية في توثيق قصور الواحة وتصويرها، وكما تم الاعتماد على المقابلات الفردية مع بعض الفاعلين الجمعويين المهتمين بالمجال، وكذا بعض سكان القصبات أو المناطق المحيطة بها في سياق جمع المعلومات المتعلقة بعدد من القصبات التراثية، نظرا لغياب دراسات أكاديمية. كما تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في بيان أحوال القصبات ووضعيتها الراهنة ومميزاتها المعمارية.... وتم الاعتماد على المنهج التاريخي في تتبع التطورات العمرانية التي عرفتها واحة دادس، وما رافقها من تأثيرات على التراث العمراني، وذلك من خلال استقراء بعض الكتابات التاريخية وبعض الروايات الشفهية لسكان المنطقة.

الأمر الذي استلزم التنقل لعدد من الأماكن، لإجراء المقابلات الفردية والجماعية للإلمام بحيثيات الموضوع.

أهداف البحث ودراسة الموضوع

إن اختيار هذا الموضوع وجمع مادته العلمية النظرية والميدانية يتوخى تحقيق عدد من الأهداف منها:

* إعادة الاعتبار للتراث الثقافي والمعماري والاهتمام به.

* إبراز أوجه تدهور وتردي أوضاع التراث المعماري بواحة دادس، والعوامل المساهمة في ذلك.

* بيان أهمية التراث المعماري في تحقيق تنمية مستدامة بالواحة على مستويات متعددة.

* دمج التراث المعماري في السياسة التنموية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالمنطقة.

* بحث السبل الكفيلة بالمحافظة على التراث المعماري وحمايته من الضياع والتدهور، والمحافظة على الهوية الثقافية والعمرانية للمنطقة.

المحور الأول: تعريف التراث العمراني والتمدين الحديث

أولا: تعريف التراث العمراني.

التراث العمراني مركب إضافي من كلمتين تراث وعمران، ولتعريفه نحتاج لتعريف المصطلحين بشكل مستقل، ثم تعريفه كضميمة تحمل دلالة خاصة.

1- مفهوم التراث

إذا بحثنا في معاجم اللغة ودراسات مجموعة من الباحثين, نجد أن كلمة التراث تحمل دلالات ومعاني متعددة.

1-1 في اللغة

يقول ابن فارس: (ورث) الواو والراء والثاء كلمةٌ واحدة، هي الوِرْث، والميراث، وهو أن يكون الشّيءُ لقومٍ ثم يصير إلى آخرين بنسبٍ أو سبب1 والتراث ما يخلفه الرجل لورثته،2 والتراث انتقال ما كان للسلف –ماديا أو معنويا- إلى الخلف، وتعني أيضا البقاء والاستمرار ومن ذلك اسم الله "الوارث" أي الباقي بعد فناء الخلق.

2- 1 في الاصطلاح

نجد أن هذا المصطلح أصبح يطلق على معاني متعددة، ووقع بين الباحثين الكثير من الخلافات حوله.[3]

عرف بأنه: "مجموع قيم ومعتقدات وآداب وفنون ومعارف ناتجة عن تراكم خبرات المجتمع وهو شاهد على تاريخ الأمة وأحوالها ويتميز بأنه مكون من بنى مترابطة ومتكاملة الأجزاء ومتداخلة في كثير من الأوقات."[4]

---

1 أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون, ط: دار الفكر، 1979م. ج6/ص105

[2] ابن منظور لسان العرب طبعة دار صادر، (مادة ورث)

3 وقع خلاف واسع النطاق حول هذا المصطلح، فكريا وثقافيا، وسياسيا.. خاصة من قبل أولئك الذي يحاولون وضع قطيعة تامة مع كل ما له ارتباط مع التراث والانسلاخ من الماضي بشكل كلي.

4 عبد الناصر الزهراني إدارة التراث العمراني، ط الجمعية السعودية للدراسات الأثرية 2012ص 25-32. بتصرف

وعرّف المجلس الدولي للمعالم والمواقع الأثرية، الأيكومس (ICOMOS) التراث بأنه: "مفهوم واسع يتضمن البيئة الطبيعية والثقافية معاً، ويتضمن المعالم التي لها قيمة استثنائية (تاريخية، أو فنية أو علمية أو غيرها)"[1]

2- تعريف العمران

2- 1 العمران لغة

للعمران في اللغة معنيان[2] أحدهما له ارتباط بالصلاح وهو نقيض الخراب ونقيض الفساد وهذا هو الوارد في الآية :﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:61) والثاني هو معنى البقاء في الزمان.3 والعُمران ضدُّ الخَراب.4

2 -2 العمران اصطلاحا

يطلق العمران على: "كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومبان وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو اقتصادية، أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية." 5

2- 3 التراث العمراني

عرف التراث العمراني بتعريفات متعددة منها:

أنه: "هو كل هو كل تراث عمراني يعكس خصائص للحضارة العمرانية –للمنطقة- أو يمثل إفرازا لإحدى الحلقات التاريخية التي مرت بها وتوارثته الأجيال عبر العصور، وهو تراث لكافة أبناء الأمة. 6

وعرف أيضا بأنه: هو ذلك الإرث التاريخي للمجتمع الإسلامي في كل الجوانب، (المنشآت المعمارية والثقافة العمرانية السائدة...) 7 أو ما يرتبط بها من علوم ومهارات وحرف وفنون.. 8

يصنف البعض التراث المعماري والعمراني إلى ثلاثة أقسام أساسية وهي:

1- المباني التراثية: وتشمل المباني ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية بما فيه الزخارف والبيئة المرتبطة بها.

2- مناطق التراث العمراني: وتشمل المدن والقرى والأحياء ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية من نسيج عمراني وساحات عامة وطرق وأزقة وغيرها.

---

[1] عبدالناصر بن عبدالرحمن الزهراني ماهية التراث الثقافي https://www.al-jazirah.com/2014/20140413/wo3.htm

2 أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا, ج4/ص.142

3 الشاهد البوشيخي, من القرآن إلى العمران مقالة, مجلة حراء التركية 25ربيع الثاني 1434هـ

4 أبي الحسن بن سيده المرسي, المحكم والمحيط الأعظم, تحقيق عبد الحميد هنداوي ط: دار الكتب العلمية 2000م، بيروت. ج5/ص.175

5 ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته المادة1 و2 ص4

6 نفسه المادة1 و2 ص4 بتصرف.

7 إيناس الطبولي, التراث المعماري ودوره في تأصيل الهوية المعمارية المحلية لمدينة بنغازي, المؤتمر العلمي الأول واقع التصميم والعمارة في ليبيا طرابلس ليبيا 2015 ص252.

8 أبو بكر صابري طالب باحث. عبد الغني كرطيط أستاذ باحث كلية الآداب سايس فاس. جمال شعوان: أستاذ باحث الكلية المتعددة التخصصات تازة. تطبيق نظم المعلومات الجغرافيا sig في النمذجة المجالية للسكن دراسة حالة دادس بومالن دادس إقليم تنغير, ضمن الندوة الدولية الثالثة لمستخدمي المعلومات الجغرافية وجدة 23—22نونبر 2016م.

3- مواقع التراث العمراني: وتشمل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة على طبيعتها أو من صنع الإنسان..

المحور الثاني: مظاهر التراث العمراني بواحة دادس

أولا: التعريف بواحة دادس. 1

1- تعريف الواحة

يعتبر مفهوم الواحة من المصطلحات المصرية القديمة، وتعني بقعة من الخضرة في مجال قاحل تعتمد على الري، وذات زراعة متنوعة، وسكان مستقرون وعلى عكس.2

وتحوي الواحة عددا كبيرا من القصور والمنشآت التقليدية سواء المستغلة للسكن أو المياه أو المؤسسات الاجتماعية أو غيرها.[3]

2- بومالن دادس جغرافيا وإداريا

تقع الجماعة الحضرية لبولمان دادس داخل نفوذ باشوية بومالن دادس عمالة وإقليم تنغير، التابعة جهويا لجهة درعة تافيلالت على الطريق الوطنية رقم 10 الرابطة بين تنغير وقلعة مكونة على مساحة 75 كلم2 وتقع بين جبال الأطلس الكبير المتوسط شمالا، والسفوح الشمالية لجبل صاغرو جنوبا، مقسمة على 13 دوارا المكونة للجماعة. ونظرا لطبيعة وجغرافية وطبوغرافية المنطقة، سار توسع الواحة تابعا لشكل امتدادها، حيث يمركز عمرانها على طول ضفتي وادي دادس، وتتميز واحة دادس بمناخ قاري شب صحراوي حيث يكون حارا –نسبيا- في الصيف، وشديد البرودة في فصل الشتاء، وواحة دادس اسم يتعدى الجماعة الحضرية لبومالن حيث يشمل جميع الدواوير الموجودة على ضفتي وادس دادس من حدود امسمرير إلى ما بعد قلعة مكونة.

أصل تسميتها: دادس هو الاسم الذي يطلق على واحة ممتدة طوليا في الجنوب الشرقي للمغرب، يخترقها واد ممتد يجري على امتداد الواحة بشكل طولي، وهو أحد هم روافد واد درعة، ومن هنا فالواحة تحمل اسم الواد الذي يجري بها.4

---

1 وقع خلاف كبير في هذا الاسم، واختلفت التفسيرات التي أعطيت له يقول البعض إن كلمة دادس بالأمازيغية مركبة من مقطعين "دا" أي هنا، و"أدهس" أي التربة الصلبة. وقيل إنما من كلمة -الكلمة الأمازيغية «إمالن» جمع «إمال» تفيد المراقبة والرؤية، أي مواضع مراقبة المرور.

لحسن ايت الفقيه, على هامش مهرجان «تيملسا» ببومالن دادس: ألم يحن أوان كتابة التاريخ الراهن للجنوب المغربي؟ الحوار المتمدن العدد: 5615 - 2017

1 جامعة ابن زهر كلية الآداب اكادير حوض واد درعة ملتقى حضاري وفضاء الثقافة والإبداع منشورات ص.273.. 1996م.

2 الكيحل أحمد الجداد، وجمال الغراقي الحسن الواحة بين الإنسان والطبيعة, واحة فزواطة نموذجا، مجلة "المجال التنمية" العدد2 مطبعة ربانيت ص24. 2018

3 ثياقة الصديق, وفاتحي عبد النبي جامعة أدرار الجزائر, النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظائفه الاجتماعية (قراءة انتروبومجالية لقصور توات قصر تمنطيط بأدرار نموذجا) مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية عدد خاص بالملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية. ص116.

4 لحسن آيت لفقيه, الأرض والإنسان في الجنوب الشرقي المغربي في مرأة الصحافة المكتوبة في فصلي الشتاء والربيع من سنة 2013 مقال على موقع الحوار المتمدن-العدد: 4134 - بتاريخ 2013 / 6 / 25 -

3- الخصائص البشرية لواحة دادس

تعتبر واحة دادس موقع استراتيجي ونقطة عبور بين مناطق جغرافية متعددة، (تودغى، وتافيلالت، وسوس، والأطلس الكبير.) إلى جانب توفر موارد المياه، وهو ما يعني استقرار مجموعات بشرية كثيرة بها، كقبيلة صنهاجة، آيت سدرات (آيت عطا، آيت مرغاد، الشرفاء، اليهود، العبيد1 ووقوع صراعات بينها للسيطرة على المجال، وهذا لا شك أنه أحدث تأثيرات عميقة على بنيات الواحة في مختلف الجوانب. 2

ولا تتوفر أدلة تاريخية تثبت بشكل قاطع بداية استقرار الإنسان بواحة دادس، ويؤكد بعض الباحثين أن الاستقرار سبق التشكيلات القبلية التي حدثت، كما يذهب إلى ذلك الباحث الفرنسي جاك بيرك إذ يعتقد أن أول استقرار يعود إلى ما قبل استيطان اليهود لقصر" تيليت"[3] بقليل، وهذا القصر يمتد في المجال الترابي "لأورتكين" على الضفة اليمنى لوادي دادس الأوسط –بجماعة الخميس دادس[4]

وتم اختيار واحة دادس كمجال للدراسة لما عرفته -ولازالت تعرفه- من تحولات عمرانية مهمة.5

4- واحة دادس تراث عمراني عري

قبل بيان بعض تجليات التراث العمراني في واحة دادس سنبين معنى الواحة، ثم سنعرج على بعض مظاهر التميز العمراني فيها.

ثانيا: مفهوم القصور والقصبات, وأنواعها في واحة دادس

1- مفهوم القصور "إغرمان"

تتعدد تعريفات الباحثين للقصر، عرفه بعضهم باعتبار وظائفه (السياسية، والاجتماعية، الاقتصادية، الأمنية..6 وعرفه آخرون باعتبار تصميمه وهندسته المعمارية...

وبعض الباحثين يفرقون بين نوعين من الأبنية، القصر إغرم وإغرمان وتغرمت وتغرمين، وينتشر مصطلح اغرم في واحات دادس وتدغى وغريس... وهذا يعني أنه كان الطابع المعماري الأكثر انتشارا في فترات تاريخية سابقة.

---

1 هناك شح كبير في المعلومات الأكاديمية المتعلقة بهذه النقطة، وأغلب الباحثين يعتمدون على الرواية الشفهية، في بحث تاريخ المنطقة، وبطبيعة الحال هذه الروايات لا يمكن الجزم بها، كما أنها لا تشكل صورة واضحة المعالم عن التطورات التي حدثت في تاريخ واحة دادس.

2 أحمد التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)* منشورات كلية الآداب الرباط، أطروحات ورسائل رقم 63الطبعة الثالثة 2011 ص51.

3 وورد في كتاب "الاستبصار في عجائب الامصار في القرن12م مدينة ثليث: هي مبسوطة بين القبائل القبيلة، وعليها تمر القوافل وفيها حصن منيع رتبت فيه الجند وعمره الوالي وحوله الأعناب الكثيرة والثمار والمياه المطردة والعمائر, الاستبصار في عجائب الأمصار, لمؤلف مراكشي مجهول, دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986م ص200.

4 محمد حمام, جوانب من تاريخ واد دادس وحضارته سلسلة بحوث ودراسات جامعة محمد الخامس, ومعهد الدراسات الإفريقية الرباط ص19.

5 أبو بكر صابري, عبد الغني كرطيط تطبيق نظم المعلومات الجغرافيا sig في النمذجة المجالية للسكن دراسة حالة دادس بومالن دادس إقليم تنغير.

6 , أحمد البوزيدي, التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17 ومطلع القرن 20 دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء الطبعة الأولى 1994م. ص201.

وإغرم حسب تعبير الباحث محمد لمراني علوي هو: خلية سكنية تضم العديد من المنازل والأسر التي يجمعها تقارب وتشابه أنماط العيش وأيضا بعض الترابطات الاجتماعية ذات الأصول القبلية المتعددة والموروث عن الأوضاع السياسية.[1]

ويعرفه المؤرخ الأمريكي "روس دان": "يعتبر القصر أو (القرية المحاطة بالسور) بمثابة الوحدة السكنية في واحات المنطقة، ويتفاوت حجم هذه القرى بشكل كبير، ولكن الأسوار غالبا ما تكون في شكل مربع، وتتوفر على مدخل واحد فقط، ويقيم سكانه داخل القصر في مساكن مزدحمة، تتكون من طبقتين أو ثلاث مبنية بطوب من الطين، ويوجد القصر دائما قرب منابع المياه، ويقوم السكان بفلاحة الأرض المحيطة به، ولم يكن هذا النوع من البناء معمولا للهجمات الخارجية فقط، ولكن أيضا لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة إلى الحد الأقصى"2.

في حين نجد أن الفرنسي "جورج سبيلمان" يرتكز في تحديده للقصر على الجانب المعماري الهندسي فيقول: "مبنية أساسا بالتراب المدكوك، ومحاطة بشرفات، وتتميز بعض هذه القرى بشساعتها وببناياتها المدققة، بالإضافة إلى هندستها الأنيقة والرفيعة، وإذا كانت المباني في أغلبها مهدمة المظهر فإن ما يوجد داخلها يثير الانتباه، حيث نجد أزقة ضيقة مغطاة غالبا، ومتعرجة بين المنازل أو تحتها، وتقسم القرية إلى أحياء، ويتوفر كل قصر على مسجد وساحة داخلية، بالإضافة إلى الأبواب، وهو محصن في أطرافه بأبراج منيعة، ومقاذف ومراقب."3.

وساهمت الأنشطة السينمائية في التعريف بالواحة وبالقصور المحيطة بها على المستوى العالمي.4

2- القصبات تغرماتين

تنتشر تسمية تغرمت –تصغير كلمة إغرم-5 عند عدد من القبائل، وإن كان الأصل هو مصطلح إغرم، ويقصد بها المباني المحصنة ذات الأبراج العالية في كل زاوية قلما نجدها ثنائية الأبراج أو دونها تأخذ عادة شكلا بنائيا دفاعيا.

وعرفها بعضهم بكونها: بناية ترابية ضخمة تتميز بعلوها، وتتخذ في الأغلب شكلا من عدة طوابق قد تصل إلى أو أكثر،4 وغالبا ما يخصص الطابق الأرضي للدواب وبقية الطوابق للسكن والإقامة، وتتميز القصبات بارتفاع أركانها الأربعة (أبراج)، للحراسة والمراقبة الأمنية.6

1 ازدي فريدة طالبة بسلك الدكتوراه كلية الآداب والعلوم الانسانية اكادير, ودادة محمد استاذ باحث كلية اللغات والفنون والعلوم الانسانية اكادير, العمارة التقليدية بواحة دادس الثابت والمتحول. مقال ضمن كتاب الأنظمة الواحية: مظاهر التجديد وآفاق التنمية المستدامة, مؤلف جماعي تنسيق أبو بكر الصابري مطبعة شركة سوبر كوبي2020. ص236

2 روس إ. دان المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي- المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912, ترجمة: أحمد بوحسن، مراجعة: عبد الأحد السبتي، مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2006 ص44.

3 جورج سبيلمان, آيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا, تقديم وترجمة امحمد احدى، مطبعة K -print- bj ط2 2011 ص39

4 كان آخرها الفلم العالمي عاصفة الصحراء والذي صورت عدد من أجزائه بواحة دادس كما تعتبر ورزازات مدينة الانتاج السينمائي بامتياز.

5 حسن حافظي علوي *سجلماسة وأقاليمها في القرن (8هـ/ 14م)* دبلوم الدراسات العليا بجامعة فاس سنة 1989 نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1997 ص114.

6 روجي ميمو, المسكن التقليدي في وادي تدغى بالمغرب, مجلة المناهل, العدد 73-74 ص124- 89 ترجمة ابراهيم الخطيب 2005.

وتشترك القصبة مع القصر في تقنيات البناء والمواد المستعملة وتعتبر من مراحل التحول في تشييد العمارة التقليدية بالواحة.[1]

وقد وقع خلاف واسع بين الباحثين، حول تاريخ ظهور هذه القصبات، وموضع بناء أول قصبة، سواء باعتبارها ظاهرة عمرانية في واحات المغرب، أو من حيث اكتشاف الإنسان لهذا البناء بهذه الشاكلة تحديدا، ويبقى الموضوع مجال الدراسة والبحث.

وتعتبر قصبة آيت بن حدو بورزازات من أشهر قصبات الجنوب الشرقي وتم تصنيفها تراثا إنسانيا عالميا قبل منظمة اليونسكو سنة 1987.

قصبة آيت بن حدو بورزازات

3- التصميم المعماري لقصبات دادس.

يتميز شكل القصبة بهندسة ترابية تتسم بالجمال والفخامة المستقاة من انسجامها مع الوسط الطبيعي، وبساطة المواد المستعملة في بنائها، وبساطة أسلوب تشييدها، وقد استطاعت القصبة أن تعمر حقبا طويلة مقاومة بذلك ظروف طبيعية قاسية.

وقد كانت هذه القصبات في ملكية أسر ثرية، أو كان أحد أفرادها من شخصيات القبيلة (مثل أمغار) أو من أعيان وقواد المخزن، وهذا الأمر جعل الكثير من هذه القصبات، تتميز بزخارف وتشكيلات معمارية فريدة، تظهر مكانة صاحبها وثرائه، ولذلك كانت تصرف فيها أموال طائلة، إلى جانب استغلال يد عاملة مهمة، لإتقان العمل.2 ويتنوع معمار القصبات والقصور حسب الهدف المراد منها، وحسب المجال الجغرافي، وحسب متغير الفئات الاجتماعية التي تقطنه... إلا أنها تظل تشترك في خصائصها وملامحها العامة.

1 ازدي فريدة, ودادة محمد, العمارة التقليدية بواحة دادس الثابت والمتحول ص236

2 تفيد بعض الروايات الشفوية استغلال الزعيم لكل ممتلكات وطاقات الجماعة والقبيلة من أجل بناء القصبة بنوع من الإحكام والدقة.

* القصبات الخاصة بالحماية، وغالبا ما تتميز بوجود أبراج شاهقة على مستوى زواياها الأربعة للحراسة.
* قصبات تخزين الحبوب والمنتوجات الفلاحية، وهذه كانت تصمم من الداخل بشكل يحفظ ما بداخلها من الفساد.
* قصبات السكن العائلي الجماعي، ففي فترات زمنية متقدمة كانت الأسر محافظة على الاجتماع في بيت واحد، فكانت القصبة واحد تضم خمس أسر أو أكثر، وقد تضم فخدة من قبيلة معينة كاملة.

* قصبات استقبال الزوار، والاحتفالات الجماعية في القبيلة، فقد كان من عادات بعض القبائل بناء قصبات خاصة بالاحتفالات الجماعية، أو استقبال الزوار المهمين، وهذا النوع من القصبات غالبا ما يبالغ أصحابها في زخرفتها وتزيينها، لإظهار جمالية البناء, وزيادة الرفاهية فيه.

وتمر القصبة من عدة مراحل قبل أن تستوي قائمة على شاكلة نهائية:

3- 1 اختيار الموقع المناسب لبناء القصبة.

ويراعى في ذلك الغرض من القصبة، وطبيعة المنطقة، وكذا أحوال المجتمع وظروفه المختلفة... كما يتم تحديد القياسات المناسبة لمساحة القصبة.

3- 2 بناء أساس القصبة

وهذه المرحلة تكون ملازمة للمرحلة السابقة، حيث يتم بناء أساس القصبة وقاعدتها، ويتم اختيار أرض صخرية ويتولى ذلك "لمعلم نزرو" أو حرفيّ الحجر، وهو المسؤول عن بناء الأسس وفق كيفية خاصة.

3- 3 بناء الجدران

وهي المرحلة الأصعب والأكثر أهمية، وذلك لما تتطلبه من الدقة والمجهود، و تتطلب إحضار "المعلمين" حرفيو البناء، وتستعمل فيها ألواح خاصة تسمى التابوت، بعضها خاص بالطول والبعض الآخر خاص بالعرض، وتكون بقياسات محددة، وتنصب الألواح على جدران الأساس، وتملأ بالتراب والحصى، ويتم دكّها من طرف المعلم بآلة "المَرْكَزْ" حتى تتداخل المواد، وبعد أت تجف، تزال الألواح لتنصب من جديد في نفس العملية.

ولتخفيف الثقل عن الجدران تكون جداران الطابق السفلي، أضخم في السُّمك من جدران الطابق الثاني...

3- 4 وضع السقوف

وهي آخر مرحلة في عملية البناء، ويتم الشروع فيها بعد توفير المواد اللازمة من خشب أو قصب... حيث توضع جذوع الأشجار العريضة على الجذران عرضا تسمى (تحنيين) من أشجار الصفصاف أو النخيل، تتباعد فيما بينها 80 سنتمترا الى متر واحد، يتم بعد ذلك وضع الجذوع الضعيفة السُّمك طولا وتسمى (تمشكلين) ويوضع القصب بطريقة متشابكة، ثم يفرش الطين فوقه ويتم تبليطه، وكانت الغرف المخصصة للضيوف تحظى باهتمام خاص من حيث التنميق والنقش، وأشكال التسقيف..

3- 5 مرحلة الزخرفة

تبدأ بعملية تبليط الجدران "تملاست" بالتربة الدقيقة الممزوجة بالماء والتبن سواء من الداخل والخارج، وقبل أن يجف هذا التبليط تنقش عليه مجموعة من الأشكال ورموز تترجم سلوكات وثقافة سكان المنطقة..

ثالثا: القصبات التراثية بواحة دادس معالم تراثية عريقة

تنتشر في واحة دادس الكثير من القصبات والقصور[1]، التي ترتبط بظروف اجتماعية وتاريخية مختلفة، وتحمل قيما ودلالات مهمة، فهي تعكس أهمية تاريخية حضارية أو معمارية، من بداية إنشائها وحتى الحاضر فتكشف بذلك عن التاريخ الحضاري العريق لهذه المنشآت.2

والذي يتتبع كتابات الباحثين، ويتأمل في الحالة المعمارية للواحة اليوم، يجد أن عمران القصبات كان هو الطباع المعماري المهيمن، فلا تكاد تجد أسرة أو فخدا من قبيلة، إلا ويرتبط بها اسم قصر أو قصبة والكثير منها قد تعرضت للتلف، أو تعاني من الإهمال والتدهور المستمر.

1- قصبة أكفاي

يرتبط اسم هذه القصبة باسم الدوار الذي توجد فيه, دواي أكفاي جماعة الخميس دادس، بناها شيخ مشيخة آيت حمو، في أربعينيات القرن الماضي بدأت أشغال بنائها سنة 1928م وانتهت حوالي 1940م 3 وقد تم توسعت القصبة في بداية الخمسينيات.

وتعتبر هذه القصبة من أواخر القصبات التي بنيت على يد الشيوخ أو أعوان المخزن في تلك الحقبة الزمنية. وهو تحفة معمارية تاريخية أصيلة تستحق الاهتمام، حيث تحتوي على الكثير من النقوش البديعة، والزخارف المنمقة، وتمثل إرثا تاريخيا وثقافيا مهما.

وعلى الرغم من أهمية هذه المعلمة إلا أنها اليوم تعاني من الإهمال، وتعاني حيطانها من التهالك باستمرار، خاصة مع توالي عوامل التعرية الطبيعية والبشرية، وقد أدى ذلك لأن تفقد بعض جوانبها.

وحسب مالك القصبة، فقد قدمت له عروض مغرية حتى يبيعها، بلغت (6 مليون درهم) ولكنه رفض حتى يحافظ على إرث أجداده المعماري.4

---

1 تنعت واحة دادس بمدينة الألف قصبة هذه المقولة لا يوجد عليها أي دليل علمي حسب ما اطلعت عليه، ولكنها وردت على لسان عدد من الباحثين، أحيانا يطلقونها على واحة دادس، وأحيان أخرى على مدينة ورزازات برمتها، حيث يقولون بأنها مدينة ألف قصبة وقصبة، ولعل الخلاف في هذا الأمر، أن الذين يربطون الوصف بواحة دادس يتحدثون عنها في عمومها على اعتبار أنها تمتد على طول وادي دادس، إلى حدود وقد كانت تابعة إداريا لإقليم ورزازات، والحقيقة أن واحة دادس ينطبق عليها القول بكل دقة إذا استحضرنا ما ضاع من القصبات.

2 طارق داود محمود أحمد , تحليل الطراز المعماري للمباني السكنية في فلسطين في الفترات العثمانية جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا ص2008.145

3 هذا الكلام حسب أقوال مالك القصبة.

4 هذه المعلومات نقلناها من الروايات الشفهية لمالكي القصبة وبعض الباحثين, ولا توجد مصادر أرخت لهذه القصبة على وجه التحديد، ولكن نعلم ان عددا من القصبات تم تحويلها لبعض الأجانب الذين استثمروا فيها مثل قصبة بن مورو بسكورة والتي أصبحت فندقا في ملكية مستثمر اسباني، ولولا ذلك للحقها ما لحق غيرها من القصبات التراثية.

قصبة أكفاي

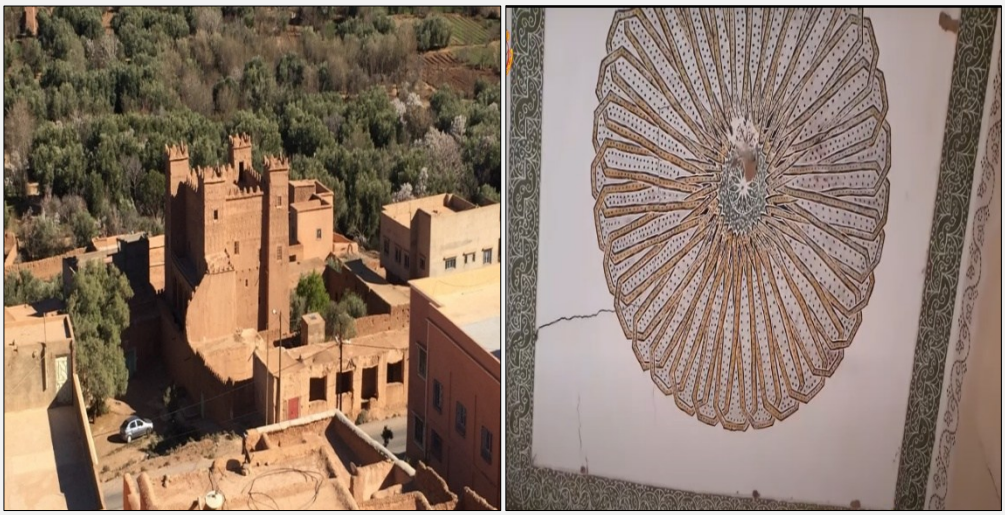

2- قصبة موحداش:

واحدة من القصبات التي شيدها الباشا الكلاوي العميل السابق للاستعمار الفرنسي حسب بعض الروايات فقد شيدت 1938-1941 1 بآيت يول وهي تحمل اسم أحد خلفائه موحداش ولد الحاج فسكا تعلوا هضبة وتطل على واحة آيت سدرات، وهي تحفة معمارية فريدة، في تصميمها المعماري وزخرفتها وأبراجها الشامخة، يقف الزائر مشدوها أمام قصبة موحداش يتأمل أبراجها ويكتشف سر بهائها حيث ماتزال صامدة تواجه عوادي الزمن2 وتحتاج اليوم للترميم والإصلاح للمحافظة على بقائها.

قصبة موحداش

1 ربورطاج لموقع دادس 24 بتاريخ 02/02/2019.

2 محمد القاضي, القلاع والقصبات في المغرب، مجلة الثقافة الشعبية البحرين العدد 40 .

من خلال تتبع مجموعة من المصادر التاريخية, والقيام بزيارات ميدانية لعدد من مناطق الواحة، نجد أن التراث العمراني يكاد يكون منتشرا في تراب الواحة كلها، وتتعدد القصبات القديمة فيه، وفيما يلي نماذج لبعض هذه القصبات.

*قصبة لحو بدوار إمزيلن.

*قصبة آيت أوزا بدوار بومالن أقديم.

*قصبة بلمدني لكلاوي بآيت يول (جماعة آيت يول)

*قصبة حمو أورحو بدوار الكومت دادس ويعود بناءها لسنة 1922م.

*قصبة آيت سعيد بآيت حدوش ويعود بناءها لسنة 1925م.

*قصبة ايت موجان حدو أموجان كان من شيوخ الخليفة محداش، توالت عليها ثلاثة عائلات، سنة 1914م فترة الخليفة بالمدني، قصبة ضخمة، توجد وسط القصر تتوفر على الابراج تقع بزاوية سيدي داود آيت يدير.

*قصبة ايت لعجين شيدت سنة 1913 فترة مشيخة حمو ألعجين، واستغرق بناءها حوالي سنة و نصف.

*قصبة ايت لعربي بناها الحاج العربي، كان مكلفا على ايت محلي وايت ملوان خلال فترة الاستعمار قصبة بسيطة حافظة على بنائها الأصلي، خاصة بعد الترميم سنة 1996م لازالت مأهولة. توجد بدوار آيت يدير.
*قصبة ايت يوسف حماد نايت يوسف، كان مكلفا في عهد الكلاوي قبل سنة 1910م فترة الخليفة بالمدني أصبحت الآن مهددة بالسقوط.

من خلال البحث المستمر جمعنا معلومات حول ما يزيد عن مائة قصبة تراثية، واكتفينا بذكر بعض منها فقط.

المحور الثالث: أهمية التراث العمراني على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقاف

يشكل التراث بمختلف مكوناته الطبيعية والثقافية موردا أساسيا يمكن استثماره وتوظيفه في تنمية العديد من القطاعات الاجتماعية والاقتصادية، وقد نجحت دول عدة حافظت على مواردها التراثية وتنميته بالشكل المناسب في بناء اقتصاد سياحي متميز لتصبح بذلك وجهات رائدة على المستوى العالمي مثل إيطاليا واسبانيا وتركيا...

إن اعتبار التراث العمراني –القصور والقصبات- ثروة اقتصادية وثقافية، ليس بالأمر المبالغ فيه، بل هو حقيقة واقعة، ذلك أن الاهتمام بهذا التراث وترميم ما أصابه التهميش والإهمال، لا شك سيكون ذا فائدة عظيمة وسيحقق مردودية كبيرة للمنطقة على مستويات عدة، وفي الآتي نبرز بعض جوانب أهمية التراث المعماري في واحة دادس.

أولا: أهمية التراث المعماري فنيا وجماليا

إن أول ما يشد الزائر لأي معلمة تراثية في واحة دادس، جمالية بنائها، وإبداع صانعها، وهو ما يبرز اهتمام إنسان الواحة بالزخرفة والتنميق في القصبات التي يقطنها، وكثير ما تحمل هذه الزخارف والأشكال المعمارية تعابير ذات دلالات عميقة، وقيم راسخة سعى المعماري لتأكيدها من خلال رسوماته وتشكيلاته المعمارية في القصبات.

فهندسة القصبة في مظهرها الخارجي تتوفر على أبراج مزينة بنقوش وشرافات وباب كبير مزخرف، تضفي عليها جمالية ورونقا فريدا يعكس الموروث الفني والإبداعي لساكنة المنطقة.[1]

ثانيا: أهمية التراث المعماري اقتصاديا

أشرنا سابقا إلى أن التراث المعماري ثروة اقتصادية مهمة، يمكن أن تكون رافعة للتنمية بالمنطقة، عكس ما يعتقد البعض أن التراث إنما هو مصدر إنفاق فقط، نظرا لما يحتاجه من الترميم والتأهيل والصيانة، بل هو مصدر مهم للدخل،[2] فالتراث يؤلف مادة هامة لصناعة السياحية، فكثرة المباني ومواقع التراث العمراني والاهتمام بها وصيانتها وترميمها، يشجع على استقطاب السائحين الأجانب والمحليين، وهذا يساهم في الرواج الاقتصادي للمنطقة.[3]

وقد أكدت المنظمة العالمية للسياحة أن المواقع الأثرية من أهم روافد السياحة الثقافية -كما جاء في تقرير قمة الأرض الثانية في جوهنسبورغ- حيث اعتبرت السياحة التراثية والثقافية يمكن أن تساهم بفعالية في محاربة الفقر وحماية الإرث الطبيعي والثقافي وتعزيز التنمية المستديمة بشكل عام.[4]

والاستثمار السياحي يساهم في رفع مستويات التنمية, كما يساهم في حماية التراث المعماري وترميمه، وقد تنبه بعض الأجانب للبحث عن مواقع تراثية للاستثمار فيها، حيث يعرضون أسعارا مهمة لشراء بعض القصبات مثل قصبة أكفاي كما أشرنا سابقا.

وتشجيع السياحة من خلال التعريف بالمؤهلات الطبيعية للمنطقة، خاصة وأن واحة دادس تتميز بمناظر طبيعية خلابة كالمترفعات الجبلية ومضايق تسضرين... إلى جانب توفرها على مقاهي وفنادق ذات طابع تقليدي.

1- ترويج المنتجات الفلاحية بالواحة

يساهم تراث الواحة في التعريف بالموارد المجالية والمنتوجات الفلاحية بها، وتنفرد واحة دادس بإنتاج الورد والمواد المستخلصة منه على المستوى الوطني وهو ما يجعلها قبلة للسياحة الداخلية.

2- تشجيع الصناعة التقليدية

الاهتمام بالتراث العمراني يشجع الصناعات التقليدية، ويحي ما اندثر منها، وهذا فيه استمرارية للمنتوج التقليدي، كما أنه يفتح الباب لتوفير مناصب شغل متعددة (مثل الخزف، النقش على الخشب، صناعة الأواني الخشبية، والنحاسية، والطينية، البناء بالطريقة التقليدية....5 وكلها حرف كانت منتشرة في عموم ربوع الواحة6 قبل

1 ابراهيم الوثيقي, قصور وقصبات الجنوب الشرقي: تراث عمراني يندثر بضواحي مدينة الريصاني, مقال على موقع, https://dinpresse.net/rissani/ بتصرف.

2 رهيف فياض, أهمية التراث المعماري والعمراني في المدن الإسلامية مجلة آداب وفنون الخميس 8فبراير2018.

3 عزان عبد الملك, دور التراث العمراني في السياحة الثقافية, صحيفة 26 شتنبر العدد1253 ص8 بتصرف.

4 تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة جوهانسبرغ جنوب افريقيا 26 غشت 4شتنبر 2020 ص43.

5 رهيف فياض, أهمية التراث المعماري والعمراني في المدن الإسلامية مرجع سابق, بتصرف.

6 زبيدة الخواتري, العمارة الترابية في المغرب.. أبنية تحتضن ثقافة تاريخية, مقال على موقع الجزيرة نت, بتاريخ 28/9/2020

أن يحل محلها أنماط التمدن والتصنيع المعاصر فيقتل انتشارها، وقد اندثر الكثير منها ولم يبقى إلا القليل وهو في طريقه للاندثار إذا لم يتم الاهتمام به.

ثالثا: أهمية التراث المعماري اجتماعيا

التراث المعماري نسيج فريد في أصالته وعمارته المميزة، وقد كان يجمع عائلات متعددة في مكان واحد، فتنشأُ بينهُم علاقاتٌ وأواصر قوية، وعلى الرغم من تطور أساليب البناء الحديثة، إلا بعض السكان حافظوا على هذه القصبات واستقروا فيها، فهي تشعرُ بالهوية والانتماء الثقافي, 1 عكس التمدن المعاصر الذي جعل الناس يبتعدون عن يعضهم البعض، وأحدث بينهم انقسامات اجتماعية عميقة، كما أن المحافظة على التراث يشجع على المحافظة على النسيجِ الاجتماعي في القصبة..2

رابعا: أهمية التراث المعماري تاريخيا وعلميا

التراثُ هو شهادةٌ من الماضي. واستمرارُ الماضي في الحاضرِ، وللتراث المعماري قيمةٌ تاريخيَّة مهمة، ففهم تاريخ أي منطقة يكون من خلال الأفعالِ التي تراكَمت فيه، وكذا الأدلة المادية المتوفرة –والتراث من قبيلها- إن صفحاتٍ كاملة من تاريخِ المنطقة ستزولُ، بزوال المعالم التراثية الموجودة فيها، ولعل هذا ما حدث في واحة دادس، فموقعها الاستراتيجي جعلها عرضة للكثير من الأحداث عبر التاريخ، وبقدر ما تفيدنا بعض هذه المنشآت في فهم بعضها، فإن بعضها طواها النسيان مع اندثار آثاره في المنشآت التي كانت دليلا عليه.

إن الاهتمام بالتراث يسعف في إثراء الذاكرة الإنسانية، والانفتاح على طرق تعامل الأجداد مع المشكلات التي عايشوها، كما يبرز مظاهر التنوع الثقافي وأنماط العيش التي كانت سائدة.

بالإضافة إلى أن التراث مورد مهم في الدراسات العلمية الحديثة, وذلك لما له من أبعاد متعددة (الفن, والثقافة, والتقاليد, والقيم والعلوم ...)

خامسا: القيمةُ المعمارية

التراث المعماري هو صورة ناصعة للإبداع المعماري، والعبقرية الهندسية التي ميّزت المهندس المعماري والبَنّاء القديم، ويظهر ذلك في التنظيم والانسجام التام في المباني التراثية، سواء من ناحية القياسات المحددة في كل بناء - طولا وعرضا- وكذا تنظيم الأبواب والشرفات وتنسيق الزخارف.. ودراسة التراث المعماري يبيّن آليات تنظيم القصور، لمعالجة مشاكل التنظيم التمدين المعاصر، والاستفادة من خبرات المتقدمين.

نخلص في الأخير إلى أن الاهتمام بالتراث العمراني وحمايته من الاندثار وإدماجه في المشاريع التنموية سيرفع من مستوى التنمية في واحة دادس, وسيحافظ على ما بقي من التراث مستمرا.

---

1 رهيف فياض مرجع سابق.

2 أحمد زرير, المعماري التقليدي وسبل التنمية المستدامة والسياحة الثقافية -نموذج قصبات آيت سدرات ن إغيل- بحث مشارك في ندوة الواحات في العمق الإفريقي والظاهرة المغاربية المشتركة.15-16-17يونيو2019م.

المحور الرابع: تجليات التمدن وآثارها على التراث المعماري وسبل إصلاح ذلك

عرفت الواحة كأي مجال طبيعي تحولات عميقة ارتبطت في جوهرها بالظاهرة العمرانية حيث اكتسح التمدين الحديث مجال الواحة, بسبب عدد من الدواعي أهمها التزايد الديمغرافي للساكنة، وتنامي التأثيرات الخارجية واستقدام ثقافة الحواضر في البناء، مقابل تراجع ثقافة التشبث بالأصل العمراني، وثقافة الواحة في البناء والمعمار، وانتشار السكن العشوائي, تغير طرق البناء...

وفي هذا السياق ظهرت مجموعة من التحولات التي غيرت الملامح العمرانية العامة لواحة دادس، وتفكك النسيج العمراني الأصلي بها، وتسببت في ضياع وتدهور تراث معماري أصيل، يستدعي اليوم الاهتمام به والسعي لحمايته.

أولا: التحولات المعمارية في الواحة، والتمدين الحديث

1- تعريف التمدن الحديث

مجمع التحولات التي يتعرض لها المجال في فترات تاريخية معينة وذلك لأسباب نابعة من المجتمع أو من ظروف خارجية تجبر المجال على التحول نحو اتجاه معين وقد يصل إلى حد إعادة تشكيل المجال ويطرأ التغير على الأنساق الفرعية كنوع السكن ومواد البناء واستخدامات الارض ونوع الوظائف....1

2- التحولات المعمارية وتأثيرها على التراث العمراني

تعرضت واحة دادس لثلاث تحولات أسياسية في سباق المدين والتطور العمراني.

2- 1 مرحلة الارتباط بالماء سكن مجتمع داخل وفي هوامش الواحة

واتسمت هذه المرحلة بنوع من السكن المتجمع، خاصة مع غياب الأمن وجنوح الأفراد إلى الاستقرار وتشكيل مجموعات متجانسة لتوفير ظروف العيش من خلال الدفاع المشترك وتوفير الأمن والغذاء للمجموعة، فكانت الحياة مرتبطة أساسا بالوادي، وما يوفره من منتوجات فلاحية فأحدث ذلك تناسقا بين الشكل المعماري العام والوسط البيئي، من حيث مرفولوجية المباني والمواقع التي يتم اختيارها للبناء فيها، وهو ما نلاحظه في الهيكلة العامة لعمران الواحة، قبل انفجار النمط التقليدي حيث يتضح أن القصور التراثية تتوطن داخل في هوامش الواحة كما تتميز بالتجمع وصغر المساحة التي تشغلها مستجيبة إلى حد بعيد للظروف التي انتجتها.

والذي يتأمل في التهيئة العامة لواحة دادس يجد أن الكثافة السكانية ترتكز على جنبات الوادي أكثر من أي موضع آخر, كما في جماعة بومالن، حيث ما تزال أغلبية الساكنة تستوطن ضفة الوادي، أما الهضبة العليا فأغلب المباني هي مباني حديثة أغلبها لا يتجاوز العشرين سنة.

---

1 فاطمة آيت الكامل طالبة باحثة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط, أثر التحول المجالي على السوق العقارية وتداولاتها بواحة دادس الأوسط حالتي قلعة مكونة وبومالن دادس ضمن كتاب الأنظمة الواحية مظاهر التجديد وآفاق التنمية المستدامة. ص219.

2- 2 مرحلة الارتباط بالمحاور الطرقية

مع بداية انفتاح واحة دادس على المجتمعات الأخرى عن طريق تشييد الطرق، بدأ اعتماد السكان على عوامل جديدة –عوض الماء- كانت سببا في تطور الواحة من منظومة تقليدية منغلقة على عناصر داخلية ومعتمدة على وسائل بسيطة, إلى منظومة واحية ترتكز على عناصر عصرية جديدة ساهمت بشكل كبير في انفجار الدواوير وتزايد حجمها , وأضحت الطرق هي المهيكلة للمجال.

وهذه المرحلة يمكن التأريخ لها مع دخول المستعمر لمنطقة دادس أو قبلها بقليل، حيث أنشأ ببومالن مركز عسكري، فحاول أن يخلق منها مركزا حضريا، فانتشرت البنية التحتية وتزايدت الأنشطة الاقتصادية، وبدأ البناء يتخذ الصبغة الحديثة، مما ساهم في التغير التدريجي لملامحها الأساسية.

2- 3 الانتقال إلى البناء بعيدا عن مراكز الدوار إغرم

أدى انفتاح الواحة على العالم الخارجي إلى هجرة القصور والقصبات والتحول من محاذاة الحقول الزراعية على ضفتي واد دادس إلى التسارع للبناء بجانب الطرقات الأساسية والفرعية، حيث انتقل مركز جل الدواوير من هامش الواحة إلى جنبات المحاور الطرقية.وقد ساهم في هذا الأمر كذلك فيضانات واد دادس لسنة 1965م التي أجبرت العديد من سكان الدواوير إلى الانتقال لبناء مساكن خارج الواحة, وتواجد المصالح الأساسية بالقرب من الطرق، حيث لم تعد الدواوير الأصلية قادرة على الاستجابة لحجم المتطلبات التي تفرضها أنماط العيش الجديدة، ومن تم اصبحت المسالك والطرق هي الهيكلة للمجال كبديل عن مصادر المياه.[1]

ثانيا: أشكال مغادرة السكن بالقصور والقصبات، وتجليات التمدين المعاصر

عرف العمران بواحة دادس تحولا عميقا من مجتمع قروي كان في بدايته ينتظم داخل مجتمع القصر إلى مركز حضري يميزه السكن الحديث، لم يعد لتغرمت ككيان وتنظيم تقليدي قدرة على توفير المتطلبات الحديثة، التجهيزات الأساسية، المواصلات... فصار الخروج منها خروجا تأسيسا لنمط جديد بأولويات جديدة.

قد اتخذت المغادرة خارج النواة الأصلية لتغرمت ثلاث مسارات أساسية:

1- البناء بالقرب من القصور القديمة

البناء بمحاذاة السكن القديم لكن بطريقة مغايرة من حيث الشكل والمظهر الخارجي للسكن، حيث شييدت مختلفة، وتغيرت أشكال الأبواب والنوافذ، والرموز والنقوش...

2- الانتقال للمراكز الحضرية

بعد تشييد المسالك والمحاور الطرقية، -خلال السبعينات والثمانينيات- بدأ الابتعاد عن مركز الدوار بشكل تدريجي والانتقال إلى جنبات المحاور الطرقية، والتي أصبحت العنصر التنظيمي المؤطر لعملية البناء, ونظرا لجغرافية

1أبو بكر صابري أستاذ باحث بكلية الآداب محمد الخامس الرباط, إسهام في ضبط التغيرات الكبرى للمجال الواحي حالة السكن بدادس الأوسط, مقال ضمن كتاب الانظمة الواحية مظاهر التجديد وآفاق التنمية المستدامة. ص20.

المنطقة, ما تزال المراكز الإدارية والخدماتية الأساسية (الإدارة، المدرسة، البريد، تتركز في جماعة بومالن وقلعة مكونة، وبقيت أغلب الدواوير بعيدة عنها.

3 - انتشار البناء العشوائي

انتشار البناء بشكل عشوائي ومتفرق في مختلف الأنحاء القريبة والبعيدة,-كما في الصورة-[1] في ظل غياب ضابطة قانونية موجهة للتوسعة، أمام هذه الوضعية لم يعد باستطاعة اغرم ككيان عمراني وكإبداع جماعي الصمود أمام هذا التحول بسبب التغير الجوهري في القيم والممارسات المحلية الناتجة عن عملية الانفتاح على الخارج،[2] وهو الأمر الذي أصبح يهدد ما بقي من الملامح الأساسية للواحة إذا ما لم يتم وضع مقاربة محلية شاملة لدعم التعمير على نحو مستدام، وحفظ التوازن المجالي بالمنطقة.

ثالثا: عوامل ترجع وتدهور التراث العمراني بواحة دادس

من خلال التسلسل التاريخي الذي أوردناه نجد أن عمران الواحة شهد تغيرات متعددة، عبر مراحل تاريخية مختلفة، وهو ما جعل التراث العمراني يشهد تراجعا كبيرا، يهدد باندثاره بشكل كلي، ومطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى التخفيف من حدة هذه التأثيرات، والاهتمام بهذا التراث، خاصة مع زيادة حدة العوامل التي تساهم في إهماله وتراجع مكانته على كل المستويات.

1- النمو الديموغرافي, وتزايد السكان

يعتبر النمو الديموغرافي المتسارع، أحد العوامل المساهمة في إخلاء القصور التراثية، حيث أن الطاقة الاستيعابية لها محدودة، مما اضطر العديد من السكان لبناء دور طينية جديدة مستقلة عن القصر والقصبة وهو ما أثر على العمارة التقليدية بشكل كبير، حيث أدى ذلك إلى تزايد الضغط على المجال، وظهرت اختلالات مجالية وتوزيع غير متكافئ للسكان، وزحف السكن الحديث بشتى تجلياته.[3]

2- الهجرة المكثفة

مع نهاية الاستعمار الفرنسي شهدت المنطقة هجرة مكثفة نحو الخارج، كما شهدت هجرة أخرى نحو المدن الكبرى، وقد كان لذلك انعكاس جلي على المجال الواحي، ومع تعدد الهجرات أفرغت القصور والقصبات القديمة من السكان، وهذه الهجرة حتى وإن كان لها أثر إيجابي على المستوى الاقتصادي للساكنة، فقد أثرت سلبا على المباني التاريخية التي هجرت وتعرضت للتدهور، لتُعوض بمباني اسمنتية تحاكي الطراز المعاصر، وهو الأمر الذي أسهم في تغيير البنية الاقتصادية والاجتماعية وعصرنت أنماط الحياة وانتشار السكن الحديث بالمجال.4

---

1 الصورة من مقالة مظاهر تحولات المجال الواحي من التنظيمات التقليدية إلى تشكل الأقطاب الحضرية (بومالن دادس) يوسف الوردي, خالد حربال الحسين أقيوح, كتاب الانظمة الواحية ص148.

2 المولودي محمد , تحول السكن الواحي ورهان التنمية المحلية بزيز الأوسط والأسفل" ندوة وطنية في موضوع السكن الريفي التحولات وآفاق التنمية, كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة. ص 47 – 68. 2006.

3 ازدي فريدة, ودادة محمد, العمارة التقليدية بواحة دادس الثابت والمتحول. ص236

4 نفسه.

3- استفحال التمدين الحديث

انتشرت في الواحة نماذج معمارية حديثة من طرف الأثرياء، وبدأ السكن الحديث يتطور تدريجيا ويزحف في اتجاه الطريق الرئيسية وسفح الهضبة بشكل متكدس وعشوائي، مما دفع بعض الأسر التي لا تملك إمكانية شراء أرض وبناء سكن حديث، إلى إزالة الموروث المعماري الطيني وتعويضه ببناية اسمنتية، واكب ذلك التغير الاجتماعي الذي عرفته المنطقة، ودخول أشكال معمارية جديدة، وبالمقابل يتراجع المعمار التقليدي بشكل مستمر تحت تأثير العوامل الطبيعية والبشرية.[1]

لقد أدى التمدين الحديث بالواحة إلى ظهور تكتلات سكانية وعمرانية هجينة متكدسة، وتتجه عكس الوضع الأصلي لعمران الواحة، وهو ما يهدد بمحو تشكيلها العام.

4- الإكراهات الطبيعية وأثرها في ضياع التراث العمراني بواحة دادس

تعتبر عوامل الطبيعة من أمطار وثلوج ورياح وفيضانات من العوامل الأساسية التي تساهم في التأثير بشكل سلبي على التراث العمراني، خاصة القديم منه، فقد جرفت فيضانات وادي دادس الكثير من القصور والقصبات، كما زادت من مستويات تدهور منشآت أخرى، وهو ما جعلها غير صالحة للاستقرار مخافة الانهيار، وعجّل بهجرة الإنسان الواحي لها إلى الاستقرار في منشآت حديث لا يخاف فيها من الأمطار أو الرياح وبعيدة عن مجرى النهر..

5- العوامل البشرية وتأثيرها على التراث العمراني

بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا من تزايد عدد السكان وهجرتهم للقصبات، هناك عوامل أخرى تأثر بدورها بشكل عميق على التراث المعماري وتزيد في تدهوره واندثاره، وهي عوامل مرتبطة أساسا بالسلوكات البشرية، خاصة من طرف الذين لا يعرفون قيمة هذا التراث ولا أهميته، حيث يعمد بعض الأفراد إلى هدم هذه المعالم وإزالتها بالكامل أو تغيير معالمها، كما يتم تحويل هذه القصور والقصبات المهجورة إلى أماكن لرمي الأزبال أو تكون مصبا للمياه العادمة. كما يتدخل البعض منهم لاقتلاع الأبواب والنوافذ الخشبية التراثية، وبيعها للسياح خاصة مع ارتفاع أثمنتها، وعدم إدراكهم لقيمتها التاريخية.

نستخلص مما سبق إن أن واحة دادس عرفت عبر تاريخها من التحولات المجالية والتطورات العمرانية، وهو ما أثر على هيكلتها العامة، وأفقدها جوانب من متعددة من تميزها العمراني، حيث طغى التمدين الحديث والطابع العمراني المعاصر، بشكل ينذر بفقدان ما بقي من المآثر العمرانية ما لم يتم التدخل لإصلاحها وإدماجها في المشاريع التنموية.

المحور الخامس: سبل استثمار التراث المعماري لتحقيق تنمية مستدامة في حوض دادس

مفهوم التنمية من المفاهيم المتعلقة بالمجال البيئي, وقد سعى الباحثون المهتمون بقضايا التنمية المستدامة إلى تحقيق التطور الاقتصادي مع الاستغلال المتوازن لموارد البيئة، وحفظ حق الأجيال المقبلة في بيئة سليمة. فما معنى التنمية المستدامة؟ وما السبل الكفيلة بإدماج التراث العمراني في تحقيق تنمية مستدامة بدادس.؟

1 نفسه.

أولا: تعريف التنمية المستدامة

التنمية مصدر من الفعل (نمّى) يقال أنميت الشيء نمّيته، والتنمية التكاثر والرفعة.. 1

أما الاستدامة: فمأخوذة من استدامة الشيء، أي طلب دوامه واستمراريته.2

فالاستدامة تعني عدم إلحاق الضرر بالأجيال القادمة سواء بسبب استنزاف الموارد الطبيعية وتلويث البيئة، أو بسبب عدم الاكتراث بتنمية الموارد البشرية، ما يخلق ظروفا صعبة في المستقبل نتيجة خيارات الحاضر.3

ومنه، فالتنمية المستدامة هي التنمية التي يُديم الناس استمراريتها، أما التنمية المستديمة فهي التنمية المستمرة أو المتواصلة, بشكل تلقائي غير مكلف.[54] فالتنمية المستدامة حالة تطور مستمر، تهدف إلى توفير الرفاهية الاقتصادية لأجيال الحاضر والمستقبل والحفاظ على البيئة وصيانتها.

ثانيا: التراث والتنمية المستدامة: علاقة تكامل

يكتسي التراث بمختلف مكوناته الطبيعية والثقافية أهمية بالغة، ويعتبر المغرب من الدول التي تولي أهمية للتراث باعتباره رأسمال قابل للتوظيف في العديد من القطاعات، وخاصة في القطاع السياحي والذي يعتبر التراث ركيزة أساسية في النهوض به.

ودفع الوعي بأهمية السياحة في تنمية الاقتصاد الوطني، إلى ضرورة التفكير في تنويع المنتوج السياحي الوطني وتأهيله وخاصة السياحة الثقافية والقروية -بمقاييس تتماشى مع طلبات الزبناء المحتملين- وصولا إلى رؤية تجعل المغرب ضمن الوجهات السياحية الأولى عالميا.

إن الاهتمام بالسياحة التراثية فرصة لتنويع الاقتصاد الواحي الذي ظل منحصرا في الزراعة والرعي، خاصة بعدما تراجع المستوى الاجتماعي للساكنة، مما ينذر باندثار الأنشطة اقتصادية كالتجارة الصحراوية والحرف التقليدية...

وتعتبر واحة دادس من المناطق التي تزخر بتراث طبيعي وثقافي غني ومتنوع استقطب الاهتمام الدولي، وهوما سمح بالإقرار بقيمة كنوزه الفريدة والمتميزة خصوصا على المستوى البيئي والجمالي والفني,والتاريخي... كما أن الاهتمام بالتراث العمراني في واحة دادس أعطاها إشعاعا وطنيا دوليا وساهم في التعريف بها، وتسويق صورتها السياحية بالشكل الذي جعلها قبلة للسياح والزوار من كل مناطق العالم، كما زادت الاستثمارات والانشطة الاقتصادية المرتبطة بالمجال السياحي.

---

1 ابن منظور اللسان, ج15ص 431 مادة (نمى).

2 نفسه ج12ص212 مادة (دوم).

3 برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقرير التنمية البشرية العالمي لسنة 1994.

4 عثمان محمد غنيم, وماجدة أحمد, التنمية المستديمة دار صفاء عمان الأردن 2006 ص 14-23

5 العربي حران, التونسي فائزة, جامعة عمار ثليجي الأغواط الجزائر, رأس المال الاجتماعي ودوره في تحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة, مجلة العلوم الاجتماعية المركز الديموقراطي العربي ألمانيا برلين العدد 07 دجنبر 2018 ص168

ثالثا: آليات وسبل تعزيز التنمية بتأهيل التراث المعماري بواحة دادس

إن التراث المعماري في واحة دادس –وغيرها من المناطق- إرث أصيل يمثل ثقافة ويحمل في طياته قيما, وتاريخا عريقا, وهذا ما يستدعي الاهتمام به، وإعطائه العناية المستحقة، خاصة وأنه مورد اقتصادي مهم، ولا بد من وضع أساليب وآليات للحفاظ عليه وحمايته من عوامل التدهور والاندثار.

1- توثيق المآثر العمرانية

وهو أول خطوات الحفاظ على التراث العمراني، وذلك بجمع المعلومات والحقائق المختلفة حول البناية التراثية، وكذا وضع تخطيط شامل القصبة التراثية وعناصرها المعمارية وتدوينها في سجلات خاصة، للرجوع لها عند الحاجة، وإفادة السياح بها مما سيسهّل عمليات التدخل التنموي.1

كما يمكن تأسيس هيئات علمية وقانونية لحفظ التراث وتوثيقه،[2] وفتح تخصصات علمية جامعية خاصة بالدراسات التراثية والآثار العمرانية..[3]

والملاحظ أنه على الرغم من كثرة المباني التراثية في واحة دادس، إلا أن القليل منها هو الذي نعرف حول بعض المعلومات وهي في أغلبها معلومات شفهية متناثرة تفتقر للجمع والتدوين.

2- المحافظة على المباني التراثية

هو فحص الآثار المختلفة وتعيين خصائصها الفيزيائية والكيميائية على أسس علمية واختيار أفضل الأساليب لصيانتها وحمايتها من التلف في الحاضر والمستقبل4 والحفاظ هو الإبقاء على حالة البناية كما هي والمحافظة عليها قدر الإمكان.

3- صيانة المعمار

وهي عملية صيانة الأجزاء المصابة أو المتضررة من المبنى، وتقويته واصلاح ما تدهور منه تدهوره (تصدع, شروخ, انهيار...) باستخدام نفس مواد البناء، واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة أثناء التعامل مع هذه المباني الضعيفة سواء من الداخل أو الخارج حتى يتم ترميمها بصورة طبيعية. 5

ويندرج ضمن هذا الأمر إيقاف كل مظاهر التدهور، وأسبابها المختلفة (الطبيعية والبشرية..) وحماية المنشآت القائمة.

---

1 ازدي فريدة, ودادة محمد, العمارة التقليدية بواحة دادس الثابت والمتحول, ص237.

2 ومن ذلك مركز حفظ التراث وصيانة القصبات بإقليم ورزازات المؤسس سنة 1989م.

3 الملاحظ أن المعاهد والمؤسسات الجامعية المهتمة بقضايا التراث والعمران في المغرب تكاد تكون منعدمة إذا استثنينا المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث, وقد فتح باب الترشيح لسلك الدكتوراه هذه السنة موسم 2020—2021 وإن كان الملاحظ أن الموضوعات التي طرحها للتباري بخصوصها تكاد تكون تاريخية أكثر من كونها تراثية وعمرانية.

4 رولا نتيفة وآخرين, العودة إلى التراث في العمارة العربية المعاصرة في ظل الاستدامة مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية المجلد 36 العدد3 2014, ص373.

5 أسس ومعايير التنسيق الحضاري للمباني التراثية 2010القاهرة مصر الجهاز القومي للتنسيق الحضاري الإصدار الأول الطبعة الأولى ص 16-17.

4- الترميم

وهي إعادة البناء القائم إلى حالته السابقة1 وذلك باستخدام نفس مواد البناء مع ضرورة تمييز القديم منها عن الحديث وفق أسس أساليب الترميم المتبعة، منعا للأخطاء أو الترميم العشوائي مما قد يلحق أضرارا بالمبنى أو يؤدي إلى ضياع قيمته التاريخية أو الفنية.2

من خلال عدد من المقابلات الشفوية مع بعض الفاعلين الجمعويين في المنطقة فإن ملاك القصبات لا يجدون حرجا في إشراك القطاعات المهتمة بحماية التراث سواء من القطاع الخاص (المستثمرين، الجمعيات..) أو القطاع العام، بغية التشارك في إعادة الحياة لهذه المنشآت وحمايتها وإعادة إعمارها.

5- تأهيل المباني التراثية وإعادة إعمارها

ونعني بهذا الأمر تأهيل المباني التراثية لتكون ملائمة للاستخدام الأصلي بشرط ألا ينتقص ذلك بدرجة كبيرة من أهميتها الحضارية، وخصائصها المعمارية والتراثية وعادة ما يكون تأهيل المبنى لأغراض اقتصادية.3

وأما إعادة الإعمار فيعني إعادة المبنى قدر الإمكان إلى حالته السابقة المعروفة وتميزها بإدخال مواد (جديدة أو قديمة) في النسيج اعتمادا على دقة توثيق المبنى، وذلك بإشراك الملاك الأصليين وتحفيز المستثمرين في القطاع السياحي مما يعود بالنفع على التراث العمراني.

التوظيف الثقافي لبعض المعالم التاريخية بعد عملية الترميم بإحداث متاحف وإدماج الحرف التقليدية والأنشطة الثقافية التي تميز المنطقة داخليا.

خاتمة

يعتبر التراث المعماري في واحة دادس موردا تنمويا مهما على عدة مستويات، وتوظيفه وإدماجه في الدورة الاقتصادية بالشكل المناسب لا شك وأنه سيحقق نتائج مهمة، وسيرفع من مستوى التنمية بالمنطقة، وسيحافظ على المنشآت المعمارية من الاندثار والضياع، خاصة في ظل التدهور والتراجع الذي تعيشه سواء من حيث الهدم والتخريب، أو من حيث تغير البنية المعمارية للواحة حيث طغيان التمدين الحديث والقيم الحداثية في المجتمع الواحي، وتغييب دور التراث كأساس لمسايرة الظاهرة الحضرية، بشكل يفقدها طابعها المعماري المتميز، ويشكل مجالا غير متجانس، وهو ما يتطلب تكاثف الجهود لمواجهة التحديات التي يعيشها التراث المعماري وإعادة الحياة له وحماية الهندسة المعمارية التقليدية وتطويرها.

---

[1] نزهات مفتاح البوعيشي, القيم الجمالية الإسلامية للعناصر المعمارية في جامع مصطفى قرجي طرابلس ليبيا المؤتمر العلمي الأول واقع التصميم والعمارة في ليبيا ص 239-241. 2015

[2] أسس ومعايير التنسيق الحضاري للمباني التراثية, ص 16-17.

[3] نفسه.

قائمة المصادر والمراجع

1- ابراهيم الوثيقي, قصور وقصبات الجنوب الشرقي: تراث عمراني يندثر بضواحي مدينة الريصاني, مقال على موقع, https://dinpresse.net/rissani/

2- ابن منظور لسان العرب طبعة دار صادر.

3- أبو بكر صابري أستاذ باحث بكلية الآداب محمد الخامس الرباط, إسهام في ضبط التغيرات الكبرى للمجال الواحي حالة السكن بدادس الأوسط, مقال ضمن كتاب الانظمة الواحية مظاهر التجديد وآفاق التنمية المستدامة.

4- أبو بكر صابري طالب باحث. عبد الغني كرطيط أستاذ باحث كلية الآداب سايس فاس. جمال شعوان: أستاذ باحث الكلية المتعددة التخصصات تازة. تطبيق نظم المعلومات الجغرافيا sig في النمذجة المجالية للسكن دراسة حالة دادس بومالن دادس إقليم تنغير, ضمن الندوة الدولية الثالثة لمستخدمي المعلومات الجغرافية وجدة 23—22نونبر 2016م.

5- أبي الحسن بن سيده المرسي, المحكم والمحيط الأعظم, تحقيق عبد الحميد هنداوي ط: دار الكتب العلمية 2000م، بيروت.

6- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون, ط: دار الفكر، 1979م. ج6/ص105.

7- أحمد البوزيدي, التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17 ومطلع القرن 20 دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء الطبعة الأولى 1994م.

8- أحمد التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)* منشورات كلية الآداب الرباط، أطروحات ورسائل. رقم 63 الطبعة الثالثة, 2011م.

9- أحمد زرير, المعماري التقليدي وسبل التنمية المستدامة والسياحة الثقافية -نموذج قصبات آيت سدرات ن إغيل- بحث مشارك في ندوة الواحات في العمق الإفريقي والظاهرة المغاربية المشتركة.15-16-17يونيو2019م.

10- ازدي فريدة طالبة بسلك الدكتوراه كلية الآداب والعلوم الانسانية اكادير, ودادة محمد استاذ باحث كلية اللغات والفنون والعلوم الانسانية اكادير, العمارة التقليدية بواحة دادس الثابت والمتحول. مقال ضمن كتاب الأنظمة الواحية: مظاهر التجديد وآفاق التنمية المستدامة, مؤلف جماعي تنسيق أبو بكر الصابري مطبعة شركة سوبر كوبي2020.

11- الاستبصار في عجائب الأمصار, لمؤلف مراكشي مجهول, دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986م.

12- أسس ومعايير التنسيق الحضاري للمباني التراثية 2010القاهرة مصر الجهاز القومي للتنسيق الحضاري الإصدار الأول الطبعة الأولى ص 16-17.

13- إيناس الطبولي, التراث المعماري ودوره في تأصيل الهوية المعمارية المحلية لمدينة ينغازي, المؤتمر العلمي الأول واقع التصميم والعمارة في ليبيا طرابلس ليبيا 2015.

14- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقرير التنمية البشرية العالمي لسنة 1994.

15- تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة جوهانسبرغ جنوب افريقيا 26 غشت 4شتنبر 2020 .

16- ثياقة الصديق, وفاتحي عبد النبي جامعة أدرار الجزائر, النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظائفه الاجتماعية (قراءة انتروبومجالية لقصور توات قصر تمنطيط بأدرار نموذجا) مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية عدد خاص بالملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية.

17- جامعة ابن زهر كلية الآداب اكادير حوض واد درعة ملتقى حضاري وفضاء الثقافة والإبداع منشورات ص.273.. 1996م.

18- جورج سبيلمان, آيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا, تقديم وترجمة امحمد احدى، مطبعة K -print- bj ط2 2011.

19- حسن حافظي علوي *سجلماسة وأقاليمها في القرن (8هـ/ 14م)* دبلوم الدراسات العليا بجامعة فاس سنة 1989 نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1997.

20- ربورطاج لموقع دادس 24 بتاريخ 02/02/2019.

21- رهيف فياض, أهمية التراث المعماري والعمراني في المدن الإسلامية مجلة آداب وفنون الخميس 8فبراير2018.

22- روجي ميمو, المسكن التقليدي في وادي تدغى بالمغرب, مجلة المناهل, العدد 73-74 ص124- 89 ترجمة ابراهيم الخطيب 2005.

23- روس إ. دان المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي- المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912, ترجمة: أحمد بوحسن، مراجعة: عبد الأحد السبتي، مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2006.

24- رولا نتيفة وآخرين, العودة إلى التراث في العمارة العربية المعاصرة في ظل الاستدامة مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية المجلد 36 العدد3 2014.

25- زبيدة الخواتري, العمارة الترابية في المغرب.. أبنية تحتضن ثقافة تاريخية, مقال على موقع الجزيرة نت, بتاريخ 28/9/2020 .

26- الشاهد البوشيخي, من القرآن إلى العمران مقالة, مجلة حراء التركية 25ربيع الثاني 1434هـ.

27- طارق داود محمود أحمد , تحليل الطراز المعماري للمباني السكنية في فلسطين في الفترات العثمانية جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا .2008 .

28- عبد الناصر الزهراني إدارة التراث العمراني، ط الجمعية السعودية للدراسات الأثرية 2012ص 25-32. بتصرف.

29- عبدالناصر بن عبدالرحمن الزهراني ماهية التراث الثقافي https://www.al-jazirah.com/2014/20140413/wo3.htm.

30- عثمان محمد غنيم, وماجدة أحمد, التنمية المستديمة دار صفاء عمان الأردن 2006 .

31- العربي حران, التونسي فائزة, جامعة عمار ثليجي الأغواط الجزائر, رأس المال الاجتماعي ودوره في تحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة, مجلة العلوم الاجتماعية المركز الديموقراطي العربي ألمانيا برلين العدد 07 دجنبر 2018.

32- عزان عبد الملك, دور التراث العمراني في السياحة الثقافية, صحيفة 26 شتنبر العدد1253..

33- فاطمة آيت الكامل طالبة باحثة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط, أثر التحول المجالي على السوق العقارية وتداولاتها بواحة دادس الأوسط حالتي قلعة مكونة وبومالن دادس ضمن كتاب الأنظمة الواحية مظاهر التجديد وآفاق التنمية المستدامة.

34- الكيحل أحمد الجداد، وجمال الغراقي الحسن الواحة بين الإنسان والطبيعة, واحة فزواطة نموذجا، مجلة "المجال التنمية" العدد2 مطبعة ربانيت. 2018.

35- لحسن ايت الفقيه, على هامش مهرجان «تيملسا» ببومالن دادس: ألم يحن أوان كتابة التاريخ الراهن للجنوب المغربي؟ الحوار المتمدن العدد: 5615 - 2017 .

36- لحسن آيت لفقيه, الأرض والإنسان في الجنوب الشرقي المغربي في مرأة الصحافة المكتوبة في فصلي الشتاء والربيع من سنة 2013 مقال على موقع الحوار المتمدن-العدد: 4134 - بتاريخ 2013 / 6 / 25 –

37- محمد القاضي, القلاع والقصبات في المغرب، مجلة الثقافة الشعبية البحرين العدد 40

38- محمد حمام, جوانب من تاريخ واد دادس وحضارته سلسلة بحوث ودراسات جامعة محمد الخامس, ومعهد الدراسات الإفريقية الرباط ص19.

39- المولودي محمد , تحول السكن الواحي ورهان التنمية المحلية بزيز الأوسط والأسفل" ندوة وطنية في موضوع السكن الريفي التحولات وآفاق التنمية, كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة. ص 47 – 68. 2006.

40- ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته المادة1 و2 ص4.

41- نزهات مفتاح البوعيشي, القيم الجمالية الإسلامية للعناصر المعمارية في جامع مصطفى قرجي طرابلس ليبيا المؤتمر العلمي الأول واقع التصميم والعمارة في ليبيا ص 239-241. 2015 .

الغزو النازي للسوفييت في عملية باربروسا وتأثيرها على مسار الحرب العالمية الثانية: (تحليل استراتيجي لدوافع ونتائج أكبر عملية غزو في التاريخ العسكري)

The Nazi invasion of the Soviets in Operation Barbarossa and its impact on the course of World War II

(Strategic analysis of the motives and consequences of the largest invasion in military history)

إعداد المساعد أول : ذي يزن الأعوش

وحدة حماية القيادات والمنشآت العسكرية، وزارة الداخلية / الجمهورية اليمنية

Email: yazin111@yahoo.com

الملخص:

تركز هذه الدراسة على واحدة من أهم العمليات العسكرية في الحرب العالمية الثانية وأكثرها جراءة والتي تمثلت في الغزو الألماني للسوفييت في عملية باربروسا, وفي هذه الدراسة تم تنفيذ تحليل استراتيجي لدوافع ونتائج عملية باربروسا وتأثيرها على نتائج الحرب, وتم الاعتماد على منهج بحثي مزدوج يجمع بين المنهج التاريخي والمنهج التحليلي, بحيث يركز المنهج التاريخي على وصف الحدث من واقع التسجيل العسكري للوقائع, بالمقابل يركز المنهج التحليلي على التحليل الاستراتيجي والتحليل العسكري, ومن أهم نتائج البحث أن الحجم الاستراتيجي للسوفييت كان أكبر من قدرات الجيش الألماني في عملية باربروسا, وأن غزو السوفييت كان خطاء فادح ولو تم تجنبه لكسبت ألمانيا الحرب العالمية الثانية أو على الأقل لمنعت قوات التحالف من استعادة المناطق المحتلة في أوربا وإسقاط برلين.

الكلمات المفتاحية: باربروسا, الحرب العالمية الثانية, الجيش النازي الألماني, الجيش الأحمر السوفييتي, غزو الأراضي السوفيتية.

Abstract:

This study focuses on one of the most important and most daring military operations in World War II, which was the German invasion of the Soviets in Operation Barbarossa. Between the historical method and the analytical method, so that the historical method focuses on describing the event from the reality of the military recording of the facts, on the other hand, the analytical method focuses on strategic analysis and military analysis, one of the most important results of the research is that the strategic size of the Soviets was greater than the capabilities of the German army in Operation Barbarossa, and that the invasion of the Soviets It would have been a great mistake if it had been avoided Germany would have won World War II or at least prevented the Allied forces to retaking occupied territories in Europe and bringing down Berlin.

Keywords: Barbarossa, World War II, Nazi German Army, Soviet Red Army, invasion of Soviet lands.

المقدمة

وقعت في الحرب العالمية لثانية الكثير من الأحداث والعمليات العسكرية والمعارك الحربية التي شكلت ملامح الحرب وحددت نتائجها, ومن أهم هذه الأحداث عملية باربروسا وهو الاسم الرمزي الذي أطلقته دول المحور على عملية غزو الاتحاد السوفيتي خلال الحرب, وترجع جذور العملية إلى أهداف أيديولوجية لألمانيا النازية بالاستيلاء على غرب الاتحاد السوفيتي واستيطان الألمان فيه واستخدام السلاف عبيد سخرة للعمل في المجهود الحربي لقوات المحور، والاستيلاء على احتياطي النفط من القوقاز والموارد الزراعية من الأراضي السوفياتية, ما جعل من هذه العملية موضوع بحثي مهم لما فيه من الدروس العسكرية والإستراتيجية القيمة.

إشكالية البحث: ما هي دوافع الغزو النازي للسوفييت في عملية باربروسا؟ وما هي نتائجها؟ وكيف أثرت على مسار الحرب العالمية الثانية؟

1. سعى أدولف هتلر لتجنيد الإتحاد السوفيتي في استراتيجية ألمانيا القائمة على نظرية المجال الحيوي.
2. موقف الإتحاد السوفيتي أعاق تطبيق المجال الحيوي لألمانيا النازية.
3. موقف الإتحاد السوفيتي دفع هتلر إلى تصنيفها كأحد أهداف المجال الحيوي.
4. مؤشرات الواقع السوفيتي عززت من دوافع هتلر في احتلالها.
5. الحجم الاستراتيجي للإتحاد السوفيتي كهدف كان أكبر من قدرات الجيش الألماني النازي.
6. عملية باربروسا تسببت في إضعاف الجيش الألماني ما أدى إلى تأثر عملياته في الجبهات الأوربية الغربية والجنوبية .
7. مواجهة ألمانيا للسوفييت عسكرياً كان أحد أسباب هزيمتها في الحرب العالمية الثانية.
8. تجنب ألمانيا لغزو الإتحاد السوفيتي كسيناريو محتمل سيجعلها تكسب الحرب العالمية الثانية.

منهج البحث: تم الاعتماد على منهج بحثي مزدوج يجمع بين المنهج التاريخي والمنهج التحليلي, بحيث يركز المنهج التاريخي على وصف الحدث من واقع التسجيل العسكري للوقائع, بالمقابل يركز المنهج التحليلي على التحليل الاستراتيجي والتحليل العسكري.

أهمية البحث

1. يدرس هذا البحث الحدث الأهم في تاريخ الحرب العالمية الثانية ويبين دور السوفييت في تغيير مجريات الحرب.
2. يبين دور وأهمية التقييم الإستراتيجي في العمليات العسكرية واسعة النطاق وبعيدة المدى جغرافياً وزمنياً.
3. يكشف هذا البحث عن عظمة الامة السوفييتية وقوتها العسكرية والتي أثبتتها العديد من المواجهات الحربية والتي منها معارك ستالينغراد, باقراتيون, وكورسك,[1] كما يكشف حقيقة تاريخية كأحد نتائج هذا البحث في

[1] ذي يزن الاعوش, الأخطاء الاستراتيجية للجيش الألماني في معركة كورسك أثناء الحرب العالمية الثانية (دراسة تحليلية لأكبر معركة دبابات في التاريخ العسكري) مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية, العدد 10, 2021, صفحة 91.

أن السوفييت هم من دمروا الجيش النازي وأوقفوا طموحات أدولف هتلر الإنتهازية وليست دول التحالف كما يروج له الكثير من المؤرخين العسكريين.

4. تعتبر هذه الدراسة مرجع مهم للضباط المؤهلين للإلتحاق بكليات القيادة والأركان وأكاديميات الحرب العليا, وللقيادات العسكرية المرشحة لتولي مناصب عسكرية واستراتيجية رفيعة المستوى.

الفرضية الأولى: سعى أدولف هتلر لتجنيد الإتحاد السوفيتي في استراتيجية ألمانيا النازية القائمة على نظرية المجال الحيوي.

عانت ألمانيا من إنهيار اقتصادي وأوضاع سيئة للغاية بعد الحرب العالمية الثانية, وما فاقم حدة هذه الأوضاع وزاد الأمر سوء إتفاقية فرساي التي فرضت عليها لوضع قيود عسكرية واقتصادية لمنع ألمانيا من إشعال حرب أخرى, وهذه الإتفاقية كانت أشبه بعقوبات تجبر الألمان على دفع أضرار الحرب, كما أشار الإقتصادي البريطاني جون مينارد كينز أن الاتفاقية ما هي إلا وسيلة لتدمير اقتصاد ألمانيا,[1] وعند تولي أدولف هتلر للحكم لم تكن توجهاته لإنقاذ المانيا من الوضع المتردي الذي وصلت أليه وحسب بل والانتقام لما حصل لألمانيا جراء العقوبات والقيود التي فرضت عليها وحرمانها من حقها الوطني في ضم الدول التي تنتمي للعرقية الألمانية ومعاقبة الدول المتسببة في ذلك مثل فرنسا الأمر الذي يثبت كحقيقة تاريخية من خلال اجتياح أدولف هتلر لأروبا, ومن ناحية أخرى سعى هتلر لإيجاد مجال اقتصادي وجغرافي لنشؤ ألمانيا النازية باستعمار الدول المحيطة وذلك من خلال نظرية المجال الحيوي وهي نظرية مستوحاة من علم الجغرافيا السياسية والتي تستند إلى التحكم في توزيع السكان في العالم, كما أن جوهر هذه النظرية يقوم على أن الدولة كائن مكاني حي يرتبط مصيره بالمجال الأرضي والدول من أجل البقاء ولابد لها من توسيع هذا المجال حتى ولو بالقوة وإن لم تتوسع فستنهار,[2] وهذا هو المبدأ الذي تبنته ألمانيا النازية في بداية تولي أدولف هتلر للحكم, فبعد صعود هتلر إلى السلطة أصبح مبدأ نطاق الدولة (المجال الحيوي) مبدأ أيديولوجيًا للنازية, وعليه قدم هتلر تبريرًا للتوسع الإقليمي الألماني في وسط وشرق أوروبا[3] وهدفت الحكومة النازية إلى إعادة إسكان هذه الأراضي بالمستعمرين الجرمانيين خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها,[4] غير أن تطبيق هذا المبدأ على أرض الواقع في تلك الفترة كان مهمة مستحيلة لسببين رئيسين, حيث تمثل السبب الأول في المساحة الشاسعة التي يستهدفها النطاق الألماني والذي يتطلب المواجهة العسكرية لجميع دول وسط وشرق أوروبا وهذا ما يقود إلى السبب الثاني والمتمثل في الوضع الاقتصادي المتردي لألمانيا في بداية الثلاثينات من القرن الماضي كأثر مباشر للحرب العالمية الأولى ومعاهدة فرساي حيث تبعت الحرب والمعاهدة تضخم شديد في أوائل عشرينيات القرن العشرين، تسبب في دمار البنية الاجتماعية والاستقرار السياسي في ألمانيا, وخلال هذا التضخم انهارت قيمة العملة الوطنية بابيرمارك من 8.9 لكل دولار أمريكي واحد في عام 1918 إلى 4.2 تريليون دولار أمريكي لكل دولار بحلول نوفمبر 1923,[5] كما عانى الاقتصاد الألماني مثله مثل

---

[1] معاهدة فرساي, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 23\7\2021.

[2] عماد عبدالله ابوالعطا, ستوكهولم السويد, نظرية المجال الحيوي, https://tsunami132.wordpress.com/, نشر بتاريخ سبتمبر، 2017, تم الاطلاع في 26\5\2021.

[3] Allan Bullock & Stephen Trombley, ed. "Lebensraum." The New Fontana Dictionary of Modern Thought (1999), p. 473

[4] André Mineau (2004). Operation Barbarossa: Ideology and Ethics Against Human Dignity. Rodopi. صفحة 180. ISBN 978-9042016330. مؤرشف من الأصل في 5 يونيو 2020 – عبر Google Books.

[5] تاريخ ألمانيا الاقتصادي, https://ar.wikipedia.org/ , (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 26\5\2021.

العديد من الدول الغربية الأخرى من آثار الكساد الكبير مع ارتفاع معدلات البطالة في جميع أنحاء تحطم وول ستريت عام 1929 حيث بلغ معدل البطالة في تلك المرحلة الزمنية يقارب 30%,[1] وبالرغم من السياسات الاقتصادية للحكومة النازية والتي طبقتها حكومة كورت فون شلايشر في عام 1932 لمكافحة آثار الكساد[2] إلا أن هذه السياسات وحدها لم تكن كافية لتلبية الطموحات الإستعمارية لأدولف هتلر ما دفعه إلى بناء العلاقات والتحالفات التي من شأنها خدمة التوجه النازي كالإتفاق مع الإمبراطورية اليابانية والذي أبرمته ألمانيا النازية مع اليابان في 25 نوفمبر سنة 1936 والذي كان موجهًا ضد الأممية الشيوعية (الكومنترن) بصفة عامة,[3] وبالرغم من صراحة العداء في هذا الإتفاق للدول الشيوعية والتي منها الإتحاد السوفيتي إلا أن هتلر توجه في وقت لاحق لمغازلة السوفييت في محاولة لجرهم نحو مخططاته النازية وذلك من خلال حلف سمي بحلف مولوتوف.

حلف مولوتوف: بحلول أواخر ثلاثينيات القرن العشرين ونظرًا لاستحالة اتباع نهج اقتصادي استبدادي ألماني أو تحالف مع بريطانيا، كانت العلاقات الأوثق مع الإتحاد السوفيتي ضرورية,[4] حيث كانت ألمانيا تفتقر إلى النفط، ولم تستطع توفير سوى 25 في المائة من احتياجاتها الخاصة، في حين كان الاتحاد السوفيتي يمتلك الموارد الطبيعية للعديد من المواد الخام الرئيسية الأخرى بما في ذلك الحديد والمنغنيز والمطاط والدهون الغذائية والزيوت,[5] كما أن الزيادات الهائلة في إنتاج الأسلحة والنقص الحاد في المواد الخام تسببت في تحول ألمانيا إلى عكس اتجاهها السابق، مما دفع المحادثات الاقتصادية إلى الأمام في أوائل عام 1939,[6] وفي 3 أغسطس، أوضح وزير الخارجية الألماني يواكيم ريبنتروب خطة تتفق فيها ألمانيا والاتحاد السوفيتي على عدم التدخل في شؤون بعضهما البعض وتتخلى عن التدابير التي تستهدف المصالح الحيوية للآخر[7] وأنه "لا توجد مشكلة بين بحر البلطيق والبحر الأسود التي لا يمكن حلها بيننا,[8] وفي 19 أغسطس، تم التوصل إلى الاتفاقية التجارية الألمانية السوفيتية (1939), وغطت الاتفاقية الأعمال "الحالية"، والتي تنطوي على التزام السوفيات بتسليم 180 مليون من الرايخ ماركس في المواد الخام استجابة للطلبات الألمانية، في حين أن ألمانيا ستسمح للسوفيات بطلب 120 مليون رايشماركس للسلع الصناعية الألمانية.[9] بموجب الاتفاقية، منحت ألمانيا أيضًا الاتحاد السوفيتي قرضًا بقيمة 200 مليون رايخ ألماني على مدار 7 سنوات لشراء السلع الألمانية المصنعة,[10] وبالرغم من المعطيات الواضحة للمعاهدة القائمة بين ألمانيا والإتحاد السوفيتي في ذلك الوقت والتي تركز على العلاقات التجارية ومنع الإعتداء بين الدولتين إلا انها لم تكن سوى مقدمة لمخطط أكبر من ذلك بكثير يهدف لجر الإتحاد السوفيتي إلى التوجه الإستراتيجي لأدولف هتلر حيث أن البروتوكولات السرية للمعاهدة ضمت اتفاق تقسيم

---

[1] اقتصاد ألمانيا النازية, https://ar.wikipedia.org/ , (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 26\5\2021.

[2] اقتصاد ألمانيا النازية, https://ar.wikipedia.org/ , (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 26\5\2021.

[3] التعاون العسكري بين اليابان و المانيا النازية قبل الحرب و اثناء الحرب العالمية الثانية, https://topmilinfo.blogspot.com/,(د , ن) نشر في 12 أبريل 2021, تم الاطلاع في 26\5\2021.

[4] Ericson 1999, العلاقات بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي قبل عام 1941, https://ar.wikipedia.org.2021\5\26/, تم الاطلاع في 26\5\2021

[5] Hehn 2005, العلاقات بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي قبل عام 1941, https://ar.wikipedia.org.2021\5\26/, تم الاطلاع في 26\5\2021

[6] Ericson 1999, العلاقات بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي قبل عام 1941, https://ar.wikipedia.org.2021\5\26/, تم الاطلاع في 26\5\2021

[7] Nekrich, Ulam & Freeze 1997, العلاقات بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي قبل عام 1941, https://ar.wikipedia.org.2021\5\28/, تم الاطلاع في 28\5\2021

[8] Fest, Joachim C., Hitler, Harcourt Brace Publishing, 2002 (902-602754-15-0), pp. 589–

[9] Grenville & Wasserstein 2001, العلاقات بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي قبل عام 1941, https://ar.wikipedia.org.2021\5\28/, تم الاطلاع في 28\5\2021

[10] Ericson 1999, العلاقات بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي قبل عام 1941, https://ar.wikipedia.org.2021\5\28/, تم الاطلاع في 28\5\2021

الدول الحدودية لأوروبا الشرقية وجعلها "مناطق نفوذ" بينهما: يقوم الاتحاد السوفيتي وألمانيا بتقسيم بولندا في حال تعرضها لغزو ألماني، وسيسمح للسوفييت باجتياح دول البلطيق وفنلندا,[1] كما ظهرت النوايا الحقيقية لهتلر من الدعوة الصريحة لقيادة السوفييت في الفترة من 12 إلى 14 نوفمبر 1940 باقتراح خطي لدخول إلى المحور.[2]

من خلال معطيات حلف مولوتوف والحقائق التي تضمنها يتضح النوايا الحقيقية لأدولف هتلر من بناء العلاقات مع السوفييت والتي تؤكد الأهداف الاستراتيجية لهتلر والمتمثلة في:

1. تجنب المواجهة العسكرية مع الإتحاد السوفييتي.
2. دعم الإقتصاد الألماني عبر العلاقات الإقتصادية مع السوفييت.
3. الإستفادة من دور وقوة الجيش الأحمر في احتلال الدول الأوربية.
4. دخول الإتحاد السوفييتي في المحور.

ومن خلال هذه الأهداف يتضح لنا رؤية أدولف هتلر لتجنيد الاتحاد السوفيتي في استراتيجية ألمانيا النازية القائمة على نظرية المجال الحيوي وبهذا تم إثبات الفرضية الأولى.

الفرضية الثانية: موقف الإتحاد السوفيتي أعاق تطبيق المجال الحيوي لألمانيا النازية.

ظهرت توجهات هتلر في ضم الاتحاد السوفيتي لقوات المحور في أوائل عام 1939, وما أكد هذه التوجهات تصريحات القيادات العسكرية الألمانية, ففي 1 نوفمبر، تقابل رئيس هيئة أركان الجيش فرانز هالدر مع هتلر وكتب، "يأمل الفوهرر في أن باستطاعته جلب روسيا إلى جبهة معادية للبريطانيين,[3] وقد اظهر السوفييت تجاوب للتحركات المستهدفة لاحتلال أوربا (وفق البرتوكول السري) حيث ضم الاتحاد السوفييتي في مارس 1940 أجزاء من منطقتي كاريليا وسالا في فنلندا بعد حرب الشتاء, تبع ذلك الضم السوفييتي لإستونيا ولاتفيا وليتوانيا وأجزاء من رومانيا، مثل: بيسارابيا وبوكوفينا الشمالية ومنطقة هرتزا, لقد تم استخدام القلق على الأوكرانيين والبيلاروسيين، ذرائع لغزو السوفييت لبولندا، حيث انتهك غزو ستالين لبوكوفينا سنة 1940 لأنها تجاوزت نطاق النفوذ السوفييتي الذي تم الاتفاق عليه مع المحور,[4] ما اعتبره هتلر ذريعة لغزو السوفييت حيث أعلن عن نيته غزو الاتحاد السوفيتي في 11 أغسطس 1939 إلى كارل جاكوب بوركهارت ، مفوض عصبة الأمم ، بالقول: كل ما أقوم به موجه ضد الروس, إذا كان الغرب غبيًا وأعمى لدرجة أنه لم يستوعب هذا الأمر، فسأضطر إلى التوصل إلى اتفاق مع الروس وألحق الهزيمة بالغرب، وبعد هزيمتهم ، انقلب على الاتحاد السوفيتي بكل قوتي, أحتاج إلى أوكرانيا حتى لا تجوعنا كما حدث في الحرب الأخيرة,[5] هذا الإدلاء الصريح لهتلر يؤكد أن السوفييت لم يكن عائق من الأساس في مشروع المجال الحيوي

[1] Kirby, D.G. (1980). Finland in the Twentieth Century: A History and an Interpretation. University of Minnesota Press. ISBN 0-8166-5802-1 p 120.

[2] Roberts, Geoffrey (2006). Stalin's Wars: From World War to Cold War, 1939–1953. Yale University Press. ISBN 0-300-11204-1. P 57.

[3] Berthon, Simon; Potts, Joanna (2007), Warlords: An Extraordinary Re-creation of World War II Through the Eyes and Minds of Hitler, Churchill, Roosevelt, and Stalin, Da Capo Press, ISBN 0-306-81538-9 p 44.

[4] رند عتوم, أغسطس 23, 2020, ما هو الاتفاق الألماني السوفييتي؟, https://e3arabi.com/, تم الاطلاع في 30\5\2021.

[5] McKale, Donald M. (17 March 2006). Hitler's Shadow War: The Holocaust and World War II. Taylor Trade Publishing. p. 124. ISBN 978-1-4616-3547-5.

لهتلر, وحتى لو أن الروس التزموا بالبرتوكول السري فإن نية هتلر المسبقة توضح استهدافه لغزو السوفييت, وفي أخر المطاف أنهت ألمانيا الاتفاقية من جانب واحد في الساعة 03:15 يوم 22 يونيو 1941 بشن هجوم هائل على الاتحاد السوفيتي في عملية باربروسا,[1] وبهذا تم نفي الفرضية الثانية, نفي الفرضية لا يعتبر نتيجة كاملة ويترتب عليه ظهور فجوة تعارض المنطق السياسي والعسكري, فإن كانت القيادة السوفيتية قد تجاوبت سياسياً واقتصادياً وعسكرياً مع توجهات أدولف هتلر فلماذا أنهى الإتفاقية؟؟! وهل كان الاتفاق مع السوفييت لم يكن سوى تأجيل استراتيجي لضمان مصالح وأهداف معينة؟؟! وحتى مع وجود النية المسبقة لأدولف في غزو السوفييت فهل هذا يعبر مبرر في حين أن المنطق السياسي لا يمنع استمرار الإتفاقية كونها تصب في صالح الألمان والإبقاء عليها إلى أن ينتهي هتلر من مشاريعه في أوربا الغربية والتفرغ الكامل للسوفييت؟؟! الإجابة على هذه التساؤلات يتطلب النظر نتائج الفرضيات اللاحقة.

الفرضية الثالثة: موقف الإتحاد السوفيتي دفع هتلر إلى تصنيفها كأحد أهداف المجال الحيوي.

بالرغم من أن العقد الثالث والرابع من القرن الماضي كان من أكثر الفترات العصيبة التي مرت بها الدول بسبب تبعات الحرب العالمية الأولى وانتشار وباء الإنفلونزا الإسبانية وأزمة الكساد العظيم ما سبب في أزمات وانهيارات اقتصادية للعديد من الدول, إلا أن الوضع لم يكن سيئاً بالنسبة للسوفييت, ففي عام 1928 قدم الرفيق جوزيف ستالين الخطة الخمسية الأولى من أجل بناء اقتصاد شيوعي شامل في البلاد, وبقدر سعي ستالين نحو تحقيق الإشتراكية الدولية التي عمل من أجلها لينين من قبل وكانت أحد المبادئ التي نادت بها الثورة، عمل ستالين على تأكيد نظرية شيوعية الدولة الواحدة التي كان قد نادى بها من قبل عام 1924, وفي المجال الصناعي على سبيل المثال أحكمت الدولة السوفيتية قبضتها على كل الهيئات الصناعية والإنتاجية متبنيه العديد من البرامج التصنيعية الضخمة، كما قامت بإنشاء المزارع الجماعية من أجل تحقيق نهضة مماثلة في المجال الزراعي, وبالرغم من الأزمة الاقتصادية التي عانى منها العالم بأسره في منتصف الثلاثينات إلا أن الاقتصاد السوفيتي كان من أقوى الأنظمة الاقتصادية الموجودة في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية, [2] وفي هذا يعود السبب إلى التوجه السياسي للسوفييت في تنمية وبناء الاقتصاد, وتجلى مبدأ ستالين المركزي "الاشتراكية في بلد واحد" كسلسلة من الخطط الخمسية المركزية على مستوى البلاد من عام 1929 فصاعدًا, ما مثل تحولًا أيديولوجيًا في السياسة السوفيتية بعيدًا عن التزامها بالثورة الشيوعية العالمية,[3] الوضع الاقتصادي للسوفييت ومواردها الإقتصادية والطبيعية جعلها مطمع وهدف استراتيجي لأدولف هتلر حيث توقع جني فوائد تعويضية لعملية باربروسا مثل تسريح قطعات عسكرية كاملة للتخفيف من النقص الحاد للعمالة في الصناعات الألمانية واستغلال أوكرانيا كمصدر موثوق به وهائل للمنتجات الزراعية واستخدام السخرة لتحفيز الاقتصاد العام في ألمانيا وتوسيع الأراضي لتحسين جهود ألمانيا في عزل المملكة المتحدة,[4] وما يؤكد هذا التوجه التفاصيل التي وضعت في كتاب غرينغ الأخضر للتخلص من الاقتصاد السوفيتي بعد

---

[1] روبرتس ، جيفري (2006). حروب ستالين: من الحرب العالمية إلى الحرب الباردة ، 1939-1953. مطبعة جامعة ييل. رقم ISBN 0-300-11204-1 ص 82.

[2] الاتحاد السوفيتي, https://ar.wikipedia.org/wiki, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 25\8\2021.

[3] Eastern Front (World War II), https://en.wikipedia.org/ (د ن) (د ت) تم الاطلاع في14\7\2021

[4] Roberts, Andrew (2011). The Storm of War: A New History of the Second World War. New York: Harper Perrenial. ISBN 978-0-06122-860-5.P 147–148.

الإستيلاء عليه وقد أوضحت خطة الجوع أن على جميع سكان المدن من الأراضي المغتصبة أن يتضوروا جوعا حتى الموت وبالتالي سيكون هناك فائض زراعي لإطعام ألمانيا والحيز الحضري للطبقة العليا الألمانية,[1] هذا يثبت أن أدولف هتلر سعى إلى الاستحواذ على السوفييت كأحد أهدفه الحيوية, ولكن ,, ما هو الدافع الذي حول موقف أدولف هتلر من السوفييت بالرغم من بوادر الإتفاق التي ظهرت مع حلف مولوتوف؟؟! وهل لمواقف السوفييت علاقة بهذا التحول؟؟! بالنظر إلى نص الفرضية بأن موقف الإتحاد السوفيتي دفع هتلر إلى تصنيفها كأحد أهداف المجال الحيوي نجد أن جزء من الفرضية مثبت والجزء الأخر منفي حيث أن الإتحاد السوفيتي بالفعل كان مصنفاً كأحد أهداف المجال الحيوي ولكن ليس كنتيجة لموقف الإتحاد السوفيتي من توجهات هتلر أو إعاقة هذه التوجهات حيث أظهر السوفييت إلتزامهم شبه الكامل بحلف مولوتوف كما تم إثباته سابقاً في الفرضية الثانية, حيث كان الإتحاد السوفيتي من الأساس مصنفاً كهدف حيوي حتى من قبل إقامة الحلف, الجانب الذي يتعارض مع المنطق يتمثل في تجاهل هتلر للإمتيازات التي سيمنحها استمرار الاتفاقية مع السوفييت مثل الدعم العسكري والإتفاقيات التجارية التي ستغطي الإحتياجات الدافعة لتطبيق المجال الحيوي ولو بشكل جزئي, ومن المفترض أن تفسير هذا الجانب سيعطي إجابات واضحة عن التساؤلات السابقة في نهاية الفرضية الثالثة, إلا أنه لم يتم العثور على حقائق تاريخية ومؤكدات علمية, ولا يوجد سوى تفسيرين قائمين على المنطق والإحتمالية, يتمثل الأول وهو الراجح من وجهة نظر الباحث في أن غزو السوفييت سيعطي إمتيازات اقتصادية وعسكرية أكثر مما ستمنحه الإتفاقية ما عزز نوايا هتلر المسبقة لغزو السوفييت وتغيير موقفة, أما التفسير الثاني في أن القيادة السوفيتية اتخذت توجه أخر بعد تنفيذ الإتفاقية في الإنضمام لدول التحالف وتوجيه ضربة لأدولف هتلر من الخلف ما يؤكد تبرير عملية باربا روسا كضربة وقائية, وهذا الإحتمال ضعيف نظراً لمؤشرات الواقع السوفيتي وعدم وجود جاهزية كاملة واستعداد عسكري لمواجهة الغزو الألماني ناهيك عن الهجوم على ألمانيا كما تم دراسته وإثبات نتائجه في الفرضية الرابعة, وحتى مع افتراض وجود الاحتمالية لهذا السيناريو فهذا لا يعتبر مبرر لاقتراف الخطأ بغزو السوفييت والوقوع بمستنقع الإستنزاف, حيث كان من الكافي نشر قوات ردع على الحدود السوفيتية لمنع أي هجوم محتمل إلى حين التفرغ الكامل لتنفيذ العملية, وبهذا تكون الفرضية قد تم إثباتها من حيث تصنيف السوفييت كهدف حيوي ونفيها من حيث أن الدافع للتصنيف هو الموقف السوفيتي من توجهات أدولف هتلر.

الفرضية الرابعة: مؤشرات الواقع السوفيتي عززت من دوافع هتلر في احتلالها.

بخلاف الوضع الإقتصادي المتماسك قبل الحرب العالمة الثانية والسابق ذكره في الفرضية الثالثة, كان الوضع العسكري يعاني العديد من المشاكل, ومن وجهة نظر الألمان رأى هتلر الاتحاد السوفيتي ضعيفًا عسكريًا وجاهزًا للغزو الفوري في خطاب ألقاه في برلين 3 أكتوبر حيث أعلن مصرحاً "علينا فقط أن نركل الباب وسوف ينهار الهيكل الفاسد بالكامل,[2] وسبب هذا التصور لدى أدولف هتلر يعود للمظاهر التي حدثت قبل عملية باربا روسا ومنها قرارات التصفية للضباط والقيادات العسكرية في الجيش الأحمر حيث قام ستالين بتصفية المتخاذلين من الضباط والمشكوك في

[1] Patterson, David (2003). The Complete Black Book of Russian Jewry. Transaction. ISBN 978-1412820073.P 562.

[2] Adolf Hitler's Speech on Operation Barbarossa is available for free download at the Internet Archive

ولائهم حتى لا يتعرض للخيانة خلال الحملات العسكرية التي سينفذها في فترة 1937 – 1941,[1] وإلى جانب عمليات الإعدام والتصفية تم فصل واستبعاد واعتقال العديد من الضباط, إلا أن ضعف أداء الجيش الأحمر في بولندا وفي حرب الشتاء أجبر القيادة العليا على إعادة حوالي 80 % من الضباط الذين فصلوا خلال عملية التطهير الكبير بحلول 1941,[2,3] المفارقة العجيبة تكمن في دور الضباط الذين تم اعادتهم إلى صفوف الجيش السوفيتي في مواجهة الغزو النازي كالإنتصار الذي حققه الجيش الأحمر في معركة باقراتيون عام 1944 والتي خطط لها قنسطنطين روكوسوفسكي,[4] من جانب أخر عانى الجيش الأحمر من ضعف التجهيزات العسكرية حيث كان يفتقر للصيانة والإمدادات وقلة أجهزة الا سلكي كما أن بعض الوحدات افتقرت إلى عربات النقل التي تؤمن الإمداد والذخيرة والوقود للوحدات القتالية[5] وبسبب عدم جاهزية الجيش الأحمر للحرب وقوة الهجوم النازي خسر السوفييت 4 ملايين جندي في نهاية 1941 وتم تدمير سلاح الجو السوفيتي كما توغل الجيش الألماني 1,690 كيلومتر داخل الأراضي السوفيتية؛ فلم يسبق للسوفييت أن واجهوا عدوا بمثل هذه الخبرة والجاهزية والتكتيك,[6] وبهذا تم إثبات الفرضية الرابعة.

الفرضية الخامسة: الحجم الاستراتيجي للاتحاد السوفيتي كهدف كان أكبر من قدرات ألمانيا النازية.

بالرغم من مؤشرات الواقع السوفيتي التي دفعت هتلر لغزو السوفييت والمذكورة في الفرضية السابقة إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أن الإتحاد السوفيتي كان هدف سهل المنال لقوات الفيرماخت, حيث أن مشاكل الجيش الأحمر كانت عبارة عن حالة من تدني الجاهزية وفقدان الاستعداد والاحتياج للقيادات العسكرية, ولم يكن في حالة ضعف شديد أو في حالة إنخفاض القدرة العسكرية والقتالية, وهذا ما أوقع هتلر في فخ سوء تقدير القوة السوفيتية والذي صرح في وقت لاحق لبعض جنرالاته: "لو كنت أعلم عن قوة الدبابات الروسية في 1941 لما هاجمتها"[7], كما أن هذا ليس العنصر الوحيد الذي تسبب في هزيمة الألمان وفشل عملية باربروسا حيث أن القيادة الألمانية لم تأخذ بعين الاعتبار العديد من الأبعاد والعوامل التي ساهمت في خسارة الجيش الألماني, وهذه الأبعاد والعوامل تمثلت في الآتي:

1. **البعد الجغرافي:** استطاع أدولف هتلر السيطرة على مساحات شاسعة في أوربا من بداية الحرب العالمية الثانية في1 سبتمبر 1939 بغزو بولندا[8] وحتى 14 يونيو1940 إلى العاصمة باريس[9] في فترة لا تتجاوز 10 أشهر الأمر الذي يعكس القوة الهائلة للجيش النازي (فيرماخت), وبالرغم من ذلك فقد كان غزو الاتحاد السوفيتي مسئلة مختلفة تماماً, حيث أن التقدم الألماني نحو أوربا الغربية وسقوط الدول الأوربية واحدة تلو الأخرى يعطي أفضلية للقوات

[1] جوزيف ستالين (د , ن) (د , ت) https://ar.wikipedia.org/, تم الاطلاع في 6\7\2021.

[2] Glantz, David (2012). Operation Barbarossa: Hitler's invasion of Russia 1941. The History Press. ISBN 978-0752460703.P 22

[3] Clark, Lloyd (2012). Kursk: The Greatest Battle: Eastern Front 1943. Headline Review. ISBN 978-0755336395.P 58

[4] قنسطنطين روكوسوفسكي, https://ar.wikipedia.org/wiki, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 25\8\2021.

[5] Seaton, Albert (1972). The Russo-German War, 1941–45. Praeger Publishers. ISBN 978-0891414919.P 91–93.

[6]Ericson 1999, p. 57 ,https://ar.wikipedia.org/, 2021\7\6 تم الاطلاع في.

[7] Macksey, Kenneth (1989). "Guderian". In Barnett, Correlli (المحرر). Hitler's Generals. Weidenfeld & Nicolson. ISBN 0-297-79462-0.p 456.

[8] موسوعة الهولوكوست, أدولف هتلر: التواريخ الرئيسية, https://encyclopedia.ushmm.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 23\7\2021.

[9] معركة فرنسا, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 23\7\2021.

الألمانية وذلك بانتهاء المواجهة العسكرية بسقوط الدولة (باستثناء بعض عمليات المقاومة) ما يجعل الدولة الخاضعة للسيطرة الألمانية منطلق للأهداف التالية.

أما بالنسبة للإتحاد السوفييتي فقد لعبت المساحة دوراً هاماً في التأثير على معطيات العمليات العسكرية, حيث أن المساحة الإجمالية للاتحاد السوفيتي بلغت 22,276,060 كيلومتر مربع, وبالتالي كان هذا الاتحاد أكبر دولة في العالم, كما كان للاتحاد السوفيتي أطول حدود في العالم والتي بلغ طولها حوالي 60,000 كيلومتر[1] وبالتأكيد أن عملية الغزو لدولة بهذه المساحة ستشكل تحدي عظيم لأي قيادة عسكرية في العالم وذلك من عدة نواحي:

1.1 تفوق مساحة الإتحاد السوفيتي على مساحة جميع الدول التي أسقطها الجيش الألماني.

2.1 المسافة الشاسعة بين مركز القيادة الألمانية في برلين والهدف الرئيسي في موسكو والبالغة 2,082.67 كيلومتر كما هو موضح في الشكل (1)

الشكل (1) المسافة الجغرافية بين موسكو وألمانيا

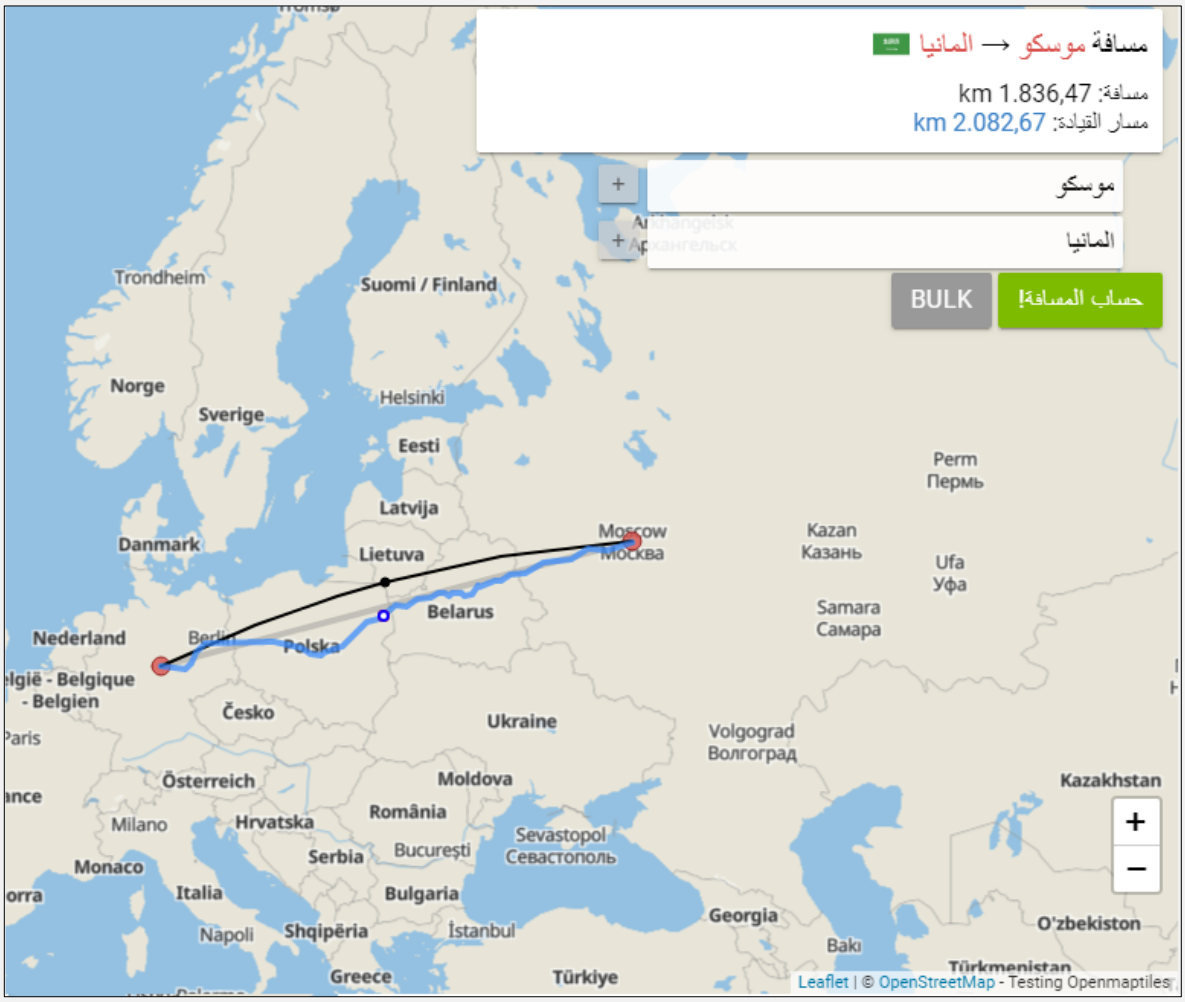

المصدر: https://ar.distance.to/

[1] الاتحاد السوفيتي, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 23\7\2021.

3.1 المواجهات العسكرية في على طول مساحة تقدم الجيش الألماني في الأراضي السوفيتية وحتى حدود موسكو[1] واستمرار المواجهة بشكل عكسي بالهجوم المضاد للجيش الأحمر من موسكو وحتى الحدود الغربية للاتحاد السوفييتي.

2. **تباعد مراكز الأهداف:** وهذا البعد يعتبر امتداد للبعد الجغرافي من ناحية مراكز الأهداف الإستراتيجية للعملية, حيث أن الإجتياح الألماني انقسم إلى ثلاث مجموعات, مجموعة الشمال لإسقاط لينينغراد ومجموعة الجنوب لإسقاط ستالينغراد ومجموعة الوسط لإسقاط العاصمة موسكو كما هو مبين في الشكل (2)

الشكل (2) الأهداف الاستراتيجية في عملية باباروسا

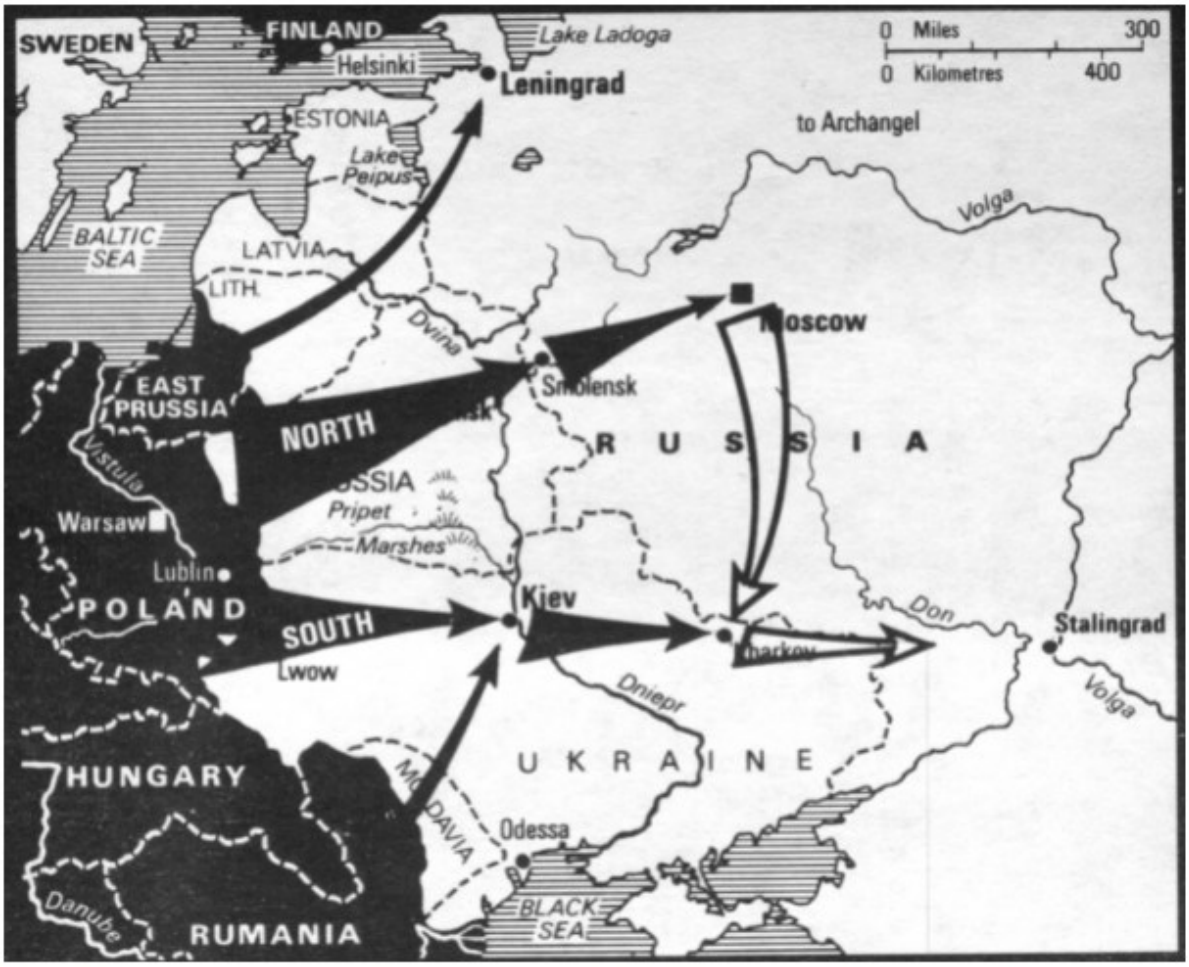

The initial German military proposal for an invasion of the Soviet Union which feature called for two army groups and primary strikes in the direction of Moscow and Kiev with a secondary attack toward Leningrad. The northern army group would push southward after reaching Moscow, linking up with the southern group at Kharkov.

المصدر: http://www.ww2maps.info/2maps/01efront.html

[1] معركة موسكو, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 23\7\2021.

ويكمن المعوق العسكري في المسافة الممتدة بين الأهداف الإستراتيجية الثلاث والتي تبلغ 1,736.36 كيلومتر من ستالينغراد وحتى لينينغراد مروراً بموسكو في الوسط, الأمر الذي يجعل عمليات الدعم والإسناد من مجموعة إلى أخرى أمر بالغ الصعوبة كما هو موضح في الشكل (3)

الشكل (3) التباعد الجغرافي للأهداف الإستراتيجية

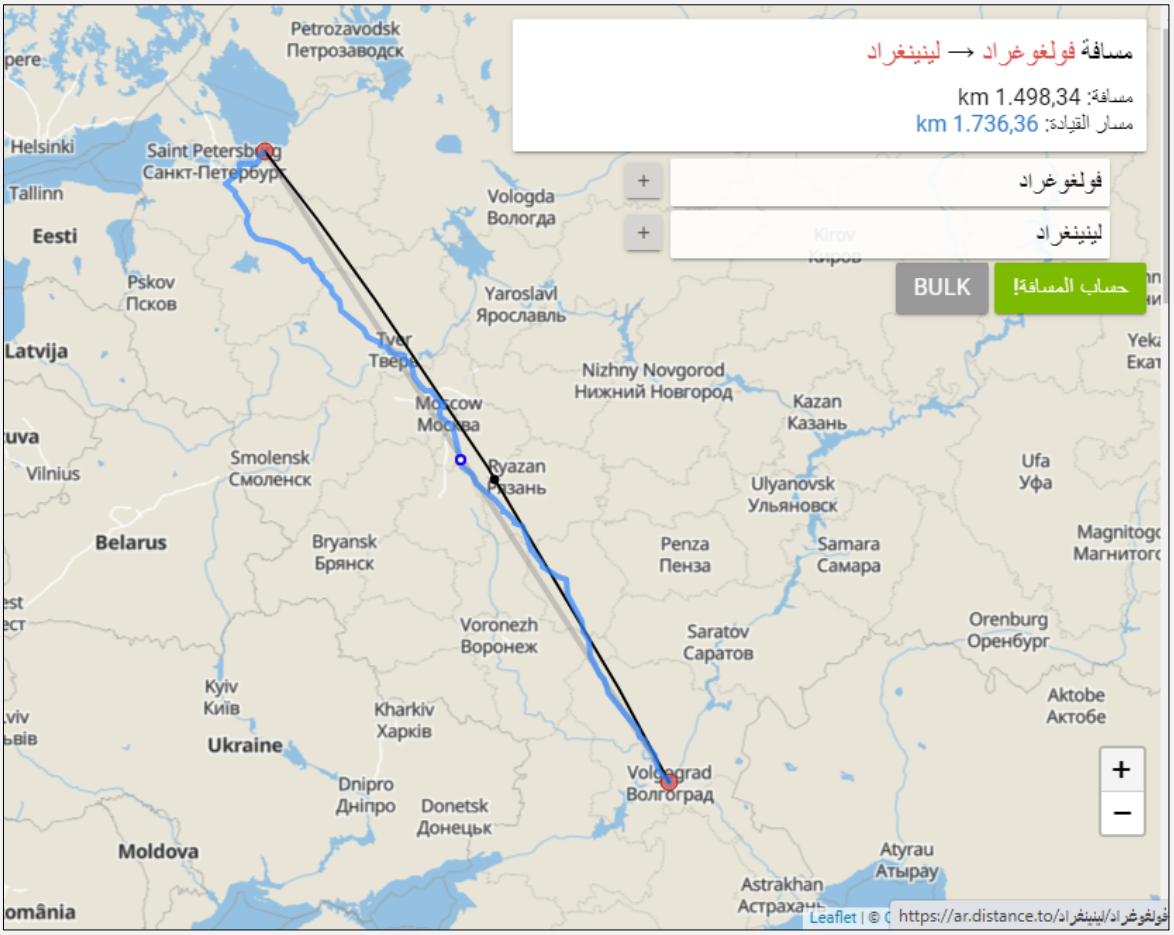

المصدر: https://ar.distance.to/

هنا يظهر تساؤل مهم للغاية, ما الذي قد يدفع أدولف هتلر إلى تقسيم قواته على طول هذه المسافة؟؟! الجواب يكمن في الأهمية الإستراتيجية للمراكز الثلاث كالآتي:

1.2 الأهمية الإستراتيجية لموسكو: موسكو هي مركز السياسة والاقتصاد والثقافة والدين والمالية والتعليم والنقل في روسيا، وتعتبر مدينة عالمية, وهي سابع أكبر مدينة حسب عدد السكان في العالم,[1] وتقع على نهر موسكفا في المنطقة الفيدرالية المركزية في المنطقة الأوروبية من روسيا,[2] تاريخياً، كانت موسكو عاصمة الاتحاد السوفيتي، وهي

[1] موسكو, https://ar.wikipedia.org/, تم الاطلاع في (د , ن) (د , ت) 17\7\2021

[2] Underground Roads, Boulevards and Malls To Be Built Underneath Moscow (د , ن) (د , ت) - PravdaReport

موقع كرملن موسكو، أحد مواقع التراث العالمي في المدينة، الذي يخدم الرئيس الروسي كمنزل. البرلمان الروسي (مجلس الدوما ومجلس الاتحاد) والحكومة الروسية يقعون في المدينة أيضاً.[1]

2.2 الأهمية الإستراتيجية لستالينغراد: مثلت المناطق الغربية للاتحاد السوفييتي هدف استراتيجي لأدولف هتلر والتي جسدت أطماعة في السيطرة عليها وتسخير مواردها الطبيعية والبشرية في حروبه على أوربا وهذا ما دفعه إلى إطلاق عملية باربروسا" في عام 1941, [2] ومن ناحية أخرى فإن غرب السوفييت كان يمثل تهديداً كبيراً لهتلر نظراً لوجود العديد من المدن الاستراتيجية من الناحية الصناعية والناحية العسكرية مثل مدينة ستالين غراد, والتي عرفت بدورها الصناعي منذ بداية القرن 20 حيث كان في المدينة أكثر من 230 معمل ومصنع، إضافة إلى العديد من المصارف, و شبكة للهاتف ومكتبتين و5 مطابع ومستشفيين ومستوصف بيطري ومختبر باكنيريولوجي ومحطة للأنواء الجوية, وفي فترات لاحقة تم ترميم وبناء أكثر من 50 مصنع، من ضمنها أول مصنع لإنتاج الجرارات عام 1930 ومحطة كهرباء حكومية محلية وفي عام 1940 احتوت المدينة على 120 مؤسسة صناعية,[3] كما أن للمدينة أهمية استراتيجية من الناحية العسكرية فقد كانت تنتج العديد من الصناعات المهمة من بينها المدفعية التي كان يستخدمها الجيش الروسي، إضافةً إلى أهمية نهر الفولغا المار في المدينة والذي يُعدّ شريانًا حيويًا يربط غرب البلاد بأقاصي شرقها,[4] هذه العوامل دفعت أدولف هتلر لتوجيه قوة عسكرية جبارة نحو غرب السوفييت وبدء الهجوم في 22 يونيو 1941,[5]

3.2 الأهمية الإستراتيجية للينينغراد: كانت السيطرة على لينينغراد أحد الأهداف الاستراتيجية الثلاثة في عملية باربروسا الألمانية والهدف الرئيسي لمجموعة جيش الشمال, وكانت الاستراتيجية مدفوعة بوضع لينينغراد السياسي كعاصمة سابقة لروسيا والعاصمة الرمزية للثورة الروسية، وأهميتها العسكرية كقاعدة رئيسية لأسطول البلطيق السوفيتي وقوتها الصناعية حيث تضم العديد من مصانع الأسلحة,[6] وبحلول عام 1939 ، كانت المدينة مسؤولة عن 11٪ من إجمالي الناتج الصناعي السوفيتي,[7] من خلال العمليات العسكرية بدا أن لينينغراد في متناول القوات الألمانية حتى أن أدولف هتلر كان شديد الثقة من السيطرة عليها لدرجة أنه تلقى دعوات مطبوعة لاحتفالات النصر التي ستقام في فندق أستوريا بالمدينة,[8] وعلى الرغم من طرح نظريات مختلفة حول خطط ألمانيا للينينغراد ، بما في ذلك جعلها عاصمة مقاطعة إنجرمانلاند الجديدة، فمن الواضح أن نية هتلر كانت تدمير المدينة وسكانها تمامًا, ووفقًا للتوجيهات التي تم إرسالها إلى مجموعة الجيش الشمالية في 29 سبتمبر "بعد هزيمة روسيا السوفيتية لا يمكن

---

[1] موسكو, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 17\7\2021

[2] دور النفط في الحرب العالمية الثانية, https://www.argaam.com/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 10\2\2021.

[3] فولغوغراد, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 10\2\2021.

[4] معركة ستالينغراد, https://www.ibelieveinsci.com/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 11\2\2021.

[5] عملية باربروسا, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 10\2\2021.

[6] Carell, Paul (1963), Unternehmen Barbarossa – Der Marsch nach Russland

[7] Saint Petersburg-The Soviet Period,"Saint Petersburg." Encyclopædia Britannica. Encyclopædia Britannica. Encyclopædia Britannica, 2011. Web. 19 July 2011

[8] Orchestral manoeuvres (part one), The Guardian; 25 November 2001

أن يكون هناك مصلحة في استمرار وجود هذا المركز الحضري الكبير,[1] وبعد تطويق المدينة ، يتعين على طلبات مفاوضات الاستسلام أن يتم إنكارها، نظرًا لأن مشكلة إعادة توطين السكان وإطعامهم لا يمكن ولا ينبغي لنا حلها في هذه الحرب من أجل وجودنا ذاته لا يمكن أن يكون لدينا أي مصلحة في الحفاظ حتى على جزء من هذا العدد الكبير جدًا من السكان الحضريين"[2] وبذلك فقد كانت خطة هتلر النهائية هي تدمير لينينغراد بالكامل وإعطاء مناطق شمال نهر نيفا للفنلنديين.[3]

مما سبق يتبين درجة الأهمية الإستراتيجية للأهداف الثلاث, ومع ذلك لم يكن من المفترض تشتيت القوات الألمانية وتقسيمها, فالخطاء الإستراتيجي لأدولف هتلر يكمن في تشتيت قوة العملية على ثلاث مراكز استراتيجية متباعدة جغرافياً الأمر الذي ساعد في نجاح المقاومة السوفيتية, فمن حيث المنطق الإستراتيجي والعسكري كان ينبغي أن يتم إسقاط موسكو أولاً والتي تمثل القيادة العليا للسوفييت ومركز القرار السياسي والعسكري وبهذا يضمن الألمان السيطرة على العاصمة ومن ناحية أخرى تصبح موسكو كقاعدة تنطلق منها الحملات العسكرية نحو ستالينغراد ولينينغراد, وما يؤكد هذا الجانب كخطأ استراتيجي موقف الجنرالان فرانز هالدر وفيدور فون بوك قائد مجموعة الجيوش الوسطى ومعهم معظم الجنرالات المشاركين في عملية باباروسا بجدالهم آمر القيادة العليا للجيوش الألمانية بشدة حول وجوب التوجه المباشر نحو موسكو عوضًا عن القيام بعمليات في الشمال والجنوب،[4,5] وذلك للأهمية النفسية عند الإستيلاء على العاصمة السوفيتية، بالإضافة إلى أن موسكو كانت مركزا رئيسيا لإنتاج الأسلحة ومركز عمليات النقل واتصالات السوفيت, كما أن تقارير المخابرات أشارت إلى أن الجزء الأكبر من الجيش الأحمر تم نشره بالقرب من موسكو بقيادة سيميون تيموشينكو للدفاع عنها.[6]

3. **البعد الزمني:** كان أدولف هتلر متفائلاً للغاية بخصوص الفترة الزمنية لعملية باباروسا والتي حددها في صبيحة يوم 22 يونيو 1941 معلنا خبر العملية في بث إذاعي قائلاً: "قبل انقضاء ثلاثة أشهر من الآن سنشهد انهيار روسيا انهيارا لم يرى مثله في التاريخ",[7] ولم يتوقع الألمان وتحديداً هتلر بأن العملية قد تتجاوز السنتين, ولكن ,, إذا كان الألمان قد امتلكوا التفوق النوعي في الأليات الحربية وحققوا عنصر المفاجئة وتمكنوا من الوصول إلى مشارف موسكو, فما هو الضرر من اختلاف الواقع الزمني عن ما هو مخطط له في العملية؟؟! بدأت عملية باباروسا في شهر يونيو وحسب تقديرات الألمان كان من المفترض انتهائها قبل شهر أكتوبر, وتجاوز هذه الفترة ترتب عليه مواجهة الشتاء الروسي القارس وهنا يكمن الضرر في تغير الطقس وتأثيرات المناخ على العمليات العسكرية حيث منح عامل الطقس وقتا إضافيا للجيش السوفيتي لتحصين دفاعات المدينة وتوجيه ضربات موجعة للجيش النازي، الذي تباطأت حركته في الشتاء,[8] وبعد فشل معركة موسكو وفي محاولة لشرح الأوضاع أصدر هتلر التوجيه رقم 39 الذي أشار فيه أن

---

[1]),Siege of Leningrad, https://en.wikipedia.org/ (د , ن) (د , ت (تم الاطلاع في 17\7\2021

[2] Reid, Anna (2011), Leningrad: The Epic Siege of World War II, 1941–1944, Bloomsbury Publishing, ISBN 978-0-8027-7882-6 pp 35-134

[3] Siege of Leningrad, https://en.wikipedia.org/,(د , ت) (د , ن) تم الاطلاع في 17\7\2021

[4] Keegan, John (1989). The Second World War. New York: Viking. ISBN 978-0-67082-359-8.p 192–194.

[5] Wright, Gordon (1968). The Ordeal of Total War, 1939–1945. New York: Harper & Row. ISBN 0061314080. P 38.

[6] عملية باباروسا, https://ar.wikipedia.org/wiki, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 25\8\2021.

[7] Clark, Lloyd (2012). Kursk: The Greatest Battle: Eastern Front 1943. Headline Review. ISBN 978-0755336395.p 82.

[8] لماذا شكلت معركة موسكو محطة فارقة في سيناريو الحرب العالمية الثانية؟ نشر في 23.12.2018, https://arabic.rt.com/, (د , ن) تم الاطلاع في 30\6\2021.

دخول فصل الشتاء والبرد الشديد أدى إلى فشل ألمانيا،[1] وبالرغم من خطاب هتلر يبدو كتبرير لتعليق فشل العملية على المناخ وإنكار الجوانب الأخرى إلا أنه يفصح عن جانب فعلي من الحقيقة.

4. البعد العسكري: اعتمد أدولف هتلر على مؤشرات الواقع السوفيتي والسابق ذكرها في الفرضية الرابعة على بناء تقييم للقوة السوفيتية حيث اعتقد أن الجيش الأحمر سيحتاج إلى أربع سنوات ليصبح جاهزا[2] ولم يأخذ بعين الاعتبار تقييم القوة الفعلية الجاهزة للمواجهة العسكرية, ومن ناحية أخرى فإن الأسلوب العسكري للقوات النازية يركز على التفوق النوعي للآلية الحربية في حسم المعارك ولم يكن أدولف هتلر ليعطي مسئلة التفوق العددي للعدو الاهتمام الكبير الأمر الذي كان يمتاز به السوفييت وهذا ما أثبتته معركة كورسك في عام 1943[3] وما يثبت هذا الأمر حجم قوات المحور في الجبهة الشرقية بتاريخ 22\6\1941 والبالغة 3,767,000 مقابل 5,500,000 من القوات السوفيتية و 12,000,000 احتياطي سوفيتي قابل للتعبئة كما هو مبين في الجدول (1) وهذا ما يعادل نسبة 68% للقوات الألمانية من القوات العسكرية السوفيتية ونسبة 22% للقوات الألمانية من إجمالي القوات السوفيتية.

الجدول (1) القوة النسبية للقوات المقاتلة ، الجبهة الشرقية ، 1941-1945[4,5,6]

التاريخ	قوات المحور	القوات السوفيتية
22\6\1941	3,050,000 ألماني ، 67,000 (شمال النرويج) ؛ 500,000 فنلندي ، 150,000 روماني المجموع: 3,767,000 في الشرق (80٪ من الجيش الألماني	2,680,000 نشط في المناطق العسكرية الغربية من أصل 5,500,000 (بشكل عام) ؛ 12,000,000 احتياطي قابل للتعبئة
7\6\1942	2,600,000 ألماني ، 90,000 (شمال النرويج) ؛ 600,000 روماني وهنغاري وإيطالي المجموع: 3,720,000 في الشرق (80٪ من الجيش الألماني)	5,313,000 (أمامي) ؛ 383,000 (مستشفى) المجموع: 9,350,000
9\7\1043	3,403,000 ألماني ، 80,000 (شمال النرويج) ؛ 400,000 فنلندي و 150,000 روماني وهنغاري المجموع: 3,933,000 في الشرق (63٪ من الجيش الألماني)	6,724,000 (أمامي) ؛ 446,445 (مستشفى) ؛ المجموع: 10,300,000
1\5\1944	2,460,000 ألماني ، 60,000 (شمال النرويج) ؛ 300,000 فنلندي و 550,000 روماني وهنغاري المجموع: 3,370,000 في الشرق (62٪ من الجيش الألماني)	6,425,000
1\1\1945	2,230,000 ألماني ، 100,000 مجري المجموع: 2,330,000 في الشرق (60٪ من الجيش الألماني)	6,532,000 (360,000 بولندي وروماني وبلغاري وتشيكيين)
1\4\1945	1,960,000 ألماني المجموع: 1,960,000 (66 ٪ من الجيش الألماني)	6,410,000 (450,000 بولندي وروماني وبلغار وتشيك)

المصدر: Eastern Front (World War II (https://en.wikipedia.org/

[1] Baker, Lee (2009). The Second World War on the Eastern Front. London: Pearson Longman. ISBN 978-1-40584-063-7.p 54.

[2] عملية باربروسا, https://ar.wikipedia.org/wiki, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 25\8\2021.

[3] ذي يزن الاعوش, الأخطاء الاستراتيجية للجيش الألماني في معركة كورسك أثناء الحرب العالمية الثانية (دراسة تحليلية لأكبر معركة دبابات في التاريخ العسكري) مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية, العدد 10, 2021, صفحة 91.

[4] Glantz, David M.; House, Jonathan M. (2015). When Titans Clashed: How the Red Army Stopped Hitler. Modern War Studies (second ed.). University Press of Kansas. pp. 301–303. ISBN 978-0-7006-2121-7.

[5] Glantz 1998, p. 107.

[6] Glantz & House 1995, p. 68.

أما بالنسبة لوضع الأليات العسكرية والحربية فقد امتلكت القوات الجوية السوفيتية (VVS) الميزة العددية لطائراتها والتي كانت تملك حوالي 19,533 طائرة، مما جعلها في سنة 1941 أكبر قوة جوية في العالم, حيث تم نشر مابين 7,133 - 9,100 طائرة في المناطق العسكرية الغربية الخمس، بالإضافة إلى 1445 طائرة أخرى كانت تحت إمرة القوة البحرية,[1] والأمر ذاته بالنسبة لسلاح الدبابات فقد كان للسوفييت التفوق العددي في الدبابات بامتلاك الجيش الأحمر 23,106 دبابة منها 14700 جاهزة للقتال, وحوالي 12,782 دبابة موجودة في المقاطعات العسكرية الغربية الخمسة (ثلاثة منها واجهت غزو الالمان بصورة مباشرة),[2] هذه هي القوة التي واجهها الجيش الألماني منذ عبوره الحدود السوفيتية وحتى مشارف موسكو, ستالينغراد, ولينينغراد وهذا ما يوضحه الشكل التالي

الشكل (4) القوات الروسية المواجهة للغزو الألماني في عملية باباروسا

[1] عملية باباروسا, https://ar.wikipedia.org/wiki, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 25\8\2021.

[2] Mercatante, Steven (2012). Why Germany Nearly Won: A New History of the Second World War in Europe. Praeger. ISBN 978-0313395925.p 64.

بهذا نجد أن الجيش السوفيتي بالرغم من مظاهر الضعف المذكورة سابقاً لم بالخصم الهين, وقد أثبت جدارته في مواجهة الغزو النازي من جانب تفوق القوات وجانب العمليات العسكرية, وبهذا يعزي البعض السبب الرئيسي لفشل ألمانيا عسكرياً في عملية باربروسا هو عدم استعداد ألمانيا العسكري لمثل تلك المؤسسة العملاقة (الإتحاد السوفيتي) فقد كان تحت تصرف الفيرماخت في 22 يونيو 1941 حوالي 209 فرقة منها 163 فرقة هجومية, وبعد أقل من عام من غزو الاتحاد السوفيتي أي في 31 مارس 1942 قلصت قدرات الفيرماخت الميدانية إلى 58 فرقة هجومية.[1]

5. **أبعاد أخرى:** وهي الأبعاد الإستثنائية والغير متوقعة مثل الأوبئة والأمراض والتي ساعد على إنتشارها الظروف التي عاشتها القوات العسكرية من كلا الطرفين, وفي حقيقة الأمر أن كافة الأبعاد السابقة كانت في صالح السوفييت, غير أن هذا البعد أثر على كلا الطرفين فقد تكبدت كل من قوات الجيش الأحمر السوفيتي والفيرماخت الألماني مئات الآلاف من الضحايا العديد منهم من الأمراض المعدية, وفي كتاب حديث اقترح الدكتور كينيث أليبيك أن الجيش الأحمر السوفيتي استخدم التولاريميا (العامل المسبب) كسلاح بيولوجي خلال معركة ستالينغراد (1942-1943) غير أن الإحتمال المرجح أن انتشار المرض نتج عن أسباب طبيعية حيث تشير إحدى الدراسات إلى أن ارتفاع معدل الإلتهاب الرئوي في عدوى التولاريميا بلغ (95.2٪)."[2]

مما سبق يتبين أن الحجم الإستراتيجي للإتحاد السوفيتي كان السبب العام لفشل عملية باربروسا وهذا ما يثبت الفرضية الخامسة.

الفرضية السادسة: عملية باربروسا تسببت في إنهاك الجيش الألماني ما أدى إلى ضعف الجبهات الأوربية الغربية والجنوبية.

تركز أسلوب الدفاع العسكري للجيش الأحمر بشكل عام في إستدراج العدو نحو الخطوط الدفاعية والإستنزاف ثم الهجوم المضاد بالإعتماد على التفوق العددي, وبالرغم أن هذا الأسلوب يتطلب تقديم التضحيات الهائلة من القوات العسكرية والآليات الحربية إلا أنه أثبت فاعليته في معركة كورسك بخسارة القوات الألمانية والتي حدثت فيها أكبر معركة دبابات في التاريخ العسكري عام 1943,[3] وفي عملية باربروسا استطاعت القوات الألمانية الوصول إلى حدود غير متوقعة بالقرب من موسكو إلا أنهم لم يتمكنوا من تجاوزها بسبب الدفاعات السوفيتية العنيفة واستماتة الجيش الأحمر على العاصمة, فقد توقف الألمان في بعض المواقع على بعد 30 كيلومتر من موسكو، حيث كان باستطاعة القادة الألمان رؤية بعض بنايات موسكو, ولم تتمكن مجموعة الجيوش الالمانية الوسطى من الاقتراب المباشر من موسكو وشهدت المرحلة الاخيرة للهجوم الالماني على موسكو في الفترة ما بين 16 نوفمبر/تشرين الثاني و5

[1] عملية باربروسا, https://ar.wikipedia.org/wiki, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 25\8\2021.

[2] Eric Croddy, MA, MILITARY MEDICINE, Tularemia, Biological Warfare, and the Battle for Stalingrad (1942-1943), p 837, 838.

[3] ذي يزن الاعوش, الأخطاء الاستراتيجية للجيش الألماني في معركة كورسك أثناء الحرب العالمية الثانية (دراسة تحليلية لأكبر معركة دبابات في التاريخ العسكري) مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية, العدد 10, 2021, صفحة 91.

ديسمبر/كانون الاول خسائر فادحة لدى القوات الالمانية التي بلغت 153 الف جندي بين القتيل والاسير,[1] وبشكل عام تقدر الخسائر في معركة موسكو فقط (بدون خسائر المعارك الأخرى) من ثلاثون سبتمبر عام 1941 وسبعة يناير 1942 بين 248 ألف و 400 ألف للفيرماخت ومن 650 ألف و1,280,000 للجيش الأحمر.[2,3,4] هذا يثبت أن عملية باربروسا بالفعل أنهكت واستنزفت الجيش الألماني, ولكن ما علاقة هذا بإضعاف الجبهات الألمانية الغربية والجنوبية؟؟! بالعودة إلى البعد الزمني لعملية باربروسا في الفرضية الخامسة نجد أن المدة الزمنية المخطط لها لإسقاط الإتحاد السوفيتي لم تتجاوز الثلاثة أشهر في حين أن المواجهة العسكرية مع السوفييت احتجزت منذ بدء العملية ما بين 60% إلى 80% من القوات الألمانية وحتى إنتهاء الحرب في الوقت الذي كانت الجبهات الغربية والجنوبية بأمس الحاجة لهذه القوات, مثلما حدث في حملة شمال أفريقيا وهي سلسلة من المعارك التي نشبت في شمال أفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية بين قوات الحلفاء المؤلفة من بريطانيا والولايات المتحدة وأستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقيا وبين قوات المحور التي تضم ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وفرنسا وانتهت حملة شمال أفريقيا بانتصار قوات الحلفاء واجلاء قوات المحور من منطقة شمال أفريقيا وبدأ الحملة الإيطالية في يوليو 1943,[5] بالإضافة إلى ذلك الخسائر والإنتكاسات التي مني بها الجيش الألماني في الجبهات الغربية والجنوبية في الفترة التي تقدمت فيها القوات السوفيتية بعد عملية باربروسا كما حدث في غزو نورماندي سلسة من المعارك قامت عام 1944 بين ألمانيا النازية وقوات الحلفاء كجزء من صراع كبير خلال الحرب العالمية الثانية[6] والتي تم إنزال قوات أمريكية وبريطانية على شواطئ (نورماندي) الواقعة في شمال فرنسا، وقد شاركت فيها 6900 من السفن الحربية (من ضمنها 4100 سفينة إنزال)، و 12,000 طائرة حربية، ومليون جندي من قوات المظلات ومشاة البحرية، وقاد العملية الجنرال الأمريكي (أيزنهاور)، وتمكّن الحلفاء من احتلال الشاطئ، ثم أكملوا باتجاه مدينة (برلين),[7] في الوقت التي كانت فيه القوات الألمانية تواجه الهجوم المضاد للسوفييت في معركة باغراتيون (22 يونيو - 19 أغسطس 1944),[8] وبهذا تم اثبات الفرضية السادسة.

الفرضية السابعة: مواجهة ألمانيا للسوفييت عسكرياً كان أحد أسباب هزيمتها في الحرب العالمية الثانية.

وبالرغم من التأثيرات المباشرة والتي تم إثباتها سابقاً إلا أنها لم تكن الأسباب الوحيدة في خسارة الألمان للحرب بشكل كامل, حيث أن أهم الأسباب تمثلت في ردة الفعل السوفيتية بعد تراجع الجيش الألماني والمعروفة بضربات

---

[1] معركة موسكو, (د,ن) (د,ت) https://www.marefa.org/, تم الاطلاع في 30\6\2021.

[2] Moscow Encyclopedia, ed. Great Russian Encyclopedia, Moscow, 1997, entry "Battle of Moscow"

[3] Great Soviet Encyclopedia, Moscow, 1973–78, entry "Battle of Moscow 1941–42"

[4] John Erickson, Barbarossa: The Axis and the Allies, table 12.4

[5] حملة شمال أفريقيا, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 27\8\2021,

[6] "معلومات عن غزو النورماندي على موقع catalog.archives.gov". catalog.archives.gov. (د , ن) مؤرشف من الأصل في 11 ديسمبر 2019 تم الاطلاع في 27\8\2021

[7] غزو النورماندي, https://ar.wikipedia.org/,(د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 27\8\2021.

[8] Pimlott, John; et al. (1989). "Year of ten victories". The World at Arms: The Reader's Digest Illustrated History of World War II. London: The Reader's Digest Association Limited. ISBN 0-89577-333-3.

ستالين العشر فقد كانت ضربات ستالين العشر هي الهجمات الإستراتيجية العشر الناجحة التي نفذها الجيش الأحمر في عام 1944 خلال الحرب العالمية الثانية, وأدت الهجمات السوفيتية إلى طرد قوات المحور من الأراضي السوفيتية وعجلت بانهيار ألمانيا النازية,[1] وتمثلت هذه الضربات في الآتي:

1. هجوم دنيبر-كاربات (24 ديسمبر 1943 – 17 أبريل 1944).[2,3]
2. هجوم لينينغراد-نوفغورود (14 يناير – 1 مارس 1944).[4,5]
3. هجوم أوديسا الذي بدأ الضربة الثالثة (26 مارس 1944 - 14 أبريل 1944).[6]
4. هجوم فيبروغ–بيتروزافودسك (9 يونيو – 9 أغسطس 1944).[7]
5. عملية باغراتيون (22 يونيو - 19 أغسطس 1944 ".[8]
6. هجوم لفوف-ساندوميرز (13 يوليو – 29 أغسطس 1944).[9]
7. هجوم ياش-كيشيناو (19 أغسطس – 14 أكتوبر 1944).[10]
8. هجوم البلطيق (14 سبتمبر – 20 نوفمبر 1944).[11]
9. هجوم كاربات الشرقي (8 سبتمبر 1944 – 28 سبتمبر 1944)، وهجوم بودابست (29 أكتوبر 1944 - 13 فبراير 1945)، وهجوم بلغراد (14 سبتمبر 1944 - 24 نوفمبر 1944).[12]
10. هجوم بتسامو–شيركنيس (7–29 أكتوبر 1944).[13]

وما يبين التأثير العسكري والاستراتيجي لضربات ستالين التراجع الميداني للجيش الألماني والذي مثل خط السير السوفييتي نحو إسقاط برلين في 1945 كما يوضحه الشكل (5)

---

[1] ضربات ستالين العشر, https://ar.wikipedia.org/wiki, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 15\7\2021.

[2] Willmott, H.P. (1989). The Great Crusade: A New Complete History of the Second World War. New York: The Free Press. ISBN 0-02-934715-7. مؤرشف من الأصل في 19 أغسطس 2020.

[3] Werth, Alexander (1964). "1944: Russia enters Eastern Europe". Russia at War, 1941 - 1945. New York: E. P. Dutton & Co., Inc. مؤرشف من الأصل في 19 أغسطس 2020.

[4] Willmott, H.P. (1989). The Great Crusade: A New Complete History of the Second World War. New York: The Free Press. ISBN 0-02-934715-7. مؤرشف من الأصل في 19 أغسطس 2020.

[5] Werth, Alexander (1964). "1944: Russia enters Eastern Europe". Russia at War, 1941 - 1945. New York: E. P. Dutton & Co., Inc. مؤرشف من الأصل في 19 أغسطس 2020.

[6] Pimlott, John; et al. (1989). "Year of ten victories". The World at Arms: The Reader's Digest Illustrated History of World War II. London: The Reader's Digest Association Limited. ISBN 0-89577-333-3.

[7] ضربات ستالين العشر, https://ar.wikipedia.org/wiki , p. 2, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 19\7\2021

[8] Pimlott, John; et al. (1989). "Year of ten victories". The World at Arms: The Reader's Digest Illustrated History of World War II. London: The Reader's Digest Association Limited. ISBN 0-89577-333-3.

[9] ضربات ستالين العشر, https://ar.wikipedia.org/wiki ,p. 338, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 19\7\2021

[10] Pimlott, John; et al. (1989). "Year of ten victories". The World at Arms: The Reader's Digest Illustrated History of World War II. London: The Reader's Digest Association Limited. ISBN 0-89577-333-3

[11] ضربات ستالين العشر, https://ar.wikipedia.org/wiki , p. 338, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 19\7\2021

[12] ضربات ستالين العشر, https://ar.wikipedia.org/wiki , p. 391, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 19\7\2021

[13] ضربات ستالين العشر, https://ar.wikipedia.org/wiki , p. 387, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 19\7\2021

الشكل (5) المخطط التفصيلي لضربات ستالين العشر

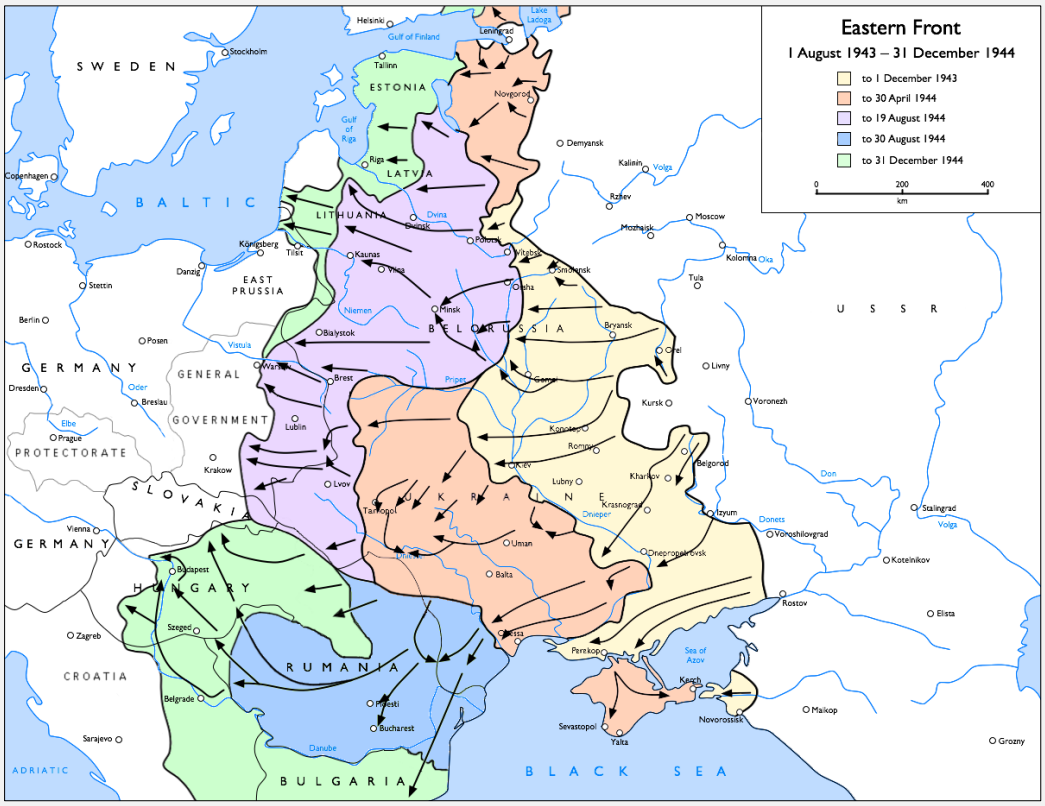

المصدر: Stalin's ten blows :https://en.wikipedia.org/

ضـربات سـتالين أثبتت الفشـل الذريع لعلمية باربارومسـا حيث أن أدولف هتلر لم يتمكن من تحقيق أياً من أهدافه الاسـتراتيجية الطموحة في السـوفييت بالرغم من الحجم الاسـتراتيجي والعسـكري المهول للعملية, وأن كل ما انتجته العملية ردة فعل سـوفيتية عنيفة تمثلت في إيقاظ المارد الأحمر والذي كان له الدور الرئيسـي في هزيمة الألمان وسقوط برلين, وبهذا تم إثبات الفرضية السابعة.

الفرضية الثامنة: تجنب ألمانيا لغزو الإتحاد السوفيتي كسيناريو محتمل سيجعلها تكسب الحرب العالمية الثانية.

أظهر حلف مولوتوف الموقف الإيجابي بين السـوفييت وألمانيا وعدم وجود أي توجه لكلا الطرفين في المواجهة العسـكرية أو على الأقل ظاهرياً, ومع ذلك وبالرغم من العلاقات الودية الظاهرة بين الطرفين إلا أن كل جانب كان يشك بنوايا الطرف الآخر[1] وحتى مع الشكوك لدى الجانب السـوفيتي لم يبدر منهم أي حركات استفزازية أو عمليات عسـكرية, فقد كان جوزيف سـتالين دائما يرفض التحذيرات التي كانت تأتيه من جهاز الاسـتخبارات لأنه اعتقد أنها معلومات بريطانية مسـربة لإشـعال نار الحرب بين ألمانيا والاتحاد السـوفيتي وقد قام الجاسـوس الدكتور ريتشـارد سورج بإعطاء ستالين وقت بدء العملية إلا أن ستالين لم يأخذ ذلك بنظر الاعتبار. مما أدى إلى استعدادات سوفيتية

[1] عملية باربارومسا, https://ar.wikipedia.org/wiki, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 25\8\2021.

بطيئة,[1] وبالرغم من أن القيادة العليا السوفيتية كانت قلقة من تلك التحركات إلا أن زعيم الاتحاد السوفيتي جوزيف ستالين كان مؤمنا بان الرايخ الثالث لن يقوم بهجوم لأنه لم يمضى سوى سنتين على توقيع معاهدة (مولوتوف-ريبنتروب) وكان أيضا يظن ان ألمانيا يجب أن تنهي حربها مع بريطانيا قبل أن تفتح جبهة جديدة وكان دائما,[2] ويعتقد معظم المؤرخين أن ستالين كان يسعى لتجنب الحرب مع الألمان في 1941 لأنه يعتقد أن جيشه ليس مستعدا لمحاربة القوات الألمانية,[3] وهذا يثبت أن جوزيف ستالين لم يكن لديه الرغبة بالدخول في مواجهه عسكرية مع الجيش الألماني, أما من جهة أدولف هتلر فقد كان الأمر مختلف, حيث صرح عن نيته غزو الاتحاد السوفيتي في 11 أغسطس 1939 إلى كارل جاكوب بوركهارت ، مفوض عصبة الأمم ، بالقول: كل ما أقوم به موجه ضد الروس,[4] والذي يبين النية المسبقة لأدولف هتلر تجاه السوفييت وهذا ما تم إثباته في الفرضية الثانية, كما أن القيادة الألمانية زعمت بأن الجيش الأحمر كان يستعد لمهاجمة الألمان، وبالتالي أظهروا غزوهم بأنه ضربة وقائية,[5] وهذا يثبت التوجه المقصود والمسبق لغزو السوفييت بدون أي مبررات عسكرية باستثناء مبررات نظرية المجال الحيوي, وأن أدولف هتلر كان يمتلك القدرة على اتخاذ القرار في تجنب المواجهة العسكرية مع السوفييت, وهنا يظهر تساؤل مهم ومنطقي: في حال تجنب أدولف هتلر لعملية غزو السوفييت هل كان هناك فرصة لألمانيا في كسب الحرب العالمية الثانية كسيناريو محتمل؟؟! بالعودة إلى نتائج الفرضية السادسة نجد أن عملية باباروسا تسببت في إنهاك الجيش الألماني ما أدى إلى ضعف الجبهات الأوربية الغربية والجنوبية كنتيجة مثبتة, ولكن ,, هل هذا يعني بالضرورة أن تجنب ألمانيا لغزو الإتحاد السوفيتي سيعزز من قوة الجيش الألماني في الجبهات الغربية ما يجعلها تكسب الحرب؟؟! بالنظر إلى حجم القوات الألمانية ودول المحور الموجهة نحو الأراضي السوفيتية نجد أن عملية باباروسا استقدمت معظم القوة العسكرية كما هو موضح في الجدول (2), حيث شكلت القوة الغازية ما بين 80٪ من الجيش الألماني في عام 1941 و 62٪ من الجيش الألماني في العام1944 في الجبهات الشرقية.

[1] Hastings, Max (2012). Inferno: The World at War, 1939–1945. New York: Vintage. ISBN 978-0-30747-553-4.p 141.

[2] عملية باباروسا, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 25\8\2021.

[3] عملية باباروسا, https://ar.wikipedia.org/, (د , ن) (د , ت) تم الاطلاع في 25\8\2021.

[4] McKale, Donald M. (17 March 2006). Hitler's Shadow War: The Holocaust and World War II. Taylor Trade Publishing. p. 124. ISBN 978-1-4616-3547-5

[5] Hartmann, Christian (2013). Operation Barbarossa: Nazi Germany's War in the East, 1941–1945. Oxford University Press. ISBN 978-0-19-966078-0.p 9–24.

الجدول (2) القوة النسبية للقوات المقاتلة ، الجبهة الشرقية ، 1941-1945[1,2,3]

التاريخ	قوات المحور
1941\6\22	المجموع: 3.767.000 في الشرق (80٪ من الجيش الألماني)
1942\6\7	المجموع: 3,720,000 في الشرق (80٪ من الجيش الألماني)
1043\7\9	المجموع: 3,933,000 في الشرق (63٪ من الجيش الألماني)
1944\5\1	المجموع: 3,370,000 في الشرق (62٪ من الجيش الألماني)
1945\1\1	المجموع: 2,330,000 في الشرق (60٪ من الجيش الألماني)
1945\4\1	المجموع: 1,960,000 (66 ٪ من الجيش الألماني)

المصدر: https://en.wikipedia.org (Eastern Front (World War II/

هذا يقودنا إلى تساؤل أخير: لو أن القوات الألمانية في الجبهات الشرقية تم توجيهها إلى غرب وجنوب أوربا هل كانت دول التحالف ستتمكن من استعادة المناطق الغربية التي سيطر عليها الألمان؟؟! بالنظر إلى مجموع القوات الألمانية في الجبهة الشرقية من عام 1941 وإلى 1945 نجد أن هذه القوات لو توجهت نحو الجبهات الغربية والجنوبية لتغيرت معطيات الحرب ولكانت ألمانيا النازية لتحظى بفرصة لكسب الحرب أو على الأقل منع قوات الحلفاء من إسقاط برلين والحفاظ على ألمانيا, لذلك فإن تحرش أدولف هتلر بالسوفييت يعتبر خطأ فادح, فمثلما أن المؤرخين العسكريين يجدو أن تجنب اليابانيين للأخطاء الاستراتيجية في ضرب بيرل هاربر والتي تمثلت في تفويت الأهداف ذات التأثير الاستراتيجي كخزانات الوقود وأحواض السفن والقيادة العسكرية, كان من شأنه أن يمد من فترة الحرب العالمية الثانية,[4] فإن نتائج هذه الفرضية تثبت حقيقية الخطاء الفادح لأدولف هتلر في تحرشه للسوفييت والذي يعتبر أشد تأثيراً من الخطاء الياباني في بيرل هاربر والذي تسبب في دخول الولايات المتحدة الحرب في صفوف دول التحالف, الأمر الذي لو تجنبته ألمانيا النازية لكسبت الحرب العالمية الثانية كحقيقة مؤكدة من خلال نتائج هذه الفرضية, وبهذا تم إثبات الفرضية الثامنة.

النتائج

1. نجح هتلر في تجنيد الإتحاد السوفيتي في استراتيجية ألمانيا النازية القائمة على نظرية المجال الحيوي من خلال اتفاقية حلف مولوتوف القائمة بالظاهر على منع الإعتداء والعلاقات الإقتصادية, وبشكل مبطن على تقسيم الأراضي الأوربية.

[1] Glantz, David M.; House, Jonathan M. (2015). When Titans Clashed: How the Red Army Stopped Hitler. Modern War Studies (second ed.). University Press of Kansas. pp. 301–303. ISBN 978-0-7006-2121-7.

[2] Glantz 1998, p. 107.

[3] Glantz & House 1995, p. 68.

[4] ذي يزن الاعوش, التحليل الإستراتيجي والعسكري للهجوم الياباني على قاعدة بيرل هاربر الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية, مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية, العدد 11, 2021, صفحة 24.

2. موقف الإتحاد السوفيتي يعيق تطبيق المجال الحيوي لألمانيا النازية وظهر تجاوب السوفييت لحلف مولوتوف على أرض الواقع.
3. كانت السوفييت مصنفة كأحد أهداف المجال الحيوي لهتلر قبل التحالف من خلال النوايا المسبقة, وتغيير موقف ألمانيا من التحالف لم يكن بسبب مواقف السوفييت أنفسهم بل بسبب دوافع ذاتية لهتلر ومبررات غير مثبتة من وجهة نظر القيادة الألمانية.
4. مؤشرات الواقع العسكري السوفيتي كشفت عن مظاهر الضعف والتشتت وتراجع درجة الاستعداد لدى الجيش الأحمر ما عزز من دوافع هتلر في احتلالها.
5. الحجم الاستراتيجي للإتحاد السوفيتي كهدف كان أكبر من قدرات الجيش الألماني النازي, وظهر تأثير الحجم الاستراتيجي للإتحاد السوفيتي من خلال الأبعاد الجغرافية والزمنية والعسكرية التي ساهمت بشكل كبير في هزيمة القوات الألمانية.
6. عملية باربروسا تسببت في إضعاف الجيش الألماني ما أدى إلى تأثر عملياته في الجبهات الأوربية الغربية والجنوبية بسبب احتجاز واستنزاف جزء كبير من الجيش الألماني في الجبهات الشرقية.
7. مواجهة ألمانيا للسوفييت عسكرياً كان أحد أسباب هزيمتها في الحرب العالمية الثانية, حيث أن عملية باربروسا تسببت في دخول السوفييت للحرب ودفعه لتنفيذ هجوم مضاد بعشر عمليات سميت بضربات ستالين العشر وتسببت في إسقاط برلين.
8. تجنب ألمانيا لغزو الإتحاد السوفيتي كسيناريو محتمل كان ليعطي الجيش الألماني فرصة لدعم وإسناد الجبهات الغربية والجنوبية ما كان ليجعلها تكسب الحرب العالمية أو على الأقل الإبقاء على المناطق التي تم السيطرة عليها والحفاظ على ألمانيا.

الدروس المستفادة

1. قبل البدء بأي عمليات عسكرية استراتيجية ينبغي تقييم موقف الأطراف المقابلة وتحديد الاحتمالات والسيناريوهات المتوقعة لتحركاتهم المعادية, وهذا يساعد في تجنب الأطراف التي لا يبدر منها أي خطر أو تهديد محتمل, وبعبارة أخرى: **لا تصنع أعدائك بنفسك**.
2. ضرورة توأمة التقييمين العسكري والاستراتيجي في العمليات واسعة النطاق, حيث أن التقييم العسكري وحده لا يكفي والذي قد يؤدي إلى نتائج كارثية.
3. عند تنفيذ عملية التقييم العسكري والاستراتيجي يجب الأخذ بعين الإعتبار الأبعاد غير العسكرية والتي من شأنها تغيير معطيات المعارك وقلب النتائج مثل البعد الجغرافي, البعد الزمني, بعد العوامل الإستثنائية.
4. إعطاء الأولوية في تركيز العمليات وتوجيه القوة العسكرية على الأهداف الإستراتيجية الأكثر أهمية وتجنب تشتيت القوات من العوامل المساعدة في كسب المعارك الحربية ونجاح العمليات الإستراتيجية.
5. التأكد من وجود خطط بديلة لإدارة الأزمات وحالات الطوارئ وعمليات الإنسحاب والتراجع عند إقرار العمليات العسكرية والاستراتيجية واسعة النطاق.

المراجع

المراجع والمواقع العربية

1. معاهدة فرساي, 23\7\2021 ,https://ar.wikipedia.org/.
2. عماد عبدالله ابوالعطا , نظرية المجال الحيوي, https://tsunami132.wordpress.com/,
3. تاريخ ألمانيا الاقتصادي, https://ar.wikipedia.org/
4. اقتصاد ألمانيا النازية, https://ar.wikipedia.org/
5. التعاون العسكري بين اليابان و المانيا النازية قبل الحرب و اثناء الحرب العالمية الثانية,
6. العلاقات بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي قبل عام 1941, https://ar.wikipedia.org/,
7. رند عتوم, أغسطس 23, 2020, ما هو الاتفاق الألماني السوفييتي؟, https://e3arabi.com/
8. روبرتس ، جيفري (2006). حروب ستالين: من الحرب العالمية إلى الحرب الباردة ، 1939-1953.
9. جوزيف ستالين https://ar.wikipedia.org
10. قنسطنطين روكوسوفسكي, https://ar.wikipedia.org/wiki
11. موسوعة الهولوكوست, أدولف هتلر: التواريخ الرئيسية, https://encyclopedia.ushmm.org/
12. معركة فرنسا, https://ar.wikipedia.org
13. الاتحاد السوفيتي, https://ar.wikipedia.org/
14. موسكو, https://ar.wikipedia.org
15. دور النفط في الحرب العالمية الثانية, https://www.argaam.com
16. فولغوغراد, https://ar.wikipedia.org
17. معركة ستالينغراد, https://www.ibelieveinsci.com
18. لماذا شكلت معركة موسكو محطة فارقة في سيناريو الحرب العالمية الثانية؟ https://arabic.rt.com
19. ذي يزن الاعوش, الأخطاء الاستراتيجية للجيش الألماني في معركة كورسك أثناء الحرب العالمية
20. معركة موسكو, https://www.marefa.org/,
21. حملة شمال أفريقيا, https://ar.wikipedia.org
22. "معلومات عن غزو النورماندي على موقع catalog.archives.gov". catalog.archives.gov.
23. غزو النورماندي, https://ar.wikipedia.org
24. ضربات ستالين العشر, https://ar.wikipedia.org/wiki
25. عملية باربا روسا, https://ar.wikipedia.org
26. ذي يزن الاعوش, التحليل الإستراتيجي والعسكري للهجوم الياباني على قاعدة بيرل هاربر الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية, مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية

المراجع والمواقع الأجنبية

1. Rich 1973 ,https://ar.wikipedia.org.
2. Allan Bullock & Stephen Trombley, ed. "Lebensraum." The New Fontana Dictionary of Modern Thought (1999),
3. André Mineau (2004). Operation Barbarossa: Ideology and Ethics Against Human Dignity. Rodopi .ISBN 978-9042016330
4. https://topmilinfo.blogspot.com.
5. Fest, Joachim C., Hitler, Harcourt Brace Publishing, 2002 (0-15-602754-2),
6. Kirby, D.G. (1980). Finland in the Twentieth Century: A History and an Interpretation. University of Minnesota Press. ISBN 0-8166-5802-1
7. Roberts, Geoffrey (2006). Stalin's Wars: From World War to Cold War, 1939–1953. Yale University Press. ISBN 0-300-11204-1.
8. Berthon, Simon; Potts, Joanna (2007), Warlords: An Extraordinary Re-creation of World War II Through the Eyes and Minds of Hitler, Churchill, Roosevelt, and Stalin, Da Capo Press, ISBN 0-306-81538-9.
9. McKale, Donald M. (17 March 2006). Hitler's Shadow War: The Holocaust and World War II. Taylor Trade Publishing.. ISBN 978-1-4616-3547-5.
10. Eastern Front (World War II), https://en.wikipedia.org .
11. Roberts, Andrew (2011). The Storm of War: A New History of the Second World War. New York: Harper Perrenial. ISBN 978-0-06122-860-5.
12. Patterson, David (2003). The Complete Black Book of Russian Jewry. Transaction. ISBN 978-1412820073.
13. Adolf Hitler's Speech on Operation Barbarossa is available for free download at the Internet Archive
14. Glantz, David (2012). Operation Barbarossa: Hitler's invasion of Russia 1941. The History Press. ISBN 978-0752460703.
15. Clark, Lloyd (2012). Kursk: The Greatest Battle: Eastern Front 1943. Headline Review. ISBN 978-0755336395.
16. Seaton, Albert (1972). The Russo-German War, 1941–45. Praeger Publishers. ISBN 978-0891414919.P 91–93.
17. Ericson 1999, p. 57, https://ar.wikipedia.org.
18. Macksey, Kenneth (1989). "Guderian". In Barnett, Correlli .Hitler's Generals. Weidenfeld & Nicolson. ISBN 0-297-79462-0.
19. Underground Roads, Boulevards and Malls To Be Built Underneath Moscow - PravdaReport
20. Carell, Paul (1963), Unternehmen Barbarossa – Der Marsch nach Russland
21. Saint Petersburg-The Soviet Period,"Saint Petersburg." Encyclopædia Britannica. Encyclopædia Britannica. Encyclopædia Britannica, 2011. Web. 19 July 2011
22. Orchestral manoeuvres (part one), The Guardian; 25 November 2001
23. Siege of Leningrad, https://en.wikipedia.org
24. Reid, Anna (2011), Leningrad: The Epic Siege of World War II, 1941–1944, Bloomsbury Publishing, ISBN 978-0-8027-7882-6
25. Keegan, John (1989). The Second World War. New York: Viking. ISBN 978-0-67082-359-8.

26. Wright, Gordon (1968). The Ordeal of Total War, 1939–1945. New York: Harper & Row. ISBN 0061314080.
27. Baker, Lee (2009). The Second World War on the Eastern Front. London: Pearson Longman. ISBN 978-1-40584-063-7.
28. Glantz, David M.; House, Jonathan M. (2015). When Titans Clashed: How the Red Army Stopped Hitler. Modern War Studies (second ed.). University Press of Kansas.– ISBN 978-0-7006-2121-7.
29. Mercatante, Steven (2012). Why Germany Nearly Won: A New History of the Second World War in Europe. Praeger. ISBN 978-0313395925.
30. Eric Croddy, MA, MILITARY MEDICINE, Tularemia, Biological Warfare, and the Battle for Stalingrad ,(1943-1942)
31. Armand Augustin Louis Caulaincourt (1935). With Napoleon in Russia: The Memoirs of General de Caulaincourt. London: W. Morrow and company .ISBN 978-1199977984.2020 .
32. Moscow Encyclopedia, ed. Great Russian Encyclopedia, Moscow, 1997, entry "Battle of Moscow "
33. Great Soviet Encyclopedia, Moscow, 1973–78, entry "Battle of Moscow 1941–42"
34. John Erickson, Barbarossa: The Axis and the Allies, table 12.4
35. Werth, Alexander (1964). "1944: Russia enters Eastern Europe". Russia at War, 1941 - 1945. New York: E. P. Dutton & Co., Inc.
36. Willmott, H.P. (1989). The Great Crusade: A New Complete History of the Second World War. New York: The Free Press. ISBN 0-02-934715-7.
37. Pimlott, John; et al. (1989). "Year of ten victories". The World at Arms: The Reader's Digest Illustrated History of World War II. London: The Reader's Digest Association Limited. ISBN 0-89577-333-3.
38. Hastings, Max (2012). Inferno: The World at War, 1939–1945. New York: Vintage. ISBN 978-0-30747-553-4.
39. McKale, Donald M. (17 March 2006). Hitler's Shadow War: The Holocaust and World War II. Taylor Trade Publishing. ISBN 978-1-4616-3547-5
40. Hartmann, Christian (2013). Operation Barbarossa: Nazi Germany's War in the East, 1941–1945. Oxford University Press. ISBN 978-0-19-966078-0.

الاستراتيجيات والتكتيكات الحديثة للمجموعات الإرهابية في منطقة الساحل الإفريقي

Modern strategies and tactics of terrorist groups in the African Sahel region

الدكتور محمد الطيار

باحث في الدراسات الإستراتيجية والأمنية، أستاذ زائر بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكادير - جامعة إبن زهر – المغرب

ملخص

نحاول في هذه الورقة التطرق إلى اوجه تطور اساليب نشاط المجموعات الارهابية بمنطقة الساحل الافريقي، وتشخيص مختلف الاستراتيجيات والتكتيكات الجديدة التي اعتمدتها مند التدخل العسكري الفرنسي بمالي سنة 2013، كما سنحاول تناول اساليب عمل فرنسا بالمنطقة في التصدي للمجموعات الارهابية ، قبل أن تعلن خلال السنة الجارية عن نهاية مهمة قوة برخان بالساحل الافريقي ، هذه القوة التى برهنت حصيلة اشتغالها طيلة مايقرب من حوالي ثماني سنوات ، أن مهمتها لم تكن سهلة بالشكل الذي كانت تتصور باريس، فقد بزغ التهديد الإرهابي من جديد وبقوة اكبر مما سبق في منطقة الساحل، وأصبحت الهجمات اكثر فتكا ودقة، حيث نهجت أسلوب العصابات واستعمال الأجهزة المتفجرة اليدوية الصنع، وأشكال الحرب غير النظامية الأخرى، وارتفع منسوب العنف اكثر مما سبق، وتوسع نشاط الجريمة المنظمة، وتضاعف عدد الهجمات التي أعلنت الجماعات المتطرفة العنيفة مسؤوليتها عنها، وتعلمت الجماعات الإرهابية بسهولة وبشكل سريع كيفية التغلب على دفاعات القوات المالية والفرنسية، وأصبحت مقرات وعناصر بعثة الأمم المتحدة أكثر انكشافا، واتسعت بذلك رقعة المعضلة الامنية القائمة، كما وسعت الجماعات المتطرفة نطاقها الجغرافي حيث تمدد نشاطها ليشمل بشكل اكثر حدة كل من النيجر وبوركينافاسو فضلا عن شمال ووسط مالي.

Summary

This paper aims to provide different aspects of the modus operandi of terrorist groups in the African Sahel region along with new strategies and tactics adopted since the French military intervention in Mali in 2013 till the end of the Barkhane force mission in the African coast. This force unity which has been working for nearly seven years has proven its limitations and shortcomings in facing the terrorist groups. The terrorist threat has submerged the Sahel region again and their force and attacks tactics became more deadly and accurate so far. The use of improvised explosive devices, and other forms of irregular warfare, violence volume increased more than before, organized crime expanded, the number of attacks claimed by violent extremist groups multiplied, and terrorist groups learned easily and quickly how to overcome the defenses of the Malian And the French forces. Also the headquarters and elements of the United Nations mission became more exposed to danger. The Extremist groups have also expanded their geographical scope, as their activity has stretched to include Niger and Burkina Faso, as well as northern and central Mali.

مقدمة

لا يمكن حصر التهديدات والمخاطر القائمة في منطقة الساحل الإفريقي في الإرهاب والجريمة المنظمة فقط كما هو وارد في مختلف الدراسات، خاصة منها الغربية، حيث يتم التركيز على الجانب الأمني مع إغفال الجوانب الأخرى من مسببات الأزمة، وإغفال كذلك الخاصية التاريخية والثقافية للمجال ككل، أو النضر إلى الظاهرة على أنها مجرد واقع مشترك مع أغلب دول المعمورة، فالأمر يختلف في منطقة الساحل لأن الجريمة المنظمة أصبحت تشكل ومنذ عقود، دورا محوريا في تحريك عجلة اقتصاد دول منطقة الساحل، بحكم أن ما يدخل في حكم الاتجار غير المشروع دوليا، يعتبر في منطقة الساحل تجارة كغيرها، فليس هناك حدودا فاصلة، كما أن غالبية المسئولين وأفراد عائلاتهم يتعاطون للتهريب بأنواعه، إضافة إلى أن مؤسسات الدولة التي من المفروض أن يكون دورها هو السهر على وضع الحد الفاصل بين ما هو مشروع وبين ما هو غير مشروع، لا تقوم بهذا الدور.

ويختلف الإرهاب في منطقة الساحل الإفريقي عن سواه في مناطق العالم الأخرى، حيث أنه أحيانا من الصعب التفريق بين الجماعات المسلحة التابعة للقبائل والإثنيات، وبين الجماعات التي تدعي الجهاد، إذ فيمكن أن ينتقل الأفراد من هذه الجماعة إلى تلك بكل سهولة، ثم أن التنظيمات التي تدعي الجهاد، قد تنسج علاقات متبادلة بمؤسسة الدولة في منطقة الساحل الإفريقي، حيث تدخل معها أحيانا في توافقات وتتدخل لديها عن طريق وسطاء لفك اسر الرهائن الغربيين مقابل الفدية، التي قد يحصل مسئولي الدولة على نصيب منها عند تحصيلها.

شواهد توسع رقعة المأزق الأمني في منطقة الساحل الافريقي بعد التدخل الدولي

وقعت عدة تطورات في منطقة الساحل خاصة في مالي بعد عملية "سرفال" الفرنسية، منها ما يتعلق بخطوات إرساء السلم والأمن وعودة الإرهاب القوية، وانعدام الأمن وانتشار قطاع الطرق والجريمة وضعف نسبة عودة اللاجئين بسبب خوفهم واستعمال مالي وفرنسا لمليشيات مكونة من قبائل معينة لمواجهة الجماعات المسلحة، مما جعل عملية المصالحة في شمال مالي تسير مترنحة بسبب انعدام الثقة والإرادة السياسة لدى مختلف الأطراف، مما قد يجعل اتفاق الجزائر لسنة 2015 م لا يختلف عن كغيره من الاتفاقات التي سبقته والمبرة خلال العقود السابقة، الأمر الذي يدفع مستوى المخاطر والتهديدات إلى مزيد من الحضور والارتفاع.

فرغم "النجاحات" الميدانية التي حققتها "عملية سرفال" الفرنسية بمشاركة وحدات من الجيش التشادي سنة 2013م، وتمكين مالي من منع الانفصال في إقليمها الشمالي، وما تلا ذلك من توقيع اتفاق السلام والمصالحة بين بعض المجموعات المسلحة والحكومة المالية برعاية الأمم المتحدة وبتنسيق مع الجزائر، فإن الواقع الأمني في شمال ووسط مالي شهد تدهورا[1] متزايدا على جميع المستويات، مما وضع مسألة نجاح الإستراتيجية الفرنسية في المنطقة محل شك[2]، حيث واصلت الجماعات المسلحة تهديد السكان لثنيهم عن التعاون مع قوات الأمن، وتضاعف عدد التفجيرات بواسطة متفجرات يدوية الصنع وازداد تدهور الحالة الأمنية منذ توقيع اتفاق السلام والمصالحة، بل اشتدت المواجهات المسلحة

[1] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي، عدد S/2018/541، بتاريخ 6 يونيو 2018

[2] أميرة محمد عبدالحليم،"درس "واجادوجو :"لماذا لم تمنع العسكرة الفرنسية تصاعد الإرهاب بالساحل الإفريقي؟ "، نشر في, 11 مارس, 2018، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة.

بين أطراف موقعة على الاتفاق، وارتفع منسوب عدم الثقة، كما أن جل انتهاكات حقوق الإنسان المبلغ عنها قامت بها قوات الأمن التابعة للسلطات المالية في إطار سياستها لمحاربة الإرهاب، وقد سجل مثلا تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي المرفوع إلى مجلس الأمن بتاريخ 06 يونيو 2018م، انتهاكات وأعمال انتقامية ضد المدنيين قامت بها أيضا قوات "مجموعة الدول الخمس".[1]

التكتيك الجديد للجماعات الإرهابية

بزغ التهديد الإرهابي من جديد وبقوة اكبر مما سبق في منطقة الساحل في السنوات التي تلت التدخل الدولي، وأصبحت الهجمات تعتمد أسلوب العصابات واستعمال الأجهزة المتفجرة اليدوية الصنع، وأشكال الحرب غير النظامية الأخرى، وارتفعت مستويات العنف وتعلمت الجماعات الإرهابية بسهولة وبشكل سريع كيفية التغلب على دفاعات القوات المالية والفرنسية، وأصبحت مقرات وعناصر بعثة الأمم المتحدة أكثر انكشافا، وأرتفع عدد الهجمات التي أعلنت الجماعات المتطرفة العنيفة مسؤوليتها عنها واتسعت بذلك رقعة انعدام الأمن[2].

الهجمات التي تستهدف القوات المالية والفرنسية وقوات البعثة والجماعاتِ المسلحة الموّقعة على اتفاق السلم والمصالحة، أضحت أكثر تطورا وتعقيدا وفتكا من ذي قبل، حيث تُستخدم فيها أساليب من قبيل الهجمات الانتحارية بواسطة أجهزة متفجرة يدوية الصنع محمولة على مركبات أو الدرجات النارية، والأجهزة المتفجرة الموجهة عن بعد، والأسلحة الصغيرة، والنيران غير المباشرة، وزادت وتيرة هذه الهجمات وارتفع مثلا عدد الحوادث التي تُستخدم فيها الأجهزة المتفجرة اليدوية الصنع بنسبة 15 في المائة في عام 2016 م، مما أدى إلى زيادة عدد الإصابات في صفوف القوات المالية والفرنسية وقوات البعثة إلى نحو الضعف نتيجًة للهجمات الانتحارية بواسطة الأجهزة المتفجرة اليدوية الصنع، وارتفعت بالخصوص هجمات تنظيم "الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى" على حدود مالي المشتركة مع النيجر وبوركينافاسو مند سنة 2018م ، وازداد عدد عمليات تنظيم "نصرة الاستلام والمسلمين " في وسط مالي وعلى الحدود مع موريتانيا وبوركينا فاسو[3]. وكتكتيك في إطار تنفيذ إستراتيجيتها، تتجنب المجموعات المسلّحة المواجهة المباشرة مع الجنود الفرنسيين أو الماليين، فطريقة الهجمات الانتحارية وزراعة الألغام اليدوية الصنع تمكنها من حصد أكبر عدد ممكن من الأرواح.

اعتبارا من شهر يناير 2015م، مثلّت الأجهزة المتفجرة اليدوية الصنع والألغام، المصدر الوحيد الأكبر لخسائر قوات بعثة الأمم المتحدة (مينوسما)، كما لعب تصاعد نشاط الجريمة المنظمة عبر الوطنية وأنشطة الاتجار غير المشروع في شمال مالي والمنطقة ككل دورا كبيرا في عرقلة عملية السلام، وتوسيع رقعة مسرح العمليات وزيادة استخدام دروب

[1] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي، عدد S/2018/541، بتاريخ 6 يونيو 2018. مرجع سابق

[2] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي، عدد S/202017/271 بتاريخ 30 مارس 2017

[3] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - عدد S/2018/27 3 ، بتاريخ 29مارس 2018

الاتجار لتدفقات الهجرة غير القانونية[1]. ونتج عن هذه التطورات وجود مناطق كاملة في شمال ووسط مالي وفي بوركينا فاسو والنيجر خارجة عن السيطرة وسالبة للأمن بشكل منظور.[2]

في ظل هذه التطورات الميدانية التي جعلت من منطقة الساحل مجالا متمددا للانفلات الأمني المتصاعد، انتقلت الجماعات الإرهابية إلى مرحلة مهمة من تطوير عملها وتنسيق نشاطها، حيث أعلنت في يوم 01 مارس 2017 م، عن تكوين جماعة "نصرة الإسلام والمسلمين" بعد اندماج أربعة حركات مسلحة، أعلنت عن هيكلها الجديد في شريط فيديو صورته مؤسستها الإعلامية "الزلاقة "ونشرته في نفس اليوم وكالة نواكشوط للأنباء، حيث ظهر في الفيديو إياد أغ غالي أمير "جماعة أنصار الدين"، وجمال عكاشة أمير" إمارة الصحراء" التابعة ل" القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي"، ومحمد كوفا أمير "جبهة تحرير ماسينا"، والحسن الأنصاري مساعد مختار بلمختار أمير" تنظيم المرابطون"، وأبو عبد الرحمن الصنهاجي قاضي "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي "، وقد أعلنوا عن تجمعهم واندماجهم في تنظيم جديد وعن مبايعتهم لكل من أيمن الظواهري زعيم القاعدة، وأبو مصعب عبد الودود أمير تنظيم "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي"، وهبة الله أخوند زاده أمير طالبان، وتم اختيار إياد أغ غالي أميرا للتنظيم الجديد.

تمدد النطاق الجغرافي للعمليات الإرهابية

وسعت الجماعات المتطرفة في منطقة الساحل الإفريقي نطاقها الجغرافي، فقد أصبحت تشتغل وفق تكتيك جديد يعتمد على العمل في إطار خلايا مزروعة بين السكان، بخلاف الصورة التي كانت عليها قبل عملية "سرفال " الفرنسية، حيث كان عناصرها يتنقلون بالمئات على سيارات" تيوتا " ويحملون أعلاما سوداء . وأصبحوا يستعملون أكثر الدرجات النارية في التنقل وفي تنفيذ العمليات، التكتيك الجديد جعلهم أكثر تأقلما مع المستجدات وأكثر نشاطا في جزء كبير من البلاد، جزء أكبر من الذي اعتادوا العمل فيه، وازداد نشاط الجماعات الجهادية بحرية نسبيا في عدد من المواقع المعروفة في شمال مالي، مثل أدرار إيفوغاس والمنطقة المحيطة " بميناكا"، وعادت إلى بعض المناطق التي طردتها سابقا منها القوات الفرنسية، خاصة في منطقة تمبكتو، وعلى مقربة من الحدود المالية مع موريتانيا.

يمكن اعتبار توسع النطاق الجغرافي للحوادث الإرهابية، دليلا على التأييد الشعبي للجماعات الإرهابية وتواطؤ أفراد من المجتمعات الإثنية وتغلغل خلايا المتطرفين داخلها[3]، فضلا عن كون سياسة الإعدامات المتعددة والمتواصلة ضد الأشخاص الذين تتهمهم بالتخابر والتعاون مع القوات المالية والفرنسية أو الأممية، خلف حالة من الرعب والخوف في أوساط السكان وجعلهم لا يقدمون على أي عمل من شأنه إغضاب هذه الجماعات.

---

[1] نفس التقرير

[2] OBSERVATOIRE DE LA PROSPECTIVE HUMANITAIRE "CONTEXTE SECURITAIRE AU NORD ET CENTRE DU MALI : LES ENJEUX D'ACTEURS A L'HORIZON 2019 / Août 2018 - INSTITUT DE RELATIONS INTERNATIONALES ET STRATÉGIQUES -PARIS / France . http://www.iris-france.org/wp-content/uploads/2018/08/RAN_WCA_MALI-VF-003.pdf

[3] "Le terrorisme en Afrique du Nord et au Sahel" la menace régionale se répand-elle? ' atelier organisé par le Service canadien du renseignement de sécurité. Publié en décembre 2016 .Imprimé au Canada -P 25 -www.scrs-csis.gc.ca

الانتهاج المتزايد لأساليب الحرب اللاتماثلية (guerre asymétrique)

لم تتمكن القوات العسكرية المالية والفرنسية في السنوات التي تلت توقيع اتفاق السلام والمصالحة سنة 2015م، من النجاح في معركتها ضد الجماعات المسلحة، وتبين مدى فقدانها للقدرة على شن الحرب الصحراوية الكلاسيكية[1]، بخلاف عناصر الجماعات المسلحة سواء منها المتطرفة أو غيرها، الذين أبانوا عن خبرة كبيرة وتمرس في المعارك، في حين أن القوات الحكومية المالية والفرنسية وغيرها من الدول[2]، تميل إلى القيام بعمليات عسكرية أكثر تقليدية، بقوات ذات تنظيم تقليدي غير مؤهلة لهذا النوع من المناورات.

هذه الوضعية دفعت فرنسا ومالي إلى الاعتماد على الميليشيات القبلية[3]، خاصة بعد تكرار فشل الجيش المالي في إحراز أي تقدم رغم حصوله على التدريب اللازم والعتاد المتنوع من الدول الغربية[4]، الاعتماد على المليشيات المسلحة في الحرب ضد الجماعات الإرهابية والجماعات المسلحة المعارضة، اتخذ نفس الشكل تقريبا حين تم استخدام المليشيات العرقية في تسعينيات القرن الماضي لتعويض التوازن العسكري في القوة في الشمال المالي، فقد استغلت باماكو ميليشيات سنغاي العرقية وكلفتها بمهمة ليست هي استهداف المجموعات الجهادية، ولكن لإنجاز ما لم تستطع القوات المسلحة المالية فعله في صراعها مع الطوارق والفولان.

أصبحت فرنسا ومالي منذ سنة 2015م، تعتمدان أكثر على الميليشيات المسلحة الموالية لها[5]، خاصة "جماعة طوارق إمغاد للدفاع عن النفس وحلفائهم" (GATIA) المشكلة من طوارق قبيلة امغاد، إضافة الى "الحركة العربية الأزوادية بلاتفورم (Platform-MAA) وحركة "السلام من أجل أزواد (MSA)، وقد أظهرت هذه المليشيات بشكل واضح أنها أكثر فاعلية في المعارك من القوات المسلحة المالية أو الفرنسية. توظيف هذه المليشيات لا يستهدف فقط المجموعات الإرهابية، بل تم استعمالها أيضا ضد العرقيات الغير موالية للحكومة المالية، والأمر تجاوز ذلك لتدخل أيضا في مواجهات مسلحة ضد بعض الحركات الموقعة على على اتفاق السلام لسنة 2015م، فخلال سنة 2016م وقعت مواجهات دموية بين هذه المليشيات وبين "منسقية الحركات الأزوادية"، التي تضم كلا من" الحركة الوطنية لتحرير أزواد" والمجلس الأعلى لوحدة أزواد،" و"الحركة العربية الأزوادية المنشقة (جناح ولد سيداتي)".

تحالف "حركة الدفاع الذاتي طوارق إيمغاد وحلفائهم غاتيا" و"حركة السلام من اجل ازواد"، أعلن في شهرماي 2018م، أنه دخل في مواجهات عسكرية في منطقة "منكا " مع مجموعة أبوالوليد الصحراوي التي أعلنت مبايعتها

---

[1] Philippe Folliot & Emmanuel Dupuy " Évolution de la guerre asymétrique contre le terrorisme: L'exemple de la lutte contre les groupes armés terroristes dans la bande sahélo-saharienne, en Afrique de l'Ouest et dans le Golfe de Guinée"

[2] شارك الجيش التشادي من مالي ب2000 جندي إلى جانب القوات الفرنسية في عملية سرفال. وقتل منه 26 عنصر من المشاركين في عمليات ملاحقة التنظيمات المتطرفة، كما قتل منه أربعة جنود في عملية انتحارية في مدينة كيدال في سنة 2013،وانسحب بسبب عدم قدرته على مواجهة حرب العصابات التي أصبحت تنتهجها الجماعات المتطرفة. كما قال الرئيس التشادي عند إعلانه عن انسحاب قواته.

[3] Elie Tenenbaum "Le piège de la guerre hybride Laboratoire de Recherche sur la Défens e" Focus stratégique n° 63 Octobre 2015 (www.ifri.org/fr/publications/enotes/focus-strategique/piege-de-guerre-hybride).

[4] تيكورا سامكيه"، "جيش جمهورية مالي وأزمة الشمال.. أسباب الهزيمة وتداعياتها "، مرجع سابق

[5] Hélène Rolet " L'armée française à l'épreuve de la guerre hybride dans le Sahel " TRIBUNE n° 765 www.defnat.fr - 15 avril 2016 http://fmes-france.org/wp-content/uploads/2016/04/Rolet-Larm%C3%A9e-fran%C3%A7aise-%C3%A0-l%C3%A9preuve-de-la-guerre-hybride-dans-le-Sahel.pdf

"لداعش"، واشتبك في مواجهات أخرى مع نفس التنظيم في اليوم الأول من شهر إبريل 2018م، في منطقتي "أكبار" و"بانيبنغو" اللتان تقعان في الحدود النيجيرية مع مالي، وأعلن هذا التحالف كذلك أن قواته المسلحة استولت على كمية من الأسلحة خلفها تنظيم "داعش" في ميدان القتال، كما قام بعملية مماثلة في المناطق الحدودية" تانغو" و"تشنغورا" في النيجر، و"أضرنبوكر" في شمال مالي[1].

غير أن تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي المرفوع إلى مجلس الأمن، بتاريخ 25 سبتمبر 2018 م أشار إلى أن هذه المليشيات، مسئولة عن العديد من الانتهاكات[2] ضد المدنيين خاصة من عرقية الفولان، كما سبق وأن قدمت منظمة (Human Rights Watch)"هيومن رايتواتش" في تقريرها لسنة 2016م، معطيات عن تورط القوات الحكومية المالية والمليشيات الموالية لها في العديد من الانتهاكات شملت القتل دون محاكمة، وتعذيب المشتبه بهم، وإعدامات وسوء المعاملة بحق الكثيرين. المنظمة المذكورة رصدت أيضا في تقريرها كون المؤسسة العسكرية المالية لم تبذل اي جهد من أجل التحقيق ومحاسبة الجنود أو عناصر الميليشيات المتورطين، في انتهاكات ضد المدنيين استهدفت خاصة البالغين من الذكور من المجموعات العرقية الفولان والطوارق إلى حد كبير[3].

الاستعانة بالمليشيات القبلية في النزاع الدائر، في إطار توظيف أساليب الحرب اللاتماثلية (guerre asymétrique)، يجعل من الصعب نجاح أي عملية تهدف إلى تحقيق السلام خاصة ما يتعلق منها بتسليم السلاح[4]، كما ورد في بنود اتفاق المصالحة والسلم، إضافة إلى أن استعمال المليشيات في الصراع من شانه خلق مخاطر إحداث مشكلات سياسية وأمنية طويلة وسافرة، من أجل مكاسب قصيرة المدى، الواضح أيضا أن الحكومة المالية لم تتعلم من تجربة تسعينيات القرن الماضي، عندما استهدفت ميليشيات السنغاي المعروفة باسم "غاندا كوي"، مجتمعات الطوارق، مما تسبب في مواجهات طائفية كبيرة وعداوة دائمة بين المجموعات العرقية، وجعل الدولة المالية وبمختلف مؤسساتها تفتقد إلى الشرعية والقبول من طرف الساكنة في الشمال خاصة لدى الطوارق والعرب والفولان.

ارتفاع حدة المواجهات بين القبائل سهل مهمة الجماعات الارهابية

وصل العنف القبلي إلى مستويات غيرمسبوقة منذ سنة 2017م، وتفاقم بسبب وجود جماعات مسلحة متطرفة وانتشار الأسلحة الصغيرة والأسلحة الخفيفة، فقد شهدت منطقة أزواد رغم تواجد القوات الفرنسية والمالية وكذا الأممية، مواجهات عرقية[5] خطيرة بين العديد من قبائل الطوارق والفولان وبين الفولان والسنغاي وبين السنغاي والطوارق، بل أن حدة المواجهات ارتفعت بشكل خطير بين مكونات القبائل الطارقية و العربية.

---

1 "المركز الإعلامي لحركة الدفاع الذاتي طوارق إيمغاد وحلفائهم(" GATIA) - 2018 -GATIA/المركز-الإعلامي-لحركة-الدفاع-الذاتي-طوارق-إيمغاد-وحلفائهم-www.facebook.com

[2] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - عدد S/2018/866 ، بتاريخ 25سبتمبر 2018

[3] تقرير منظمة(Human Rights Watch)، لسنة 2016،حول مالي https://www.hrw.org/ar/world-report/2017/country-chapters/298236

[4] فكما ورد في تقرير ألامين العام لشهر ديسمبر 2017، فمقاتلو الحركات الموقّعة على الاتفاق، لم يدخلوا في مرحلة التجميع، ونزع السلاح ، والتسريح، وإعادة الإدماج، ولم تقدم الحركات الموقعة قوائم مقاتليها الذين سيشاركون في هذه العملية .

[5] Le Comité Afrique" MALI DU COMBAT POUR L'AZAWAD AU COMBAT TRIBAL. " Novembre 2016. https://www.anaj- ihedn.org/wp-content/uploads/2016/11/Afrique-Article-Mali_DMG_vu-CF-2-FINAL-PUBLI-PAPIER.pdf

القبائل العربية في شمالي مالي شهدت أصعب فترات صراعاتها، حين تبادلت بعض القبائل - خصوصًا "أولاد إدريس" و"أولاد غنام"- الإغارة وعمليات الخطف والقتل والنهب، مع بعض قبائل "عرب تلمسي" من "الأمهار" و"التوابر"، وهو ما كانت بلدات "بير" و"زرهو" و"إينكيلا" و"القصبا" في شمال مالي مسرحا له، حيث شهدت مند سنة 2015م ، هجمات متبادلة بين هذه القبائل قتل خلالها العديد من المسلحين من الطرفين، ونهب الكثير من المحلات التجارية، واختطاف عدد من الأشخاص.

نفس السنة شهدت مواجهات عنيفة بين قبيلة "أولاد إعيش" وقبيلة "أولاد إدريس" العربيتين في بلدة "الأرْنَب" قرب الحدود مع موريتانيا، سقط فيها عدد من القتلى والجرحى، كما أن قبائل "الأمهار" العربية المتحالفة مع قبائل "الإيمغاد" الطارقية الموالية لمالي، إشتبكت مع قبائل "مشظوف" و"كنتة" العربيتين المتحالفتين مع قبائل "إيدنان" الطارقية المنتمية "للحركة الوطنية لتحرير أزواد"، وذلك في بلدة "تبنكورت" وسط إقليم أزواد، واندلع قتال عنيف بين قبائل "إيمغاد جنوب النهر" في منطقة " أربندا" قرب الحدود مع بوركينا فاسو، المنخرطة كذلك في " الحركة الوطنية لتحرير أزواد"، مع قبائل "إيمغاد شمال النهر"، المنضوية تحت لواء التنظيم المسلح "حركة الدفاع الذاتي لقبيلة امغاد " المعروف اختصارًا باسم "غاتيا"، كما عرفت المنطقة تجدد الصراع التقليدي التاريخي بين قبائل الإفوغاس وقبائل الإيمغاد الطارقيتين، والذي يعود إلى تسعينات القرن الماضي.

هذه الصراعات القبلية المتشعبة أخدت لَبُوسا سياسيا في بعض الأحيان، حيث تتهم قبائل "أولاد إدريس" و"أولاد غنام"، وبعض قبائل الطوارق من "الإفوغاس" و"الإيدنان"، خصومهم القبليين من "أولاد إعيش" و"التوابر" و"الأمهار" و"الإيمغاد" بموالاة الحكومة المالية والسعي لمعاقبة القبائل المتمردة عليها، كما عزز هذه المواجهات وجود عداوات سابقة بين تلك القبائل بسبب تنافسها على طرق التهريب والتجارة في الصحراء. وخلال سنتي 2019 و2020، اشتدت حدّة التوترات بين أفراد قبيلة دَوْسَحاق المنتسبين لحركة إنقاذ أزواد وتنسيقية الحركات الأزوادية في تلاتاي، في منطقة غاو، وتحولت إلى[1] مواجهات عنيفة. كما تجددت المواجهات بين مقاتلي قبيلتي "اولد اعيش" و"ايدلبه " من جهة ومقاتلي قبيلة "ترمز" من جهة اخرى في منطقة "لرنب" على الحدود الشرقية الموريتانية مع مالي، مما دفع الحكومة الموريتانية للتدخل أواخر سنة 2019 م من أجل وقف إطلاق النار ووضع حد للمواجهات، حيث قامت برعاية إتفاق بين الجانبين بمدينتي "باسكنو" والعاصمة نواكشوط، لم يستطع إيقاف المواجهات بين هذه القبائل العربية التي استمرت خلال سنة 2020 و التي يمكن أن تتمدد أثارها داخل التراب الموريتاني .

الصراعات بين القبائل والإثنيات إرتفعت فيها نسبة الاختطافات والاغتيالات والاعتداءات، فقد شهدت سنوات 2017 و2018 2019 و2020 م مواجهات خطيرة بين طوارق " امغاد " الموالية للحكومة المالية وعرقية" الفولان"، وكانت الحكومة المالية قد إتهمت أكثر من مرة سنة 2012م قبائل "الفلان" بالانضمام إلى حركتي "التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا " وجماعة " أنصار الدين"، خلال فترة سيطرة تلك الجماعات على إقليم أزواد، وتتهمها كذلك بالتحالف مع الجهاديين لضرب قواتها، في حين تتهم قبائل "الفولان" القوات المالية بإرتكاب مذابح عرقية ضد تجمعاتها السكانية

[1] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - بتاريخ 31 ماي 2019،رقم S/2019/454

مطلع عام 2013م، خصوصا في مدن وقرى "كونا" و"موبتي" و"جبالي" جنوب إقليم أزواد، عشية إندلاع الحرب ضد الجماعات الجهادية[1].

وتحمل الحكومة المالية كذلك تنظيم "ماسينا" المشكل أساسا من "الفولان"[2] المسؤولية عن عدة عمليات استهدفت قواتها والقوات الأجنبية، وقد قامت هذه الحكومة بإرسال تعزيزات عسكرية خاصة من المليشيات المسلحة القبلية الموالية لها إلى بعض التجمعات السكانية الخاصة بقبائل "الفلان" لتأديبهم وقمعهم، وهو ما أدى إلى حالة استنفار واحتقان في صفوف قبائل "الفلان" في قراهم المنتشرة على ضفاف نهر النيجر، وفتح باب المواجهات والعنف والانتقام المتبادل بين الفولان وطوارق "امغاد"، وبين الفولان وقبيلة "دوغون"، والذي من المحتمل أن يؤدي في المستقبل إلى زيادة اعتماد القبائل والمجموعات الإثنية على تشكيل مجموعات الدفاع المسلحة[3] وتصاعد نشاط "جبهة تحرير ماسينا"، وبالتالي تفاقم الأوضاع الأمنية المنهارة في مالي، خاصة وأن نشاط هذا التنظيم يدفع في اتجاه تصعيد حدة الصراع العرقي ويساهم في تعثر تنفيذ اتفاق السلام. بوركينا فاسو هي الأخرى المشهد فيها لا يختلف عن الحال في مالي، حيث ازدادت أعمال العنف القبلي بوجود الجماعات الإرهابية والميليشيات والعصابات الإجرامية خاصة في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية مع استمرارانعدام الأمن في مناطق شمال الوسط والشرق والشمال، وفي تشاد أيضا شهد العنف العرقي تصاعدا خطيرا بين الجماعات المتورطة في استخراج الذهب بشكل غير مشروع في الشمال[4].

تصاعد الهجمات ضد المنظمات الإنسانية الدولية

شنت الجماعات المسلحة أو قطّاع الطرق عدة هجمات ضد المنظمات الخيرية، والتي كانت في أغلب الأحيان من أجل السلب والنهب. "اللجنة الدولية للصليب الأحمر" التي تُعد من المنظمات التي تبذل جهدا كبيرا من أجل أن تعتبرها الجهات الفاعلة في الصراع منظمة حيادية، لا يتم التعامل معها في مالي على أنها كذلك، حيث تم استهدافها على وجه التحديد عدة مرات مما سبب خطرا متزايدا وصعوبة بالغة من أجل توفير الخدمات والموارد التي تشتد الحاجة إليها في المناطق المحرومة.[5] وقد دفعت الأعمال الإجرامية المتكررة هذه المنظمة إلى وقف عملياتها في العديد من المناطق بسبب انعدام الأمن وانتشار مخاطر المتفجرات على الطرق[6]، مما فرض على بعثة الأمم المتحدة وشركاؤها التفاوض مع قادة الجماعات المسلحة وقادة المجتمعات المحلية بشأن المساعدات ومن أجل تسهيل تسليمها للسكان المحتاجين[7]، وقد

---

[1] محمد محمود ولد أبو المعالي، "شمال مالي: بؤرة للتوتر العرقي-القبلي في لبوس سياسي" 19يناير، 2015. مركز الجزيرة للدراسات.

[2] " الإرهاب العرقي : دوافع وتداعيات تأسيس "جبهة تحرير ماسينا" في مالي"
15 ديسمبر، 2016. مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة . https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/2266/

[3] خلال سنة 2017 تشكلت عدة مجموعات قبيلية جديدة للدفاع الداتي، منها مثلا جماعة "دان نان امباساغو" وجماعة "دوغون امباساغو" من قبيلة "دوغون"، وفي المقابل ظهرت أيضا جماعة "تحالف منطقة الساحل" التي تنتمي الى "الفولان"، وقد شهد شهر يونيو من سنة 2017 مواجهات دامية بين القبيلتين، كما عرفت سنة 2019 قتل حوالي 160 قرويا من الفولان في هجوم شنته مجموعات قبيلة " دوغون".

[4] تقرير الامين العام للامم المتحدة عن "القوة المشتركة التابعة للمجموعة الخماسية لمنطقة الساحل" رقم S/ 371 / 2019 بتاريخ 6ماي 2019

[5] "معركة مالي التالية"، مرجع سابق، ص 36، و تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي بتاريخ 6 يونيو 2018

[6] "StabiliSer le Mali leS défiS de la réSolution deS conflitS "-Chaire Raoul-Dandurand en études stratégiques et diplomatiques Université du Québec à Montréal -Juin 2018

[7] تقرير الأمين العام للأمم المتحدة حول مالي، 26 ديسمبر 2017، مرجع سابق

سجلت سنة 2017م نسبة أعلى في استهداف المنظمات الإنسانية الدولية، حيث تعرضت لحوالي 55 حادثا أمنيا انطوى معظمها على اقتحام مجمعات وسرقة معدات ومركبات[1].

توسع نطاق المعضلة الأمنية

أدى عجز الدولة المالية في حل المعضلة الأمنية[2] في الشمال رغم الدعم الدولي، إلى جعل منطقة الساحل تأخذ شكل بؤرة ملتهبة ومصدر تهديد جدي للبلدان المجاورة. كما أنه ورغم توسع نشاط العملية العسكرية الفرنسية "برخان"، إلا أن قدرة التنظيمات الجهادية في التكيف مع الواقع الجديد واعتمادها أساليب قتالية جديدة، وتعثر مسار السلم والمصالحة بسب غياب الإرادة السياسية لدى مختلف الأطراف وصعوبة تخلي المجموعات المسلحة الموقعة على اتفاق السلام عن سلاحها ومصالحها المرتبطة بالتهريب، بل ودخولها في مواجهات مسلحة فيما بينها، واعتمادها سياسة الاغتيالات والتصفية الجسدية والاختطاف والاعتداء على المدنيين من مختلف العرقيات طيلة السنوات التي تلت توقيع الاتفاق، كل ذلك يجعل خطر تطور هذا التهديد في اتجاه دول الجوار واردا، أمام عجز الحكومة المالية والقوات الفرنسية والأمريكية المتواجدة في المنطقة، عن بسط الأمن.

وقد وضح تقرير الأمين العام المرفوع إلى مجلس الأمن عن الحالة في مالي بتاريخ 26 ديسمبر 2017 م، هذا العجز حين يقول : "...ولا يزال إنعدام الأمن في مالي يتسبب في تداعيات شديدة على الصعيد دون الإقليمي. وتكثفت وتيرة الهجمات غير النمطية التي تنفذها الجماعات الإرهابية، ومنها جماعة نصرة الإسلام والمسلمين، وتنظيم الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى وأنصار الإسلام، ضد قوات الأمن المحلية في منطقة الحدود الثلاثية بين بوركينا فاسو ومالي والنيجر. وتضرر من هذه الهجمات على وجه الخصوص مقاطعة السوم في بوركينا فاسو ومنطقة تيلابيري في النيجر"[3].

نسبة تدهور الوضع ارتفعت[4] أكثرمما سبق، كما زادت وتيرة الاتجار بالمخدرات وتمويل الإرهاب عن طريق أنشطة الاتجار غير المشروع، وتزايد استخدام دروب الاتجار لتدفقات الهجرة غير القانونية[5]. التصعيد الذي شهدته نسبة العمليات الإرهابية، أدى إلى القضاء على النشاط التجاري في العديد من المراكز الحضرية، وتوسعت الحوادث العنيفة التي استهدفت المجتمعات المحلية، وزادت أعمال اللصوصية، والاغتيالات المتبادلة بين مختلف الجماعات المسلحة[6]، وانتشر قطاع الطرق بسبب الغياب الطويل للأمن الوطني. فمنذ استئناف الهجمات الدموية، توقفت المبادلات التجارية وأصبحت الدكاكين خاوية من المواد الغذائية. أرقام المبادلات التجارية بمنطقة كيدال والمناطق المجاورة لها تراجعت منذ 2013م بسبب عدم قدرة التجار على جلب السلع خوفا من قطاع الطرق، حيث يتم إيقاف الشاحنات والسيارات

---

[1] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي- بتاريخ 25سبتمبر 2018، مرجع سابق

[2] Bruno Charbonneau et Cédric Jourd " Les dilemmes de la résolution des conflits face aux défis de la « guerre au terrorisme : le Mali dans une perspective sahélienne" Rapport de recherche Franco Paix -Chaire Raoul-Dandurand en études stratégiques et diplomatiques Université du Québec à Montréal Mai 2016

[3] فقرة من تقرير الأمين العام المرفوع إلى مجلس الأمن عن الحالة في مالي.26 ديسمبر 2017 ، مرجع سابق. وقد أكد استمرار هذه الحالة تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - بتاريخ 31 ماي 2019 رقم S/2019/454

[4] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - عدد 3 S/2018/27 بتاريخ 29مارس 2018

[5] تقريري الأمين العام عن الحالة في مالي في.30 مارس 2017، و6 يونيو 2018، مرجع سابق

[6] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - بتاريخ 31 ماي 2019. مرجع سابق.

من قبل مسلحين مجهولين، يقومون بسرقتها ويصل بهم الأمر أحيانا إلى حد قتل الأشخاص المتواجدين عليها، وأصبحت الأطعمة الأساسية مثل الأرز وزيت الطهي، نادرة وعلب التبغ لم تعد موجودة بسبب عمليات السطو على الشاحنات والسيارات الخاصة، مما جعل التجار وحتى السائقين يترددون في نقل البضائع من غرب تنبكتو ومن موريتانيا المجاورة[1].

كما أن الرعاة أصبحوا يخشون من أخذ قطعانهم للمرعى خارج التجمعات السكنية، والمخاطرة بالذهاب خارج المدينة بسبب مخاطر الألغام المنتشرة في الكثبان والمراعي، وأصبح من الصعب الوصول إلى منابع المياه بسبب ذلك. كما وصلت حالات سوء التغذية الحاد بين الأطفال دون سن الخامسة إلى "مستويات حرجة" في المناطق المتضررة من النزاع حول تمبكتو وغاو.

توسع آثار المأزق الأمني تسبب كذلك في إغلاق المدارس في المنطقتين الشمالية والوسطى من مالي، فخلال نهاية العام الدراسي 2016-2017م، أغلقت 500 مدرسة أبوابها مقارنة بـ 296 مدرسة في العام السابق[2]. وقد ارتفعت هذه النسبة خلال الموسم الدراسي 2017-2018م، كما أغلقت في نفس الموسم حوالي 1108مدرسة أبوابها أكثر من مرة بسبب تدهور الأوضاع[3].

في ظل هذه الأوضاع، قام الجهاديون بشن هجمات على المدارس مستغلين في أغلب الأحيان حالة الفراغ الأمني السائدة، للقيام بحرقها وتهديد المدرسين وبث الرسائل الدعوية في المساجد التي تنادي بوضوح إلى إغلاقها وفسح المجال أمام المدارس القرآنية، مما جعل التعليم الأساسي يعرف حالة شلل كامل في شمال ووسط مالي، حيث تم مثلا القيام في محافظتي " تينانكو " و"دوانتزا" بعمليّات هدم ممنهجة للمدارس من طرف الجهاديّين. زيادة على ذلك كان لتصاعد التهديدات الإرهابية وتوسع الصّراعات الطّائفية دورا كبيرا في تعميق ظاهرة مغادرة مقاعد الدراسة بشكل خطير.

في محافظة "دوانتزا " مثلا، على الحدود الفاصلة بين مالي وبوركينا فاسو على بعد 150 كيلومتر شمال شرقي موبتي، تم فيها تخريب العديد من المدارس والمطاعم المدرسية، كما تم استهداف المدرسين في عقر منازلهم، وقد تحولت بعض المدارس التي تم إغلاقها إلى مقرات عسكريّة يجتمع فيها المتطرفون للتنسيق قبل وبعد القيام بغاراتهم[4].

انعدام الأمن دفع كذلك اللاجئين في مخيم" أمبرا"، 17 كلم شمال مدينة باسكنو الموريتانية الحدودية مع مالي، الذي يعتبر أكبر مخيم موريتاني لتجمع الماليين الهاربين من جحيم الحرب (حوالي 70 ألف)، إلى التمسك بكون الرجوع إلى مناطقهم يشكل كابوسا يهدد حياتهم، مما جعلهم يفضلون البقاء بمعسكرات اللجوء[5] عوض العودة إلى مناطقهم، رغم أن الحكومة المالية وقعت اتفاقا ثلاثيا مع المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ودولة موريتانيا لإعادتهم.

---

[1] " حياة غير آمنة لبدو منطقة تين بكتو رغم اتفاق السلام "، موقع أصوت الكثبان. مرجع سابق

[2]"المدارس تصبح هدفا للجهاديّين في المناطق الدّاخلية الماليّة " موقع أصوت الكثبان

http://dune-voices.info/public/index.php/ar/2015-11-07 8- 27

[3] تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - عدد S/2018/866 - بتاريخ 25سبتمبر 2018

[4] نفس المرجع

[5] " لاجئو مخيم امبرا يشترطون الأمان للعودة إلى شمال مالي" موقع أصوت الكثبان - يوليوز 2015

https://dune-voices.info/.../523-لاجئو-مخيم-امبرا-يشترطون-الأمان-ل

خاتمة

إن التدخل الأجنبي لم يجد حلا للمعضلة الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي، فقد عاد الإرهاب بقوة وأكثر تنظيما، وارتفع منسوب الصراعات العرقية والقبلية، ولازال اتفاق السلام والمصالحة الموقع يترنح، وازداد عدد المجموعات المسلحة، وعدد العمليات الإرهابية، وارتفعت نسبة الضحايا من المدنيين والقوات الأممية، وانتشرت عمليات الاختطاف بين الخصوم السياسيين واللصوصية، وأصيبت السياحة والتجارة المتواضعة أصلا بالكساد، بسبب انتشار قطاع الطرق والهجمات المسلحة والابتزاز تحت تهديد السلاح وسرقة الماشية، وتعددت انتهاكات حقوق الإنسان من قبل قوات الأمن المالية نفسها.

الهجمات التي تنتهج أسلوب العصابات والأجهزة المتفجرة يدوية الصنع وأشكال الحرب غير النظامية الأخرى، أصبحت أكثر شيوعًا في شمال ووسط مالي وشمال بوركينافاسو والنيجر، وتزايدت مستويات العنف بعد توقيع اتفاق السلام والمصالحة في مالي، وتزايد عدد المناوشات بين العناصر المسلحة من الجماعات الرئيسية المشاركة في التوقيع على الاتفاق المذكور.

تقدم فرنسا والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي إسهامات مهمة في منطقة الساحل الإفريقي خاصة في مالي والنيجر وبوركينافاسو من أجل إقرار الأمن والاستقرار (بدون إغفال أن تواجدها يقف وراءه الدفاع عن مصالحها في المنطقة)، غير أن جهودهم تبدو غير كافية في ظل تزايد حالة انعدام الأمن واستفحال الجريمة المنظمة، وارتفاع درجة حالة عدم الاستقرار، فعملية "برخان" تعتبر عملية محدودة بالنظر إلى المنطقة الجغرافية الشاسعة التي تعمل بها الامر الدي دفع فرنسا خلال سنة2021 الى الاعلان عن انتهاء مهمتها في منطقة الساحل، كما أن بعثة الأمم المتحدة في مالي(مينوسما) تقاتل بقدراتها ومواردها المحدودة في مجال جغرافي واسع، مما جعل أفرادها الأكثر تعرضا للقتل من بين كل البعثات الأممية الأخرى المنتشرة في العالم، وتقدم بعثة التدريب التابعة للاتحاد الأوروبي وبعثة الاتحاد الأوروبي لبناء القدرات يد العون لدولة مالي والنيجر، غير أن جهودها غير كافية في ضوء ثِقَل المهمة والإكراهات، وتملص الولايات المتحدة الأمريكية من بدل مجهودات مادية كفيلة بتخفيف هذه الإكراهات.

سياسة إصلاح القطاع الأمني والعسكري وتوفير المعدات والأجهزة من طرف الدول الغربية، من خلال برامج المساعدة الأمنية والتركيز على بناء قدرة منفصلة لمكافحة الإرهاب والجريمة، تعتبر غير كافية، فالموقف يتطلب توفير قدرات أوسع، مرتبطة بتحقيق الاستقرار بشكل عام، والبناء الأساسي للدولة وبناء مؤسسات كفيلة بمحاربة الهشاشة، وتنفيذ برامج تنموية مع تطبيق القانون، ومحاربة كل صور الإقصاء وانتهاك حقوق الأقليات العرقية. إضافة إلى ذلك فالترابط بين التهديد الإرهابي والجريمة المنظمة في منطقة الساحل الإفريقي، والصراعات الدائرة على نطاق واسع، التي تئِن منها المنطقة، يستلزم مراعاة البيئة التي يعمل فيها الإرهابيون والمهربون والمرتبطة بطبيعة الدولة وظروف نشأتها وفشلها.

كما أن إنشاء "مجموعة الدول الخمس" المشكلة من دول الساحل، والاعلان خلال سنة 2020 عن تشكيل كتيبة من القوة الأوروبية اطلق عليه اسم "تاكوبا"، من أجل تخفيف المجهود الحربي على فرنسا ومحاربة الإرهاب والجريمة المنظمة، لم يجد بعد طريقه إلى التنفيذ الكامل، فهذه الدول الهشة أصلا، لم تنفد بعد ما تم الاتفاق عليه

عند إنشاء المجموعة، من تخصيص عدد 5000 جندي، حيث أن العدد المشغل أقل من ذلك بكثير، كما أن المجموعة تعاني من إتساع المجال الجغرافي الذي قررت الاشتغال فيه، وتعاني من صعوبة التنسيق ومن الهيمنة الفرنسية، فضلا إلى غياب موارد مالية مهمة ومستمرة التدفق. كما ان قوة "تاكوبا" المشكلة من وحدات تتبع لثماني جنسيات أوروبية، ما زالت جد متواضعة بشكل ملحوظ حيث لا يزيد عددها على 600 فرد نصفهم من الفرنسيين.

قائمة المراجع

- الإرهاب العرقي : دوافع وتداعيات تأسيس "جبهة تحرير ماسينا" في مالي" 15 ديسمبر، 2016. مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/2266/
- "المركز الإعلامي لحركة الدفاع الذاتي طوارق إيمغاد وحلفائهم(" GATIA) -

2018 -GATIA-/المركز-الإعلامي-لحركة-الدفاع-الذاتي-طوارق-إيمغاد-وحلفائهم-www.facebook.com

- حياة غير آمنة لبدو منطقة تين بكتو رغم اتفاق السلام "، موقع أصوت الكثبان .
- لاجئو مخيم امبرا يشترطون الأمان للعودة إلى شمال مالي" موقع أصوت الكثبان - يوليوز 2015 https://dune-voices.info/.../523-لاجئو-مخيم-امبرا-يشترطون-الأمان-ل
- المدارس تصبح هدفا للجهاديّين في المناطق الدّاخلية الماليّة " موقع أصوت الكثبان 27 -8 http://dune-voices.info/public/index.php/ar/2015-11-07
- معركة مالي التالية"، مرجع سابق، ص 36، و تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي بتاريخ 6 يونيو 2018
- أميرة محمد عبدالحليم،"درس "واجادوجو :"لماذا لم تمنع العسكرة الفرنسية تصاعد الإرهاب بالساحل الإفريقي؟ "، نشر في, 11 مارس, 2018، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة.
- تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - بتاريخ 31 ماي 2019،رقم S/2019/454
- تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - عدد 3 S/2018/27 بتاريخ 29مارس 2018
- تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي - عدد S/2018/866 ، بتاريخ 25سبتمبر 2018
- تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي، عدد S/2018/541، بتاريخ 6 يونيو 2018
- تقرير الأمين العام عن الحالة في مالي، عدد S/202017/271 بتاريخ 30 مارس 2017
- تقرير الامين العام للامم المتحدة عن "القوة المشتركة التابعة للمجموعة الخماسية لمنطقة الساحل" رقم S /371 / 2019 بتاريخ 6ماي 2019
- تقرير الأمين العام للأمم المتحدة حول مالي، 26 ديسمبر 2017،
- تقرير منظمة(Human Rights Watch)، لسنة 2016،حول مالي https://www.hrw.org/ar/world-report/2017/country-chapters/298236
- تقريري الأمين العام عن الحالة في مالي في.30 مارس 2017، و6 يونيو 2018،
- *تيكورا سامكيه"، "جيش جمهورية مالي وأزمة الشمال.. أسباب الهزيمة وتداعياتها .*
- فكما ورد في تقرير ألامين العام لشهر ديسمبر 2017، فمقاتلو الحركات الموقّعة على الاتفاق، لم يدخلوا في مرحلة التجميع، ونزع السلاح ، والتسريح، وإعادة الإدماج، ولم تقدم الحركات الموقعة قوائم مقاتليها الذين سيشاركون في هذه العملية .
- محمد محمود ولد أبو المعالي، "شمال مالي: بؤرة للتوتر العرقي-القبلي في لبوس سياسي" 19يناير, .2015 مركز الجزيرة للدراسات.

- "Le terrorisme en Afrique du Nord et au Sahel" la menace régionale se répand-elle? ' atelier organisé par le Service canadien du renseignement de sécurité. Publié en décembre 2016 .Imprimé au Canada -P 25 -www.scrs-csis.gc.ca
- "StabiliSer le Mali leS défiS de la réSolution deS conflitS "-Chaire Raoul-Dandurand en études stratégiques et diplomatiques Université du Québec à Montréal -Juin 2018
- Bruno Charbonneau et Cédric Jourd " Les dilemmes de la résolution des conflits face aux défis de la « guerre au terrorisme » : le Mali dans une perspective sahélienne" Rapport de recherche Franco Paix -Chaire Raoul-Dandurand en études stratégiques et diplomatiques Université du Québec à Montréal Mai 2016
- Elie Tenenbaum "Le piège de la guerre hybride Laboratoire de Recherche sur la Défens e" Focus stratégique n° 63 Octobre 2015 (www.ifri.org/fr/publications/enotes/focus-strategique/piege-de-guerre-hybride).
- Hélène Rolet " L'armée française à l'épreuve de la guerre hybride dans le Sahel " TRIBUNE n° 765 www.defnat.fr - 15 avril 2016
- http://fmes-france.org/wp-content/uploads/2016/04/Rolet-Larm%C3%A9e-fran%C3%A7aise-%C3%A0-l%C3%A9preuve-de-la-guerre-hybride-dans-le-Sahel.pdf
- le Comité Afrique" MALI DU COMBAT POUR L'AZAWAD AU COMBAT TRIBAL. " Novembre 2016. https://www.anaj-ihedn.org/wp-content/uploads/2016/11/Afrique-Article- Mali_DMG_vu-CF-2-FINAL-PUBLI-PAPIER.pdf
- OBSERVATOIRE DE LA PROSPECTIVE HUMANITAIRE "CONTEXTE SECURITAIRE AU NORD ET CENTRE DU MALI : LES ENJEUX D'ACTEURS A L'HORIZON 2019 / Août 2018 - INSTITUT DE RELATIONS INTERNATIONALES ET STRATÉGIQUES -PARIS / France . http://www.iris-france.org/wp-content/uploads/2018/08/RAN_WCA_MALI-VF-003.pdf
- Philippe Folliot & Emmanuel Dupuy " Évolution de la guerre asymétrique contre le terrorisme: L'exemple de la lutte contre les groupes armés terroristes dans la bande sahélo-saharienne, en Afrique de l'Ouest et dans le Golfe de Guinée"

إستراتيجية التأهيل الحضري بالمدن الجبلية بين اكراهات الواقع ومتطلبات الحكامة الترابية - حالة مدينة تاونات-

محمد البوشيخي

أستاذ باحث، الكلية متعددة التخصصات تازة. جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب

هشام شعايبي

طالب باحث في سلك الدكتوراه بالكلية لمتعددة التخصصات تازة. جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب

ملخص

يشكل موضوع التأهيل الحضري وتدبير المدن إحدى اهتمامات وانشغالات السلطات العمومية لكونها تجسد رهانات عدة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية...)، هذا الاهتمام كان حاضرا مند أربعة عقود من خلال وضع عدة مخططات وبرامج تنموية تهم المدينة وإعداد التراب والمجال الحضري بصفة عامة، لكن مع تأخر إنجاز المشاريع الحضرية وتفاقم مشاكل المدن في السنوات الأخيرة برز وعي ورغبة في النهوض بالمدن والدفع بها نحو مسار التنمية.

شهدت المدن المغربية خاصة الصغرى، على إثر النمو الديمغرافي والهجرة القروية توسعا مهما الشيء الذي أصبحت معه البنية الاجتماعية معقدة، وأصبح معه كذلك تدبير المدن المغربية مشكلا متعدد الأبعاد اجتماعيا واقتصاديا، وحتى سياسيا بسبب المشاكل الناجمة عن التدهور والانحطاط الحضري والتطور الفوضوي، والتوزيع غير المتوازن للتجهيزات وغير ذلك من مظاهر التخلف الحضري، وهي آثار لازالت تعاني منها المدن المغربية إلى اليوم، بالرغم من الجهود المبذولة من طرف السلطات المركزية والمحلية من أجل الرفع من مستوى تدبير الشأن المحلي وتحقيق التنمية المحلية والوطنية على حد سواء.

تعتبر الحكامة أداة لضبط وتسيير التوجهات الإستراتيجية الكبرى، وهي تنصب أساسا على المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كأسلوب جديد في التدبير يدعم تذويب الحدود وتشجيع التشارك بين كل المعنيين، وتتوخى حسن التنظيم وتوزيع المسؤوليات وصقل القدرات ودعم التواصل داخليا وخارجيا ، فالحكامة بذلك مبنية على تكامل عمل الدولة ومؤسساتها والقطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني في إطار تكريس ثقافة المشاركة والمحاسبة والشفافية.

هكذا إذن، ومن خلال كل هذا سنحاول مقاربة و فهم استراتيجية التأهيل الحضري وفق هذه المتغيرات التي شهدتها السياسة الحضرية أو المدينية بالمغرب، فإنتاج المجال بالمغرب يعرف تطورا مهما وتحولات مهمة في مقارباته ومبادئه، أفرزتها عوامل سوسيو-اجتماعية مهمة كالهجرة والنمو الديموغرافي...، وقد أفضى هذا التطور إلى إفراز ثنائية مجاليه تتجلى في بروز مجالات تتسم بالعقلانية في التدبير،

فالمدينة تتطلب لأجل تجاوز أزماتها المتعددة، وضع تصور شمولي استراتيجي، أي الخروج من نطاق سياسات محدودة لا تمس بنية المدينة في العمق إلى سياسات عمومية أكثر شمولية وتدبيرا أكثر عقلانية.

من أجل التدقيق أكثر في هذا الموضوع " إستراتيجية التأهيل الحضري بالمدن الجبلية بين اكراهات الواقع ومتطلبات الحكامة الترابية" ومن أجل تحقيق التوازن والتنمية المستدامة نطرح التساؤلات التالية كمفتاح للقول وتسهيل لعملية الفهم:

- ماهي مظاهر تطور مدينة تاونات وفق استراتيجية التأهيل الحضري؟
- ماهو واقع الاختلالات الهيكلية التي تعيشها المدن؟
- ماهي الاستراتيجيات التي يجب اتخاذها من أجل التأهيل الحضري؟

الكلمات المفاتيح: التأهيل الحضري- تدبير المدن - الحكامة الترابية- المدينة- التنمية الحضرية.

Abstract:

The issue of urban rehabilitation and city management is one of the concerns and preoccupations of the public authorities, as it embodies several challenges (political, economic, social, cultural...). With the delay in the completion of urban projects and the exacerbation of urban problems in recent years, an awareness and desire to advance cities and push them towards the path of development has emerged.

As a result of demographic growth and rural migration, the Moroccan cities witnessed an important expansion, which made the social structure complex, and with it, the management of Moroccan cities became a multi-dimensional problem socially, economically, and even politically due to the problems caused by urban decline and decline, chaotic development, and the unbalanced distribution of equipment And other manifestations of urban underdevelopment, which are the effects that Moroccan cities still suffer today, despite the efforts made by the central and local authorities to raise the level of local management and achieve local and national development alike.

Governance is a tool for controlling and managing major strategic directions, and it focuses mainly on the political, economic, social and cultural fields as a new method of management that supports the dissolution of borders and encourages partnership between all stakeholders, and seeks good organization, distribution of responsibilities, refining capabilities and supporting communication internally and externally, so governance is based on the integration of the work of the state. and its institutions, the private sector and civil society institutions within the framework of devoting a culture of participation, accountability and transparency.

Thus, then, and through all of this, we will try to approach and understand the urban rehabilitation strategy according to these changes in urban or urban policy in Morocco. This development has led to the production of a domain dichotomy, which is reflected in the emergence of domains characterized by rationality in management.

The city requires, in order to overcome its multiple crises, the development of a comprehensive strategic vision, that is, out of the scope of limited policies that do not affect the structure of the city in depth to more comprehensive public policies and a more rational measure.

In order to scrutinize more on this topic, "The Urban Rehabilitation Strategy in Mountain Cities between the Constraints of Reality and the Requirements of Territorial Governance" and in order to achieve balance and sustainable development, we raise the following questions as a key to saying and facilitating the process of understanding:

• What are the manifestations of the development of the city of Taounate according to the urban rehabilitation strategy?

• What is the reality of the structural imbalances experienced by cities?

• What are the strategies to be taken for urban rehabilitation?

Key words: urban rehabilitation - urban management - territorial governance - the city - urban development.

مقدمة

يحتل موضوع المدينة مكانة أساسية في الوقت الحاضر بالنظر إلى ارتفاع وتيرة التحضر بسبب نمو الساكنة الحضرية وتزايدها. فكلما ارتفع حجم ساكنة المدن واتسعت رقعتها كلما ازدادت الحاجة إلى تدبير فعال للمدينة عبر تطوير السياسات العمومية المتبعة لتلبية الحاجيات المتزايدة في مختلف الميادين. لهذا تطرح أهمية الحكامة في تدبير المدن قصد تحقيق تنمية مندمجة تستجيب لحاجيات الساكنة الحضرية.

إن تدبير المدن يشكل إحدى اهتمامات وانشغالات السلطات العمومية لكونها تجسد رهانات عدة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية...). هذا الاهتمام كان حاضرا مند أربعة عقود من خلال وضع عدة مخططات وبرامج تنموية تهم المدينة وإعداد التراب والمجال الحضري بصفة عامة، لكن مع تأخر إنجاز المشاريع الحضرية وتفاقم مشاكل المدن في السنوات الأخيرة برز وعي ورغبة في النهوض بالمدن والدفع بها نحو مسار التنمية.

إن المدن في كل أرجاء العالم تعتبر فضاء للتفاعلات والعلاقات الاجتماعية، والاقتصادية ومجالا للديمقراطية والرقي الاجتماعي ومركزا لصناعة القرار وللنخب السياسية ، كما تحتل مكانة هامة في اختيارات التهيئة والتخطيط الاستراتيجي والتدبير الحضري، هذه المدن عرفت مشاكل وصعوبات في توسع وامتداد نسيجها العمراني.

شهدت المدن المغربية خاصة الصغرى منها، على إثر النمو الديمغرافي والهجرة القروية، توسعا مهما الشيء الذي أصبحت معه البنية الاجتماعية معقدة، وأصبح معه كذلك تدبير المدن المغربية مشكلا متعدد الأبعاد اجتماعيا واقتصاديا وحتى سياسيا، بسبب المشاكل الناجمة عن التدهور و الفقر الحضري والنمو الفوضوي، والتوزيع غير المتوازن للتجهيزات وغير ذلك من مظاهر التخلف الحضري. وهي آثار لازالت تعاني منها المدن المغربية إلى اليوم، بالرغم من الجهود المبذولة من طرف السلطات المركزية والمحلية من أجل الرفع من مستوى تدبير الشأن المحلي وتحقيق التنمية المحلية والوطنية على حد سواء.

تعرف مدينة تاونات توسعا عمرانيا ملحوظا، بحيث أضحت تشهد اكتظاظا في مراكز نشاطها ، تلك التي برزت كنقط جذب للسكان ومكان لتحول نمط العيش، مما نتج عنه ازدحام كبير داخل التكتلات العمرانية وانتشار سريع للسكن العشوائي. وقد صاحب ذلك عدة مشاكل اقتصادية واجتماعية وعمرانية.

تهدف سياسة التأهيل الحضري وتدبير مدينة تاونات إلى رد الاعتبار للنسيج الحضري الذي يشهد تدهورا ملحوظا في جميع مجالاته، ومتعثرا في تهيئته ومشاريعه التنموية. لذا يجب التدخل من أجل تغيير الوضع القائم بالمدينة عبر سيرورة تراكمية إلى وضع أحسن، وتدارك أخطاء واختلالات الماضي، مع مراعاة مستقبل المدينة بغية درء الهفوات التي قد تؤثر على جودة إطار الحياة بداخلها وبمحيطها المباشر، بمعنى توفير بيئة حضرية لائقة للساكنة، إذ يتم فيها استحضار مجموعة من المؤشرات التي تضمن العيش الكريم للساكنة ومن أهمها توفر التجهيزات الأساسية كالطرق وشبكات الماء والكهرباء والتطهير ومرافق القرب من تعليم وصحة... فلا يمكن تصور أي تنمية حضرية مستدامة بدونها[1].

1- هلال عبد المجيد وادريم مصطفى،(2014)، الأحياء العتيقة بمدينة الصورة: التحولات الحالية وإشكالية التدبير. ورد في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس، سلسلة الإعداد الخاصة، التراث الحضري والحداثة، العدد 13، ص.ص.219. 240.

إن السياسة الحضرية هي مجموع اختيارات عامة موجهة لإنعاش المدينة ليس فقط على مستوى إطار العيش، ولكن مجسدة في مشاريع اجتماعية واقتصادية ومجالية[1] (Chouiki M.2012). تقوم هذه السياسة على تدبير أفضل للمدينة، خاصة وأن المجال يحتاج في كل مرحلة من مراحل تطوره إلى أدوات وأساليب تدبيرية فعالة، وذلك بهدف تقويته على أداء وظائفه التنموية.

هكذا إذن، ومن خلال كل هذا سنحاول **مقاربة** و فهم التدبير المديني للمجال وفق هذه المتغيرات التي شهدتها السياسة الحضرية أو المدينية بالمغرب ، فإنتاج المجال بالمغرب يعرف تطورا مهما وتحولات مهمة في مقارباته ومبادئه، أفرزتها عوامل سوسيو اجتماعية مهمة كالهجرة والنمو الديموغرافي... وقد أفضى هذا التطور إلى إفراز ثنائية مجالية تتجلى في بروز مجالات تتسم بالعقلانية في التدبير.

فالمدينة تتطلب لأجل تجاوز أزماتها المتعددة وضع تصور شمولي استراتيجي، أي الخروج من نطاق سياسات محدودة لا تمس بنية المدينة في العمق إلى سياسات عمومية أكثر شمولية وتدبيرا أكثر عقلانية.

من أجل التدقيق أكثر في هذا الموضوع "واقع ورهانات تدبير المدن المغربية الصغرى حالة مدينة تاونات" ومن أجل تحقيق التوازن والتنمية الحضرية المستدامة نطرح **الإشكالية** التالية كمفتاح للتحليل وتعميق النقاش:

ماهي مظاهر ومراحل تطور مدينة تاونات؟ ما هو واقع الاختلالات الهيكلية التي تعيشها مدينة تاونات وأين تتجلى انعكاساتها؟ ماهي الرهانات والاستراتيجيات التي يجب اتخاذها لتدبير وتأهيل المدينة؟

- مفهوم التأهيل الحضري

يقصد بالتأهيل الحضري استعادة الحقوق للمدينة، أي كل ما يستدعي القيام بمجموعة من الإجراءات لتأهيل التراث المعماري والحضري الذي فقدت أهميته منذ فترة طويلة، وبعد أن خضع مؤخرا لإعادة التثمين الاقتصادي عمليا وجماليا.

وبذلك فالتأهيل الحضري هو سياسة هدفها التثمين ورد الاعتبار لمجالات حضرية هشة أو متدهورة أو متعثرة في تهيئتها ومشاريعها التنموية. وهي بذلك مجموع التدخلات التي تهدف إلى تغيير الوضع القائم بالمدينة أو جزء منها عبر صيرورة تراكمية إلى وضع أحسن، وذلك من خلال استدراك أخطاء واختلالات الماضي مع مراعاة مستقبل المدينة بغية درء الهفوات التي قد تؤثر على جودة إطار الحياة بداخلها وبمحيطها المباشر، أي توفير بيئة حضرية لائقة للساكنة، يتم فيها استحضار مجموعة من المؤشرات التي تضمن العيش الكريم للساكنة، ومن أهمها توفير التجهيزات الأساسية كالطرق، وشبكات الماء والكهرباء والتطهير والإنارة العمومية، ومرافق القرب من تعليم وصحة... حيث لا يمكن تصور أي تنمية حضرية مستدامة بدونها[2].

1- CHOUIKI M.(2012). Le Maroc face au défi urbain. Quelle politique de la ville? Dar Attaouhide. Rabat. p.105.

[2] - عبد المجيد هلال وعبد الرحمان الدكاري وسعيد بوجروف (2015): التأهيل الحضري واقع الحال ومتطلبات الحكامة الترابية، بمجلة التأهيل الحضري بالمغرب، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الطبعة الأولى، الدورة السادسة والعشرون 20-21 مارس، ص، 70.

وعموما، يشمل التأهيل الحضري ميادين متعددة، تتمثل في تحسين البنيات التحتية وتطوير المنشآت الاجتماعية والثقافية والتنمية الاقتصادية مع استحضار الأبعاد البيئية، ومن تم ضمان تنمية مستدامة، الشيء الذي يتطلب مقاربات شمولية ذات طابع مندمج، مبنية على إتباع إجراءات تفاوضية وتشاورية، سمتها تقاسم المعطيات بين مختلف الفاعلين والمتدخلين في كل عمليات تأهيل وتدبير المدينة[1].

- مفهوم التدبير

يقصد بالتدبير (Gestion/Management) مجموعة من التقنيات التي تستعملها مؤسسة أو منظمة أو مقاولة ما لتحقيق أهدافها العامة والخاصة. وتتمثل هذه التقنيات في: التخطيط، والتنظيم، والتنسيق، والقيادة، والمراقبة. وقد يعني التدبير مجموعة من الأشخاص الذين يديرون الإدارة أو المقاولة أو المؤسسة أو المنظمة، سواء أكانوا مديرين، أم مدبرين، أم أطرا، أم مسيرين، أم موجهين... وبصفة عامة، يعني التدبير مجمل التقنيات التي تعتمدها الإدارة لتنفيذ أعمالها وتصريفها. وغالبا ما يتخذ التدبير طابعا كميا باعتماده على المعايير الكميةالقائمة على الإحصاء الرياضي والمحاسباتي.

ومن جهة أخرى، يعني التدبير مجموعة من القواعد التي تتعلق بقيادة المقاولة الاقتصادية وتنظيمها وتسيير دفتها. أي: إن مفهوم التدبير مفهوم اقتصادي بامتياز، يرتبط كل الارتباط بتسيير الشركات والمقاولات. والآتي، أنها بمثابة إدارة شاملة لمؤسسة أو مقاولة أو منظمة ما تعمل جادة لتحقيق الجودة المطلوبة، وفق مجموعة من المبادئ المتدرجة والمتلاحقة والمتكاملة التي تتمثل في: التخطيط، والتنظيم، والتنسيق، والقيادة، والمراقبة[2].

وإذا كان التخطيط تصورا نظريا استشرافيا، فإن التدبير تنفيذ وإنجاز وتطبيق لهذه الخطة النظرية التنبؤية. وفي هذا الصدد، يقول الدكتور محمد أمزيان بأن التدبير" مرحلة التطبيق الفعلي للخطط والبرامج[3]."

وهكذا، فالتدبير هو التخطيط المعقلن، وترصد العواقب قبل الإقدام على فعل شيء ما، والتفكير في الأمور بجدية وعقلانية. كما أن التدبير عبارة عن مجموعة من العمليات والتقنيات والآليات والخطط الإجرائية التي يعتمد عليها المدبر لتنفيذ الأنشطة والتعلمات والمشاريع في إطار زمكاني معين، انطلاقا من كفايات وأهداف محددة، واعتمادا كذلك على مجموعة من الموارد والطرائق والوسائل، سواء أكانت مادية أم معنوية.

- مفهوم الحكامة الترابية:

يعتبر مصطلح الحكامة من أهم المصطلحات التي تم تداولها في الحقل التنموي منذ نهاية الثمانينات، حيث ثم استعماله لأول مرة من طرف البنك الدولي في 1989 الذي اعتبر الحكامة أنها:" أسلوب ممارسة السلطة في تدبير الموارد الاقتصادية والاجتماعية للبلاد من اجل التنمية" .

---

[1]- Merlin P. Choay F. & alii, 2000, Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, PUF, Paris, p 903.

[2] - عبد العزيز أشرقي (2013): الحكامة الجيدة الولية- الوطنية- الجماعية ومتطلبات الإدارة المواطنة، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء.

3 - محمد أمزيان(2005): تدبير جودة التعليم، مطبعة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى.

وقد جاء استعمال البنك الدولي آنذاك لمفهوم الحكامة في إطار تأكيده على أن أزمة التنمية في إفريقيا هي أزمة حكامة بالدرجة الأولى: بسبب فساد النظم السياسية وضعف التسيير والتخطيط.

و يعرفه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بأنه "نسق جديد من العلاقات والمساطر والمؤسسات التي تتمفصل بها مصالح المجموعات والأفراد، وتمارس الحقوق والواجبات، وتفك الخلافات والنزاعات، يقوم على تذويب التراتبية وتشجيع التشارك بين المسيرين والمساهمين وحسن التنظيم وتوزيع المسؤوليات وصقل القدرات ودعم التواصل داخليا وخارجيا.

وفي تصريح لمجلس وزراء خارجية السوق الأوربية المشتركة مؤرخ ب 28 نوفمبر 1991، جاء ما يلي: "يلح المجلس على أهمية الحكم الجيد، وفي حين يبقى من حق الدول ذات السيادة إقامة بنياتها الإدارية وترتيباتها الدستورية،فإن تنمية عادلة لا يمكن إنجازها فعلا وبشكل دائم إلا بالانضمام إلى مجموعة من المبادئ العامة للحكم: سياسات رشيدة اقتصاديا واجتماعيا، شفافية حكومية، وقابلة للمحاسبة المالية، إنشاء محيط ملائم للسوق قصد التنمية، تدابير لمحاربة الرشوة، احترام القانون وحقوق الإنسان، حرية الصحافة والتعبير،وهذه المبادئ ستكون أساسية في علاقات التعاون الجديدة " .

فمن الصعب ضبط مفهوم الحكامة وإعطاؤه تعريفا موحدا ونهائيا لارتباطه بمجالات متعددة ولتعدد صيغ تداوله، فهو حسب لجنة الحكامة العالمية مجموعة الطرق التي تدبر بها المؤسسات العمومية والخصوصية قضاياها.

ومن بين التعاريف التي يمكن استقراؤها من خلال المجالات التي وظفت فيها:

- الحكامة إعادة صياغة العلاقة بين كل المتدخلين على أساس مفهوم التعاقد، التشارك والتوافق.

- الحكامة مقاربة ورؤيا وفلسفة جديدة للتغيير، لها مضمون اقتصادي مالي اجتماعي وسياسي باعتبارها النهج الأكثر نجاعة لتدبير الشأن العام والمجتمعي.

- الحكامة نمط جديد لتدبير السلطة والتنظيم السياسي والاجتماعي وهي رؤيا جديدة للدولة والمجتمع العلاقات الرابطة بينهما، ولسبل قيادة التغيير، وهي بذلك أيضا مقاربة جديدة لتدبير التغيير في المرفق العمومي والخصوصي، والمجتمع المدني.

- الحكامة تعبئة للطاقات والموارد وترشيد استثمارها لتأمين شروط تدبير جيد.

وعموما، تم تعريف الحكامة من قبل كثير من الباحثين على أنها: "الطريقة التي تباشر بها السلطة في إدارة موارد الدولة الاقتصادية منها والاجتماعية بهدف تحقيق التنمية.

فالحكامة لا بد أن تعتمد على عدد من المحاور الأساسية منها: صيانة الحرية، أي ضمان توسيع خيارات الناس، وتوسيع المشاركة الشعبية والمساءلة الفعّالة والشفافية الكاملة في ظل فصل السلطات والتوازن بينها، وسيادة القانون والقضاء المستقل والنزيه والكفء، الذي تنّفذ أحكامه من قبل السلطات التنفيذية.

لذلك فالحكامة الجيدة، في أي مجتمع وأي مؤسسة حكومية كانت أو غير حكومية، تبقى من أهم الضروريات لإنجاح المشاريع التنموية، إلا أن تطبيقها يتطلب سيادة جو تسوده الشفافية والمسؤولية ودولة القانون والمشاركة واللامركزية والتنسيق بين كل المتدخلين.

وتدل الحكامة على المقاربة التشاركية والتعددية في تسيير الإدارة وتدبيرها، واستحضار مختلف الفاعلين والشركاء أثناء أخذ القرار أو التقويم أو بناء المشروع. وتعني أيضا إرساء الدولة على أساس اللامركزية واللاتركيز. ومن ثم، تعد الحكامة آلية تدبيرية لتجاوز أزمة الدولة البيروقراطية والمركزية.أضف إلى ذلك، فالحكامة عبارة عن مجموعة من القواعد والمناهج التي تساعد المدبرين على أخذ القرار الصحيح، وتنظيم التفكير الإداري، و مراقبة مدى تنفيذ القرارات في حضن المجتمع. ويعني هذا أن الحكامة الثقافية الجيدة هي السبيل للقضاء على الهشاشة والفقر من جهة،وتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة من جهة أخرى[1].

ويرى عماد أبركان " أن الحكامة الترابية، كمفهوم وآلية جديدة،تعبر عن أحسن ما يمكن بلوغه، وأفضل ما يمكن القيام به في مجال التدبير والحكم، تعتبر هي الهدف والمبتغى الأفضل الذي يمكن الوصول إليه على المستوى الترابي.أو بعبارة أخرى، هي الوصول ترابيا إلى أحسن تدبير محلي ممكن، في أقل وقت ممكن، ومجهود وتكلفة ممكنة، وفي أفضل الظروف الممكنة. وإذا كانت الحكامة الجيدة كمفهوم لم يلق بعد الإجماع على تحديد معناه، فإن الأكيد هو أن مفهوم الحكامة الترابية ينبني أساسا على الإدارة في الدول الموحدة.وذلك بما تنطوي عليه من المبادىء الجوهرية والأساسية للديمقراطية والحرية[2]."

ومن هنا، فالحكامة هي تجويد الإدارة وتحسينها وفق مبادىء التدبير المعاصر، والحد من روتين البيروقراطية، وتفعيل مبدإ الشراكة المحلية والجهوية وفق القوانين الإدارية المرنة التي تسمح بالأداء المثمر،والتحفيز على الإنجاز الهادف، وتحقيق الفعالية البناءة، بغية تحقيق التقدم والازدهار والرفاهية للمواطنين.

(SakkalMajalla 14) إن التقدم الهائل الذي حققته العلوم الطبيعة في السنوات الأخيرة هو بدون أدنى شك مرتبط ارتباط وثيقا باستعمال هذه العلوم للمنهج التجريبي، أين مثَّل هذا الأخير حلقة انعطافها من ستاتيكية الاستنباط إلى ديناميكية الممارسة الاستقرائية التي تقوم على تحريك الظواهر ونبشها بهدف فهم مكنوناتها وسبر أغوارها.

المحور الأول: الإطار النظري والمنهجي ومراحل تطور مدينة تاونات

1- موقع مجال مدينة تاونات

تنتمي مدينة تاونات من الناحية الطبيعية إلى الجبال المنخفضة للريف الأوسط، اما من الناحية الإدارية فهي تنتمي إلى إقليم تاونات، وتمتد على طول الطريق الوطنية رقم8 التي تربط بين أهم أحياء المدينة الرئيسية، كأولاد سعيد

[1]- جميل حمداوي (2015): المقاربة الثقافية أساس التنمية والحكامة الجيدة، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف،تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة، الطبعة الأولى، ص: 31.

[2]- عماد أبركان (2015): الولاة والعمال في النموذج المغربي للإدارة المحلية وسؤال الحكامة الترابية، مجلة مسالك، المغرب، العدد:31-32، ص:88.

والدمنة في الجهة الجنوبية ومرورا بتاونات المركز والدشيار وصولا إلى حي الكلتة الحايلة في الجهة الشمالية. بالإضافة إلى ذلك توجد مجموعة من الاحياء المعزولة والبعيدة عن المحور الطرقي الرئيسي مثل دوار اخمالشة القلعة القلايع حجر دريان اسطار العشايش...هده الوضعية تطرح إشكالية ربطها بالمركز، مما يجعل مسالة فتح مسالك طرقية مهمة صعبة.

تقع مدينة تاونات جنوب سلسلة جبال الريف في الجهة الشمالية من الإقليم، وتتميز بتضاريس جبلية مرتفعة، يصل علوها إلى 802 متر بجبل اسطار. كما تتجه أراضيها في شكل منحدرات في واد الساهلة غربا، وواد سرى شرقا، وفي اتجاه وادي ورغة جنوبا. فهي تمتد على مساحة تقدر 72 كلم^2، حيث تحدّها بلديّة جماعة رغيوة من الشرق، ومن الشمال جماعة إزريزر، ومن الغرب بجماعة مزراوة، لقد ترقة مدينة تاونات إلى عمالة سنة 1977م، وبالتالي عاصمة الاقليم.

مدينة تاونات هي مدينة تقع في إقليم تاونات في شمال وسط المغرب، ويحدّ هذا الإقليم من الجهة الشماليّة إقليم الحسيمة وشفشاون، وولاية فاس من الجنوب، وإقليم تازة شرقاً، ومن الغرب إقليم سيدي قاسم، ومدينة فاس هي الأقرب لها؛ فالمسافة بينهما 70كم، وتبلغ مساحة البلديّة 205 كلم^2، وترتفع عن سطح البحر 800م، لذا فكلمة تاونات تعني: مدينة القمم، فهي تتميّز بمناخها البارد جداً في الشتاء، والحارّ في فصل الصيف.والخريطة أسفلة توضح موقع مدينة تاونات ضمت إقليم تاونات.

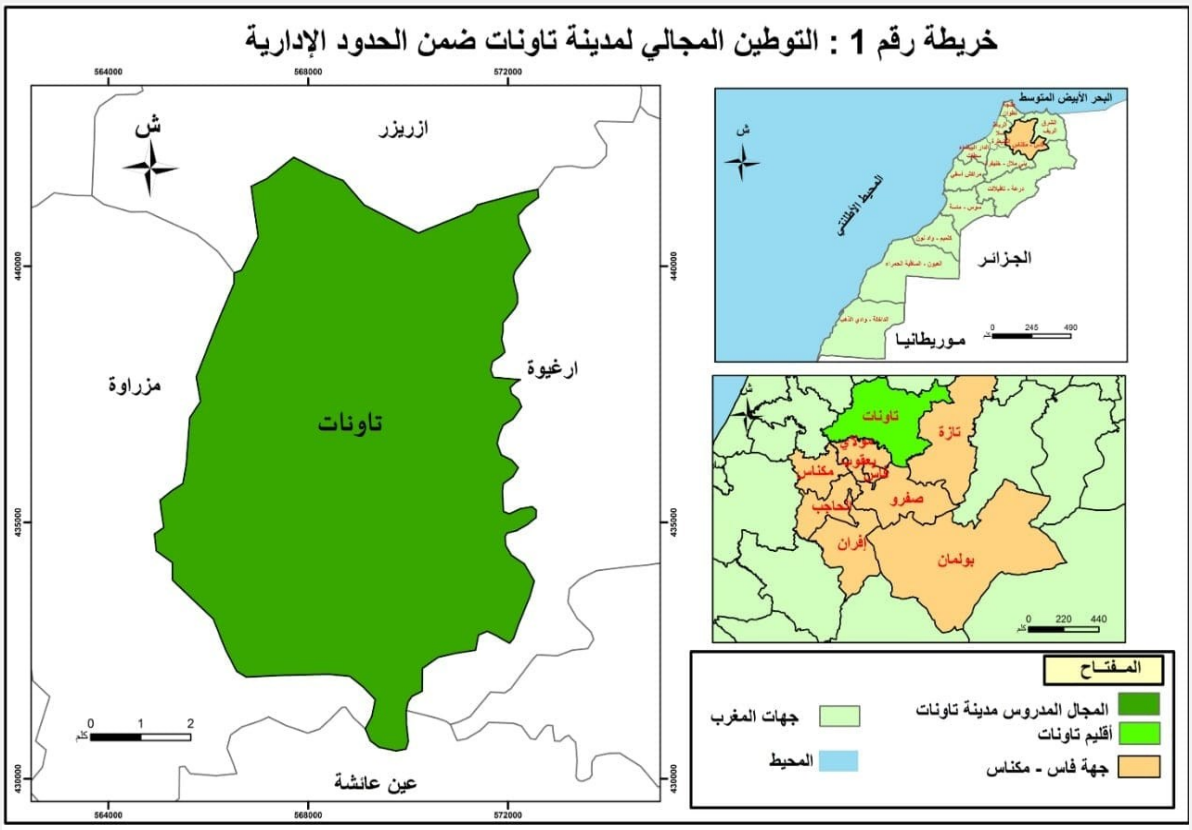

المصدر : عمل شخصي اعتمادا على خريطة المغرب من المركز الجهوي للإستثمار الفلاحي

2- مراحل تطور مدينة تاونات واتجاهات توسعها

عرفت مدينة تاونات منذ نشأتها في بداية الفترة الاستعمارية توسعا على طول الطريق الوطنية رقم 8، رغم صعوبة الخصائص الطبغرافية ونفاد الأراضي القابلة للسكن. وهكذا ففهم المدن والتنظيم المجالي لسكانها، لا يمكن أن يتم إلا بربطها بالبيئة التاريخية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي توجد فيها[1]، وفي هذا الإطار فالمجال الذي أقيمت فوقه المدينة كان عبارة عن أراضي شبه فارغة من السكان بسبب طبيعتها التضاريسية الجبلية الصعبة والتي لا تساعد على الاستقرار، ويرجع ذلك إلى النصف الأول من القرن 20، وقد توسعت المدينة عبر مراحل متعددة، يمكن حصرها في مرحلتين بارزتين هما :

2-1- نمو حضري بطيء خلال فترة الحماية:

اقترن نشأة المدينة بدخول الاستعمار الفرنسي لمناطق ورغة العليا والوسطى في أوائل العقد الثالث من القرن 20[2]، وهكذا عمل المستعمر على اختيار موقع المدينة كمكان لتوطين جيوشه بهدف مراقبة المناطق المجاورة والتصدي للهجمات الآتية من الجهة الشمالية، وتجدر الإشارة إلى أن تاونات كانت في البداية عبارة عن ثكنة عسكرية، حيث كانت وظيفتها الأساسية هي مراقبة المناطق المجاورة ومحاولة استتباب الأمن. وحول هذه التكنة بدأت تتشكل النواة الأولى للمدينة والتي توجد حاليا في الجهة الغربية حيث انتقلت المنطقة إلى مركز إداري وسكني كذلك. كل هذا ساهم بشكل كبير في نزوح سكان المناطق المجاورة للاستقرار بهذا المركز[3].

2-2- تطور وتوسع المجال الحضري بعد فترة الاستقلال:

عرف المركز الإداري لمدينة تاونات انتعاشة قوية مع بداية عهد الاستقلال خاصة مع تشييد طريق الوحدة في النصف الثاني من الخمسينات لربط تاونات بالحسيمة عبر كتامة[4]، وهكذا حدث الرواج التجاري الهام بفعل تزايد عدد المتاجر والمقاهي، مما أدى إلى تحول تاونات إلى مركز تجاري، كما ظهرت خلال هذه المرحلة تجمعات سكنية متفرقة في مختلف أجزاء المنطقة الشمالية (حجر دريان، الدشيار، اسطار، الرميلة...) والمنطقة الجنوبية (الدمنة، أولاد سعيد،التكوين ...) ويمكن تفسير ذلك بالترقية الإدارية التي عرفتها المدينة سنة 1977م حيث أصبحت تشكل عمالة الإقليم[5]، وقد ظهر ذلك بشكل كبير مع بداية الثمانينات من القرن الماضي بفعل إنشاء بعض المصالح الإدارية كالمحكمة الابتدائية ومؤسسة التكوين المهني، وهكذا مع بداية استثمار اليد العاملة التي هاجرت إلى اوربا في قطاع البناء. بالإضافة إلى أن المدينة شهدت نموا ديموغرافيا كبيرا خلال هذه الفترة. كل هذا ساهم في حدوث توسع للمجال الحضري للمدينة،

---

[1]- محمد بريان واخرون،(1982)، قراءة وتحليل الخريطة الطبوغرافية، منشورات اللجنة الوطنية المغربية للجغرافية، الرباط، ص. 165.
[2]- الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،(1989)، معلمة المغرب، العدد 7، نشر مطابع سلا، ص. 2242.
[3]- عبد الواحد بوبرية،(2015)، الدينامية المجالية واستراتيجية التأهيل الحضلري للمدن الصغرى الجديدة حالة تاونات، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، التأهيل الحضري بالمغرب، الدورة 26ص، 312.
[4]- الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،(1989)، معلمة المغرب، العدد 7، نشر مطابع سلا، ص.2243.
[5]- المفضل العاجي،(2000)، التمدين وإعداد المجال الحضري بإقليم تاونات،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، ص: 295.

بالرغم من حدة الاكراهات الطبيعية التي تعرقله، وذلك استجابة لتلبية الطلب على السكن، كل هذا أدى إلى ارتفاع ثمن الأراضي الصالحة للبناء، بفعل قلة الأراضي نتيجة الخصوصيات الطبوغرافية المحلية.

يتشكل النسيج الحضري لمدينة تاونات من وحدات متجانسة لكل منها مميزاتها، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيمه إلى نسيج حضري منظم يخضع لمقتضيات وثائق التهيئة والتعمير وأخر غير منظم ولكنه غير قانوني. وأمام غياب وضعف تطبيق تصاميم التهيئة، فالتوسع الحضري بدأ ينتشر بشكل غير مراقب انطلاقا من المركز في اتجاه الشمال والجنوب وهي على الشكل التالي :

✓ التوسع في اتجاه الشمال: يتميز التوسع الحضري بهذه الجهة بكونه يخضع لعدة عوامل تتمثل في وجود سفوح شديدة الانحدار وتعدد الأنظمة العقارية، حيث يغلب على هذه الجهة من المدينة طابع السكن غير المنظم والذي لا يتطابق مع تصاميم التهيئة، والدي انتشر بشكل واسع نتيجة توافد سكان الدواوير المجاورة للاستقرار بالمدينة، إلا أن هذه الأحياء مازالت تفتقر إلى التجهيزات الأساسية، خاصة قنوات الصرف صحي والمسالك الطرقية.

✓ التوسع في اتجاه الجنوب: عرف الجزء الجنوبي من المجال الحضري بدوره توسعا عمرانيا واضحا، حيث تم بناء مجموعة من التجمعات السكنية الجديدة، الأمر الذي أدى إلى حدوث تصاعد مستمر لثمن العقار بهذا الجزء، لقد ظل السوق العقاري يخضع دائما لقاعدة العرض والطلب وللعوامل جغرافية كالموقع وكذا الوضعية القانونية للأراضي. لقد أدى هذا النمو السكاني إلى استهلاك متزايد للمجال الحضري استفدت من خلاله الأراضي القابلة للتعمير، وهذا الأمر يشكل اهم عائق أمام توسع المدينة بطريقة متجانسة[1].

المحور الثاني: انعكاسات تطور وتوسع المجال الحضري على واقع التدبير لمدينة تاونات:

1- واقع تدبير المدن والتطورات التي عرفها ومدينة تاونات خاصة:

تعتبر المدن بصفة عامة قاطرة للنمو الاقتصادي والإنتاج والمنافسة في ظل العولمة الاقتصادية والثقافية، بحيث تعد مجالا وقطبا للتنمية والاندماج الاقتصادي والاجتماعي ومجالا لتوطين الشركات المنتجة للثروة والرأسمال المادي، مما يؤثر ذلك على الساكنة الحضرية التي تستفيد من ثمار التنمية.

موازاة مع ذلك فالمدن الصغرى بالمغرب وخاصة مدينة تاونات، بقيت متأخرة عما حصل من تطور وتنمية في المدن الأخرى، بحيث أن القائمين على الشأن الحضري فيها لم يقوموا على تهيئة وتطوير المدينة بالشكل الذي يضمن خلق شروط وآليات توفير عيش كريم للمواطنين في إطار تنمية اقتصادية واجتماعية مستدامة. يرجع ذلك أساسا إلى النهج الذي اتبع منذ عقود في تسيير المدن ، بحيث أن المنطق التدبيري كانت تغلب عليه المقاربة الأمنية بدلا من المقاربة التنموية في ظل ضعف انخراط المؤسسات المنتخبة والمدبرة لشأن المدينة وقلة المبادرات والمشاريع التنموية، علاوة على قلة ومحدودية الموارد المالية وأيضا الموارد البشرية النوعية. كل ذلك ساهم في تضييع فرص النمو والإقلاع بقاطرة

[1]- عبد الواحد العمراني (2015): المجال الحضري بالمدن الجبلية بين اكراهات التوسع وإشكالية التهيئة المجالية حالة مدينة تاونات منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، التأهيل الحضري بالمغرب، الدورة 26، ص، ص 332و 334.

التنمية في كل المجالات وخاصة البشرية ، مما جعل المدينة تعيش أزمة هيكلية في كل أبعادها التدبيرية والعمرانية والاجتماعية والاقتصادية.

إن مفهوم تدبير المدينة يعني إدارة الشؤون المحلية (الاقتصادية والاجتماعية) وبرمجتها بالنظر إلى الإمكانيات المتاحة سواء تعلق الأمر بالتدبير اليومي أو المستقبلي وتحقيق التوازن بين المتطلبات والإمكانيات خصوصا أن الحاجيات في تزايد مستمر، فهي بصيغة أخرى تفيد مدى قدرة المؤسسات والأطراف الفاعلة في حقل المدينة على إدارة الموارد المالية والبشرية الموضوعة رهن إشارتها، ووضع مخطط للتنمية على المدى القصير والبعيد، بما يسهم في تغيير الأوضاع في المدينة وتحقيق التنمية المستدامة لساكنتها.

فالمدينة كظاهرة حضرية تعرف العديد من الإشكاليات والصعوبات على مستوى التدبير والإعداد، وهي إشكاليات حقيقة لم تكن وليدة الحاضر بل كان منشؤها منذ عهد الحماية الفرنسية، حيث دخلت المدن الصغرى والمتوسطة في دائرة الإقصاء.

وبعد الاستقلال شهدت المدينة، على إثر النمو الديمغرافي والهجرة القروية، توسعا مهما الشيء الذي أصبحت معه البنية الاجتماعية معقدة ، وأصبح تدبيرها، كذلك، مشكلا متعدد الأبعاد اجتماعيا واقتصاديا، وحتى سياسيا بسبب المشاكل الناجمة عن التدهور والانحطاط الحضري والتطور الفوضوي، والتوزيع غير المتوازن للتجهيزات وغير ذلك من مظاهر التخلف الحضري، بالرغم من الجهود المبذولة من طرف السلطات المركزية والمحلية من أجل الرفع من مستوى تدبير الشأن المحلي وتحقيق التنمية.

2- يسهم تعدد المتدخلين في التهيئة الحضرية في تعطيل سيرورة التأهيل والتدبير الحضري:

بالرغم من الإصلاحات القانونية والمؤسساتية التي قامت بها السلطات العمومية، فتدبير المدينة لازال محكوما بتعدد المتدخلين في صناعة القرار، إذ يتسم تدبير المجال الحضري بتعدد في الفاعلين. فالعديد من الأطراف الإدارية (المجلس الجماعي، العمالة، الولاية، الوكالة الحضرية، مديرية التعمير...إلخ) ساهمت من جهة في تداخل الاختصاصات بين هذه البنيات وضعف التنسيق بينها، ومن جهة أخرى أدى إلى تضخم المصالح الإدارية وتعقد المساطر، والحصيلة كانت هي هدر المزيد من الجهود البشرية والمالية، والإسهام في تفتيت وتشتت المشهد الحضري. مما يوضح أن دور هذه المكونات الإدارية محدودا في تنمية المدينة، إن لم نقل أنها أصبحت مصدرا رئيسيا للاختلالات وعبئا ثقيلا يعيق تقدمها وتطورها، فعدم تجانس هؤلاء الفاعلين، يجعل عملية التنسيق صعبة على مستوى بلورة وبرمجة مشاريع تأهيل المدينة.

3- آليات التدبير والتخطيط الحضري للمدينة غير مسايرة للواقع:

إن ضعف الحكامة التي تتجلى غالبا في سوء التدبير وقلة التخطيط وعدم وضع تصور شمولي لإشكاليات المدينة أدى إلى ظهور عدة صعوبات وإكراهات. فوثائق التعمير تختزل السياسة المتبعة في ميدان التخطيط الحضري، غير أنها تنص على مجموعة من الانجازات والاختيارات التي تلعب دورها في تنمية المدينة، حيث تعتبر هذه الوثائق من الأدوات التي تساهم في تدبير المدينة وحسن استغلال مواردها المادية والبشرية. ومن بين الأهداف التي ترمي إليها هو تحقيق نوع من التوازن بين متطلبات وحاجيات السكان، و بين الطاقة الاستيعابية للمرافق الاجتماعية والاقتصادية والتجهيزات

الجماعية سواء على مستوى الكم أو الكيف، الشئ الذي يعطي للدولة والجماعات المحلية من الوجهة النظرية إمكانية وضع توقعات حول واقع وأفاق المدينة بناء على معطيات محددة ضمن وثائق التعمير.

غير إن هذه السياسة ومهما بلغت أهمية طموحاتها على مستوى تنمية وتنظيم المدينة، قد تظل محدودة النتائج وضعيفة المردودية في غياب معالجة رشيدة وشمولية لمجموعة من المشاكل الحضرية والتي تؤثر بشكل سلبي على أهداف سياسة التخطيط والتدبير المديني. ان التدبير المديني تعترضه مجموعة من الصعوبات والمشاكل المنبثقة من البيئة الاجتماعية والبيئة الاقتصادية والطبيعية.

4- تعثر السياسة العمرانية والتخطيط الحضري:

إذا كان تدبير المدن يهدف إلى وضع إستراتيجية للعمل، عن طريق توجيه وضبط نمو وتوسع المدن، فان ذلك ليس بالأمر الهين الذي يكفي فيه الطموح والرغبات، بل هو جهد متواصل ورسم للأهداف ضمن برنامج شامل، إن التخطيط يقوم على عنصرين أساسيين هما التنبؤ بالمستقبل ثم الاستعداد لمواجهته، وبعبارة أخرى تعيين الأهداف ثم تحديد الوسائل لتحقيقها. إذا كان التحكم في المجال من أجل تنظيم وتوجيه التوسع العمراني يفترض وجود سند قانوني تعتمد عليه السلطات العمومية في تدخلاتها وتدابيرها من أجل استغلال الأراضي الحضرية على المدى القريب والمتوسط والبعيد.

فإذا كان تدبير المدن يعتبر كسياسة توقعية تنهجها السلطات العمومية لهدف تحقيق تنظيم عقلاني للمدن طبقا لضوابط وقوانين محددة، وضمان لاستمرار توازن المجال والمجتمع، فإن التعامل مع المجال ليس من قبيل الصدفة، نظرا لطابعه الخاص والخاضع للتطور والتحول بسرعة وبوتيرة متفاوتة، بل يصطدم بالعديد من الصعوبات التي تختلف باختلاف درجة التطور الحضري، وباختلاف الثقافة المجتمعية الذين في إطارهما يتم تنفيذ هذه الأدوات. فتدبير وحل مشاكلها يعتبر من بين التدخلات التي تهدف إلى الحد من مظاهر الأزمة والاختلالات المجالية[1].

5- اختلال المشهد الحضري بمدينة تاونات:

تعاني المدينة من عدة اختلالات، لعل أبرزها ترييف المدينة. لقد أصبح من المألوف أن يشاهد المرء وبسهولة في المدينة العربية الكثير من المظاهر الريفية. والتي تتمثل في وحدات السكن ومكوناته وملحقاته، كما تتمثل في الكيفية التي يتعامل بها بعض السكان مع مرافق المدينة من طرق وساحات الخ...[2]، ومن مظاهر الترييف وجود حيوانات في المناطق السكنية إذ يتم تربية قطعان الماشية من طرف السكان في نفس المكان الذي يسكنون فيه.

ومنه نستنتج أن عددا كبيرا من المهاجرين الذين هاجروا أريافهم لم يستطيعوا التخلص من العادات والأنشطة التي كانوا يمارسونها، إضافة إلى صعوبة اندماجهم في الاقتصاد الحضري.

---

[1]- الحسين بوضليب (2015)، التوسع الحضري بين معطيات المجال وإشكالية التخطيط حالة الناظور الكبير، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، التأهيل الحضري بالمغرب، الدورة 26، ص: 223.

[2]- مصطفى عمر التير (1995)، اتجاهات التحضر في المجتمع العربي، منشورات المؤسسة العربية للنشر والابداع، البيضاء، الطبعة الأولى، يونيو، ص: 100.

غياب تناسق المشهد العمراني من أهم ما يميز المدينة كغيرها من المدن الصغرى والمتوسطة غياب وثائق التعمير زمنا طويلا، وأنها غير منسجمة مع واقع المدينة على الأرض، إضافة إلى غياب الشوارع والمرافق العمومية والمساحات الخضراء كلها تؤدي إلى غياب التناسق في المشهد العمراني الحضري، خاصة مع الانتشار الواسع لأحياء التعمير الذاتي، وكذا البناء غير المنظم الشيء الذي يسيء إلى جمالية المدينة.

في السياق نفسه، تتداخل الأنشطة الاقتصادية التجارية والخدماتية وكدا الصناعية مع الأحياء السكنية، في غياب تخطيط مسبق لتنظيم المجال، الشيء الذي يزيد من حدة الاختلالات للمشهد الحضري، ناهيك عن إشكالية النقص في التجهيزات والمرافق الأساسية.

المحور الثالث: التكنولوجيا الجديدة ورهانات التنمية بمدينة تاونات:

سنحاول في هذا المحور التطرق إلى التدابير التي يجب اعتمادها لبناء نظرة شمولية لتنمية وتأهيل المجال المديني. حيث يمكن اعتبار المحاور التي تعتبر أرضية مشتركة من أجل إعادة ابتكار الحيز الترابي، كما يمكن اعتبارها موجهة للتنمية الحضرية ومحركا لمجموعة من الأنشطة، ورؤية تصحيحية في الوقت نفسه لمسار التنمية الذي ظل متبعا لعقود بالمدينة، ومن هنا يأتي اقتراحنا لمحاور التنمية والتي نعتبرها أساسية واستراتيجية لتأهيل مدينة تاونات.

1- تأهيل مدينة تاونات رهين بالرفع من مستوى بنيتها التحتية لتحقيق الجاذبية:

يعتبر تدبير وإعادة تأهيل مدينة تاونات في مختلف الوظائف المنوطة بها والرفع من مستوى تجهيزاتها، وذلك بالنظر إلى خطورة الاختلالات التي تميز وضعيتها الراهنة، وأنها شرط ضروري لإنجاز باقي أهداف إستراتيجية التأهيل.

من هنا تشكل البنيات التحتية مقوما أساسيا من مقومات التنمية، ويحدد مستوى التجهيز منها قوة استقطاب المجالات للاستثمار. فإحداثها وتحسين جودتها سوف يسهم في الرفع من الإنتاج وتشجيع المبادلات التجارية وجلب الاستثمارات التي تقدم خدمات للاقتصاد الاجتماعي وتدفع بعجلة التنمية. لذا يتطلب اتخاذ الإجراءات التالية: تقوية الطرق الموجودة وفتح طرق أخرى جديدة، تهيئة الأرصفة وتهيئة الساحات العمومية وكذا احداث مناطق صناعية لتحويل المنتوجات المحلية وتأهيل شبكة الصرف الصحي...

2- تأهيل الاقتصاد المحلي ومحاربة أشكال الهشاشة والإقصاء وإنعاش التنمية البشرية في الوسط المديني:

يجب أن يرتكز تأهيل الاقتصاد على هيكلة أنشطة تكون فعليا منتجة ومندمجة في إطار إستراتيجية للتنمية المستدامة، وموجهة نحو تلك التي توفر إمكانيات حقيقية للنمو والازدهار. وتتوقف إعادة تنظيم الاقتصاد المحلي وإنعاش الاستثمار على تفعيل عمليات تندرج في إطار التوجهات التالية:

- إنعاش الاقتصاد وجعله اقتصاد ينافس باقي اقتصادات دول أخرى، إضافة إلى توفير مناخ ملائم وجاذب للاستثمارات في جميع القطاعات الاقتصادية التنافسية، وذلك من خلال تثمين مؤهلات المدينة وناحيتها. إعداد وتفعيل عمليات لمراقبة وتتبع وتسهيل عمل الفاعلين المحليين.

- إعداد مخطط العمل على تحويل العقار من فضاء للريع وللمضاربة إلى أداة للتنمية وعامل لتشجيع وتوجيه وجذب الاستثمارات. ويمر تحقيق هذا الهدف عبر تعبئة الموارد العقارية وتوظيفها في إطار ينسجم مع إستراتيجية التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمدينة.

- إن إنعاش التنمية البشرية بمختلف أبعادها بالمدينة رهين بإطلاق برامج واقعية تشكل فرصا حقيقية لمحاربة كل أشكال الفقر والتهميش، وتنظيم عمليات التضامن في الوسط الحضري لتاونات. ولتحقيق ذلك وجب تعزيز الارتباط بالشبكات ذات الصبغة الاجتماعية وتحسين ولوجية السكان للخدمات الاجتماعية وإنعاش الأنشطة المدرة للدخل لفائدة السكان المهمشين، ومحاربة الأمية واعتماد المقاربة التشاركية التي تعيد الاعتبار للمرأة[1].

إن تأهيل الموارد البشرية من أهم المرتكزات لتحسين الحكامة المحلية، إذ تشكل الموارد البشرية من أهم الامتيازات باعتبارها المؤهل الاستراتيجي الحقيقي في المنافسة بين المدن وبين مختلف المجالات الترابية، إذ لا يمكن تحقيق التنمية إذا لم يكن المواطن نفسه هدفها وأداة إنجازها، لبلورة أهداف التنمية المناسبة. كما يجب اعتماد الحكامة الجيدة، وهي إشكالية مركزية بالنسبة للتنمية الحضرية، من خلال تحسين التدبير المؤسساتي للمصالح العمومية، وتحسين التنسيق بين مختلف الفاعلين في المدينة، وتقوية القدرات البشرية المتخصصة في عملية تدبير شأن المدينة، والعمل على إفراز إسهام فعال للمجتمع المدني، الذي ظل يعاني ضعف المشاركة[2] لفترة طويلة.

3- رهانات واليات التدخل في المجال الحضري:

وإذا كان في المقام الأول، أن التواجد الحضري يظل مرتبطا ببناء المساكن، و إنجاز البنية التحتية والتجهيز، فإنه اليوم يشكل تدبير معاش المدينة عنصرا مركزيا في إطار دينامية الحياة الحضرية[3]. وهنا، وعلى مستوى المدينة الجديدة، ينبغي بالضرورة تجميع ثلاثة حقول حضرية مرتبطة بالعمليات الكبرى للتنمية الحضرية : التعمير، التجهيزات والخدمات. وهي ثلاثة حقول مرتبطة بالحكامة[4]. هذه الأخيرة، التي تبرز عموما، كتدبير نزيه وشفاف للشؤون العامة، انطلاقا من خلق نظام للقواعد المتوافق عليها والمؤسسة من طرف السلطة الشرعية، بهدف الارتقاء بالقيم المجتمعية التي يسعى إلى تحقيقها الأفراد و الجماعات[5]... وهي ترتكز في تدبير الشؤون العامة على مبادئ المسؤولية، الشفافية، المشاركة ودولة القانون[6]. وعبرها تنبثق الحكامة الحضرية كنمط تدبيري للمسألة الحضرية يفترض تواجد هذه المبادئ،

---

[1]- جواد ابوزيد ومنير الصادكي (2015): الدينامية الحضرية بجرسيف أية رؤية لتأهيل المدينة، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، التأهيل الحضري بالمغرب، الدورة 26 ص.ص.434.436.

[2]- رشيد السعيد وكريم لحرش،(2006): الحكامة الجيدة بالمغرب ومتطلبات التنمية البشرية المستدامة، الطبعة الاولى، طوب بريس الرباط، ص.ص.5-6.

[3]- Said Belguidoum et Vanessa Rousseau (2005) :le pouvoir local et le gouvernance urbaine, dans la ville et le désert le Bas Sahra algérien.(sous la direction de Marc Cote KARTHALA ET IREMAM, p. 277.

[4]- Salah-Eddine Cherrad ,Badia Sahraoui (2004) : gouvernance urbaine et réalisation de ville nouvelle : cas de la ville d'Ali Mendjeli prés de Constantine,(les cahiers CREAD N 68/69 2 et 3 trim ,)p 175.

[5]- Charlick (R) (1991) : Governance (, Working Paper US – AID ,)p 22.

[6]- Fouad Ammor (2OO3) : gouvernance et sauvegarde du patrimoine : cas de la médina de fés, dans, la gouvernance locale au Maroc (Sous la direction de Mihamed Harakat ,GREURE)p 105.

كما يستوجب تدخل الفاعلين المتعددين، سواء المركزيين منهم أو المحليين[1]، يتيح من خلاله للتدبير الحضري في عمقه توفير إمكانيات القدرة الإستراتيجية للفاعلين بشكل جيد[2].

تعد وثائق التعمير من أهم آليات التدخل في المجال الحضري التي يعتمد عليها منظرو المجال على مختلف المستويات الترابية، لذا عملت الدولة على انجاز العديد منها. وتبقى مدينة تاونات من المدن المغربية التي عرفت نموا عمرانيا يستجيب لحاجيات الدولة والسياسيين والمجتمع المدني، معمارا وتنظيما لإحيائها، وضبطا لتوسعها وتحكما في ساكنة إحيائها وتدبير مجالها. ولهذا الغرض وظفت الإدارة المكلفة بقطاع الإسكان وسياسة المدينة تقنيات حديثة، وأنجزت وثائق تعميرية، وسن قوانين لها. وتبقى وثيقة تصميم التهيئة من الوثائق الأولى المعتمدة في تنظيم وتدبير المدينة.

تصميم التهيئة: يهدف إلى تحديد العناصر التالية[3]:

- تخصيص مختلف المناطق بحسب الغرض الأساسي الذي يجب أن تستعمل له، أو طبيعة الأنشطة التي يمكن أن تمارس فيها، وذلك بإحداث منطقة سكنية ومنطقة صناعية وأخرى تجارية وسياحية ومنطقة لزراعة الخضروات، ومنطقة زراعية وأخرى غابوية. - المناطق التي يحضر فيها البناء بجميع أنواعه.

- حدود الطرق الواجب الحفاظ عليها والمساحات المختلفة. – حدود المساحات المخصصة للأنشطة الرياضية الواجب إحداثها. - المواقع المخصصة للتجهيزات العامة وما يرافقها والتجهيزات الثقافية والعلمية والمباني الإدارية ...- المواقع المخصصة للتجهيزات الجماعية والمنشات ذات المصلحة التي يتولى انجازها القطاع الخاص كالمراكز التجارية والترفيهية.- الأحياء والآثار والمواقع التاريخية أو الأثرية والمجالات الطبيعية كالمناطق الخضراء العامة أو الخاصة.

تصميم التهيئة بين النظري والتطبيقي: لقد تمت المصادقة على تصميم التهيئة لمدينة تاونات بموجب مرسوم رقم 2-02-648 بتاريخ 11 شتنبر 2002. ويمكن تلخيص خيارات هذا التصميم في[4]:

* تأهيل الأحياء الموجودة بالمدينة وإعادة هيكلتها وتجديدها عبر التدخلات التالية:

- إعادة هيكلة وتعزيز مستوى تجهيزات الأحياء التالية حجر لمطاحن وحجر دريان وتاونات لقديم ودمنة ودشيير ولقلع ولقلايع، مع منع البناء في المناطق المهددة بالمخاطر الطبيعية كالشعاب، والمنحدرات وفتح وانجاز شبكة الطرق في إطار إعادة الهيكلة.

– إعادة هيكلة وتكثيف الأحياء غير المشبعة، مع دمج بعض التجهيزات السوسيوتربوية، وانجاز مركز عمراني متماسك.

---

[1] Mustapha Beltaief (2004) : la gouvernance urbaine villes et pouvoir , dans mélanges offrets au doyen Sadok Belaid (,Tunis :centre de publication universitaire .)p 107.

[2]- Le golés (P) (1995) : du gouvernance de ville à la gouvernance urbaine, R.F.S.P. VOL n 1, p 57/95.

[3] ظهير شريف رقم 1-92-31 صادر في 15 من ذي الحجة 1412ه (17 يونيو 1992) بتنفيذ القانون رقم 90-12 المتعلق بالتعمير. المادة 19 من الفرع الاول من الفصل الثالث، الباب الثاني.

[4]- عبد الواحد بوبرية،(2015)، الدينامية المجالية وإستراتيجية التأهيل الحضري للمدن الصغرى الجديدة حالة تاونات، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، التأهيل الحضري بالمغرب، الدورة 26ص، 319.

– إعطاء مكانة خاصة للمدينة وتجديد مركزها عبر فتح منافذ الولوج وتوسيع الممرات وإنشاء مساحات حول التجهيزات المهيكلة. - تثمين المحور الطرقي العابر للمدينة بخلق ساحات عمومية ومواقف للسيارات وإعادة هيكلة توزيع التجارة ونقل الأنشطة الحرفية إلى حي حرفي بالمنطقة الجنوبية لها. – ضبط التعمير بالإحياء الهامشية خاصة بالمناطق المهددة بالمخاطر الطبيعية لعشايش واسطار وخمالشة.

- إحداث منطقة التوسع الحضري جنوب المدينة: إذا كان تصميم تهيئة المدينة قد وضع خيارات لتأهيل المدينة مجاليا واقتصاديا واجتماعيا، فإن المشاريع الأساسية والمهمة لم تحقق على أرض الواقع إلا بنسبة محدودة جدا.

يجب التفكير في نمط جديد لتأهيل المدينة من خلال المشروع الحضري الذي يعتبر من بين التدابير الأساسية فهو يتضمن عدة مشاريع إستراتيجية قابلة للتنفيذ بصيغة جديدة من أجل التأهيل المجالي والاقتصادي والاجتماعي. فالمشروع الحضري يعد نقلة نوعية من تعمير تنظيمي وتقني نحو تعمير تفاوضي وتشاركي بين القطاعين العمومي والخاص، بمساهمة الهيئات المنتخبة ومكونات المجتمع المدني، وذلك في إطار تطبعه الشفافية والديموقراطية أثناء الإعداد والمناقشات، وعند اتخاذ القرارات التي تهم التهيئة والتدبير المجالي فهو يعتبر مشروعا سياسيا يعكس نظرة كل المساهمين المحليين وتصورهم لحاضر ومستقبل المدينة[1].

خاتمة

يستخلص من خلال ما سبق بأن تدبير وتنمية المجال المديني لتاونات اليوم، يبقى رهين اعتمادنا على مقاربات تنموية شمولية ومتعددة الأبعاد، تنطلق من خصوصية هذا المجال وامكاناته وموارده ورساميله، وذلك بالاعتماد والتركيز على الفاعلين الحضريين، وإشراك السكان المحليين في صياغة هذه المقاربة التشاركية من أجل بناء قطب حضري قادر على المنافسة وتجاوز كل المتطلبات والعراقيل المختلفة، دون إغفال العلاقة الجدلية بين المدينة والبادية، وكذلك موقع المدينة ضمن مجالها الجهوي وما يمكن أن يرتبط بها من علاقات اقتصادية وتجارية وسياسية.

وترجع أغلب الاختلالات التي تعاني منها مدينة تاونات إلى:

- غياب إستراتيجية واضحة ومتكاملة للتنمية الحضرية المحلية بالمدينة.
- ضعف العمل الجماعي وغياب التنسيق بين مختلف الفاعلين.
- غياب رؤية لاستثمار الموارد الترابية والثروات الاقتصادية التي تزخر بها تاونات.

لذلك يتعين وضع إستراتيجية لتنمية المدينة، وهو مطلب ملح للتمكن من الارتقاء بطرق ومقاربات التدخلات العمومية. وتحقيق أهدافها والمحاور ذات الأولوية للتنمية الحضرية وذلك من أجل جعل مدينة تاونات لتصبح مركزا حيويا مستقطبا ولها إشعاعها خاصة على مستوى الجهوي.

[1]- محمد حزوي وألفة الحاج علي، (2005)، المشروع الحضري وتحديات التنمية الترابية، مجلة دفاتر جغرافية، العدد 2، مطبعة انفوبرانت، فاس.

إن تدبير المدن وخاصة المدن الصغرى وتأهيلها يستدعي التنسيق بين مختلف الجهات المعنية واستحضار مبادئ التنمية المستدامة، ويسهم كذلك في تحقيق متطلبات واحتياجات ساكنة المدينة، ضمانا لتنمية حضرية مندمجة تأخذ بعين الاعتبار الإطار الذي نمت ونشأت في إطار مختلف المجالات الحضرية.

كما أن اعتماد الحكامة والتدبير التشاركي لقضايا المدن وتأهيلها،يتطلب تصحيح مجموعة من الاختلالات المرتبطة ب:

- تأهيل العنصر البشري من خلال توفير الدعامات القانونية والضمانات السياسية التي يمكن أن تجعل من المتدخلين في الميدان أداة لخدمة الصالح العام.
- تبسيط المساطر القانونية والتنظيمة، وجعل الاختصاصات واضحة ومحددة، مع مراعاة الخصوصيات المجالية وضرورة إشراك الساكنة في اتخاذ القرار.
- توفير الدعامة المالية لسير عمل المتدخلين.
- خلق إستراتيجية تنموية تحدد فيها بدقة مجالات تدخل الفاعلين والعمل على ترجمتها على أرض الواقع.
- وضع برامج لتأهيل المدن خاصة الصغرى والمتوسطة وإدماج الأحياء الناقصة التجهيز.

قائمة المراجع

- الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،(1989)، معلمة المغرب، العدد 7، نشر مطابع سلا.

- المملكة المغربية، 2016، وزارة الداخلية، منوغرافية بلدية تاونات، إقليم تاونات.

- ظهير شريف رقم 1-92-31 صادر في 15 من ذي الحجة 1412ه (17 يونيو 1992) بتنفيذ القانون رقم 90-12 المتعلق بالتعمير. المادة 19 من الفرع الاول من الفصل الثالث، الباب الثاني.

- الحسين بوضليب (2015)، التوسع الحضري بين معطيات المجال وإشكالية التخطيط حالة الناظور الكبير، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، التأهيل الحضري بالمغرب، الدورة 26.

- المفضل العاجي،(2000)، التمدين وإعداد المجال الحضري بإقليم تاونات، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز ، فاس.

- جواد ابوزيد ومنير الصادكي (2015)، الدينامية الحضرية بجرسيف أية رؤية لتأهيل المدينة، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، التأهيل الحضري بالمغرب، الدورة 26.

- عبد الواحد بوبرية،(2015)، الدينامية المجالية وإستراتيجية التأهيل الحضري للمدن الصغرى الجديدة حالة تاونات، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، التأهيل الحضري بالمغرب، الدورة 26.

- عبد الواحد العمراني(2015) ، المجال الحضري بالمدن الجبلية بين اكراهات التوسع وإشكالية التهيئة المجالية حالة مدينة تاونات منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، التأهيل الحضري بالمغرب، الدورة 26.

- عبد المجيد هلال وعبد الرحمان الدكاري وسعيد بوجروف (2015): التأهيل الحضري واقع الحال ومتطلبات الحكامة الترابية، بمجلة التأهيل الحضري بالمغرب، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الطبعة الأولى، الدورة السادسة والعشرون 20-21 مارس.

- محمد بريان واخرون،(1982)، قراءة وتحليل الخريطة الكبوغرافية، منشورات اللجنة الوطنية المغربية للجغرافية، الرباط،.

- مصطفى عمر التير(1995)، اتجاهات التحضر في المجتمع العربي، منشورات المؤسسة العربية للنشر والابداع، البيضاء، الطبعة الأولى، يونيو.

- محمد حزوي والفة الحاج علي، (2005)، المشروع الحضري وتحديات التنمية الترابية، مجلة دفاتر جغرافية، العدد 2، مطبعة انفوبرانت، فاس.

- رشيد السعيد وكريم لحرش،(2006)، الحكامة الجيدة بالمغرب ومتطلبات التنمية البشرية المستدامة، الطبعة الاولى، طوب بريس الرباط.

- هلال عبد المجيد وادريم مصطفى،(2014)، الأحياء العتيقة بمدينة الصورة: التحولات الحالية وإشكالية التدبير. ورد في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس، سلسلة الإعداد الخاصة، التراث الحضري والحداثة، العدد 13.

- CHOUIKI M.(2012). LE Maroc face au défi urbain. Quelle politique de la ville ? Dar Attaouhide. Rabat.

- Fouad Ammor ,(2OO3) Gouvernance et sauvegarde du patrimoine : cas de la médina de Fès, dans la gouvernance locale au Maroc (Sous la direction de Mihamed Harakat ,GREURE.

- Mustapha Beltaief ,(2004) la gouvernance urbaine villes et pouvoir , dans mélanges offrets au doyen Sadok Belaid (,Tunis :centre de publication universitaire.

- Le golés (P)' , (1995)du gouvernance de ville à la gouvernance urbaine, R.F.S.P. VOL n 1.

-Merlin P. Choay F. & alii, (2000), Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, PUF, Paris.

-Said Belguidoum et Vanessa Rousseau(2005) ,le pouvoir local et le gouvernance urbaine, dans la ville et le désert le Bas Sahra algérien(, sous la direction de marc Cote KARTHALA ET IREMAM .

- Salah-Eddine Cherrad ,Badia Sahraoui(2004) ,gouvernance urbaine et réalisation de ville nouvelle : cas de la ville d'Ali Mendjeli prés de Constantine,(les cahiers CREAD N 68/69 2 et 3 trim.

دور الأنشطة الرعوية في تدهور الأراضي بالحوض النهري لواد تيفلت (الجهة الشمالية الغربية للمغرب)

The role of pastoral activities in land degradation in the river basin of Oued Tiflet (Northwest side of Morocco)

صديقي عبد الخالق[1] عباسي عبد الناصر[2]

[1] باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل القنيطرة (المغرب) abdelkhalik.sadiki@uit.ac.ma

[2]باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل القنيطرة (المغرب) Abbassigeo@gmail.com

ملخص

تشكل تربية الماشية إحدى الأنشطة الرئيسية المزاولة من طرف ساكنة الحوض النهري لواد تيفلت، وذلك راجع إلى حضور مجال غابوي شاسع متمثل في غابة المعمورة، إلا أن لهذا النشاط آثار وخيمة على البيئة، وذلك عبر التسريع من وتيرة تدهور الأراضي، حيث تظهر التعرية بقوة مع أي تغيير في الغطاء النباتي . لذلك يساهم الرعي الجائر في تعديل الجريان كما أن حوافر القطيع تعمل على تدمير الغطاء النباتي والبنية السطحية للتربة، كما أن تنقل التربة ناتج عن الرعي خاصة مسالك القطعان التي تسمح بنقل التربة إلى المجال السفلي من الانحدار وبالتالي إتلاف الجزء العلوي من التربة.

تستهدف هذه المداخلة إبراز مكانة تربية الماشية بالحوض النهري لواد تيفلت وتوزيعها المجالي، وكذا الإشارة إلى بعض آثار تربية الماشية على المجال.

الكلمات المفاتيح : حوض تيفلت - الأنشطة الرعوية – تدهور الأراضي – تدهور الغطااء النباتي.

Abstract:

Livestock breeding is one of the main activities practiced by the inhabitants of the river basin of the Tiflet Valley, due to the presence of a vast forest area represented in the forest of the globe, but this activity has dire effects on the environment, by accelerating the pace of land degradation, where erosion appears strongly with any Change in vegetation cover . Therefore, overgrazing contributes to modifying the flow, and the herd's hooves destroy the vegetation cover and the surface structure of the soil, and the movement of soil is caused by grazing, especially the paths of herds that allow the transfer of soil to the lower area of the slope, thus damaging the upper part of the soil.

This intervention aims to highlight the status of livestock breeding in the river basin of Oued Tiflet and its spatial distribution, as well as pointing to some of the effects of livestock breeding on the field.

Key words: Tiflet Basin - grazing activities - land degradation - deterioration of vegetation cover.

تقديم

تعتبر تربية الماشية النشاط الاقتصادي المهيمن داخل غابة المعمورة، ويعتبر قطيع الأغنام الأكثر عددا، إذا ما قارناه بالماعز ذو العدد المحدود (الإحصاء الفلاحي 2014) أما الأبقار فهي بدورها محدودة العدد وتبقى ذات نسل محلي،

منهجية العمل

تعتبر منهجية البحث، هي مجموعة من القواعد العامة التي تحدد عمليات الباحث حتى يصل إلى نتيجة معينة، هي الكشف عن حقيقة مجهولة أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة[1] لذلك ركزنا على العمل البيبليوغرافي والعمل الميداني والكرطوغرافي .

تحديد مجال الدراسة

يقع الحوض النهري لواد تيفلت في منطقة تجمع بين مجال هضبي منتمي لهضبة المعمورة ومجال سهلي متمثل في سهل الغرب، بين خطي طول 6° 10' و 6° 30' غرب خط غرينتش و خطي عرض 34° 5' و 34° 25' شمال خط الاستواء، لذلك فهو يشمل إداريا تراب 14 جماعة بين العالية والسافلة .

يعتبر حوض تيفلت أحد الأحواض الصغرى لحوض بهت ، تبلغ مساحته الإجمالية حوالي 1047كلم مربع، يقع في الجهة الشمالية الغربية للمغرب، بالضفة اليسرى لواد بهت وواد سبو، يحتل الحوض مجالا وسطا في منطقة اتصال بين وحدتين تضاريسيتين متباينتين، كما يمتد جزء من عالية الحوض بالجهة الجنوبية الغربية فوق هضبة زمور زعير (هضاب المسطحة الإنتقالية)، فمجراه الرئيسي يخترق هضبة المعمورة في اتجاه عام جنوب شمال غرب، يحده واد سبو شمالا و واد بهت شرقا و الهضبة الوسطى جنوبا ، و واد الفوارات.

[1] - دويدري وحيدي رجاء (2000). البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارسته العلمية، دار الفكر، دمشق، سوريا، صص 53-107.

الشكل رقم 1 : توطين الحوض النهري لواد تيفلت (الجهة الشمالية الغربية للمغرب)

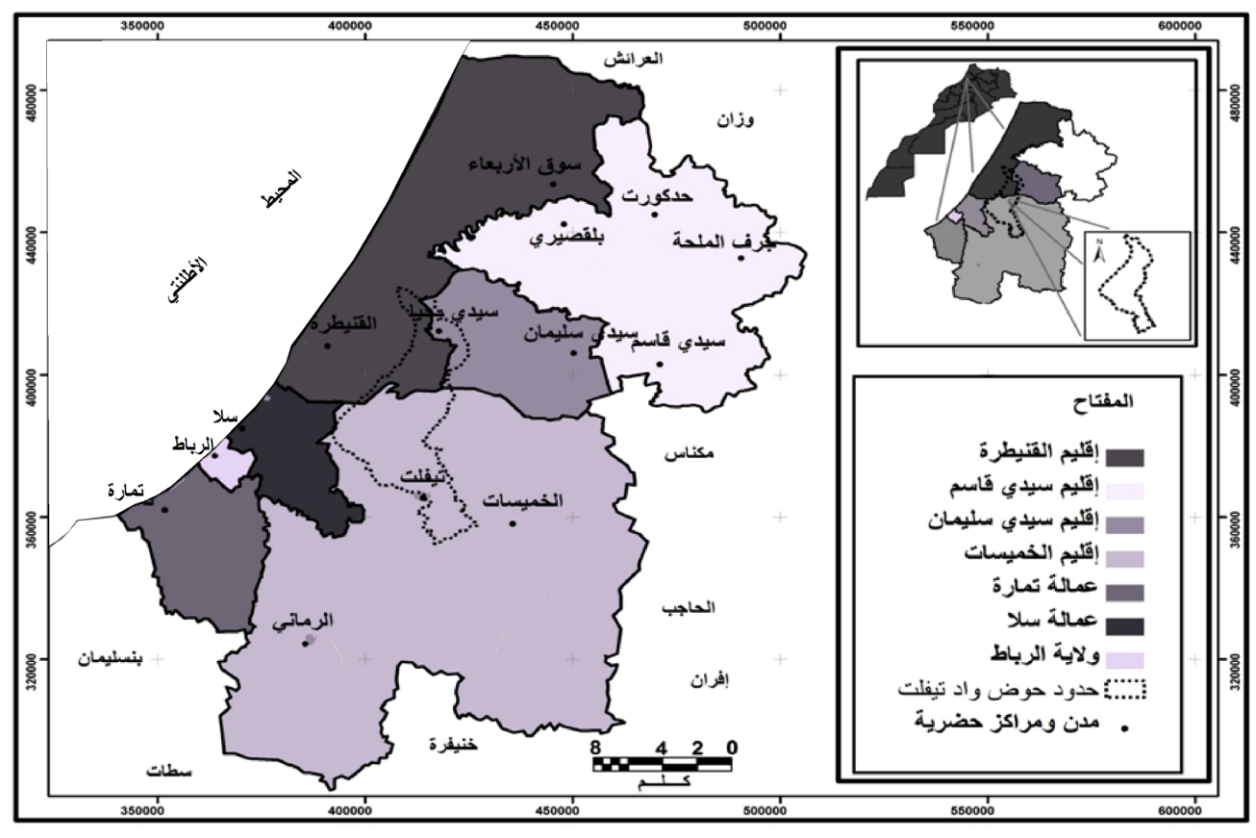

1- وضعية تربية الماشية بالحوض النهري لواد تيفلت

يتميز قطاع تربية الماشية (الأغنام، الأبقار، المعز) بالاختلاف بين مناطق الحوض النهري لواد تيفلت . (الشكل رقم 2 – 3)

1-1 قطاع الأبقار

يتميز مجال الدراسة بحضور مهم للأبقار بين سنوات 1996 و 2015 داخل مختلف المناطق المكونة للحوض باعتبارها إحدى الأنشطة التكميلية حيث لوحظ تزايد الاهتمام بقطاع الأبقار خاصة خلال سنوات 2015 حيث أن النسبة الممثلة بالأحمر (أكثر 4000) تغطي مساحة هامة خلال سنة 2015 .

الشكل رقم 2 – 3 : توزيع رؤوس الأبقار بين سنوات 1996 – 2015 بالحوض النهري لواد تيفلت

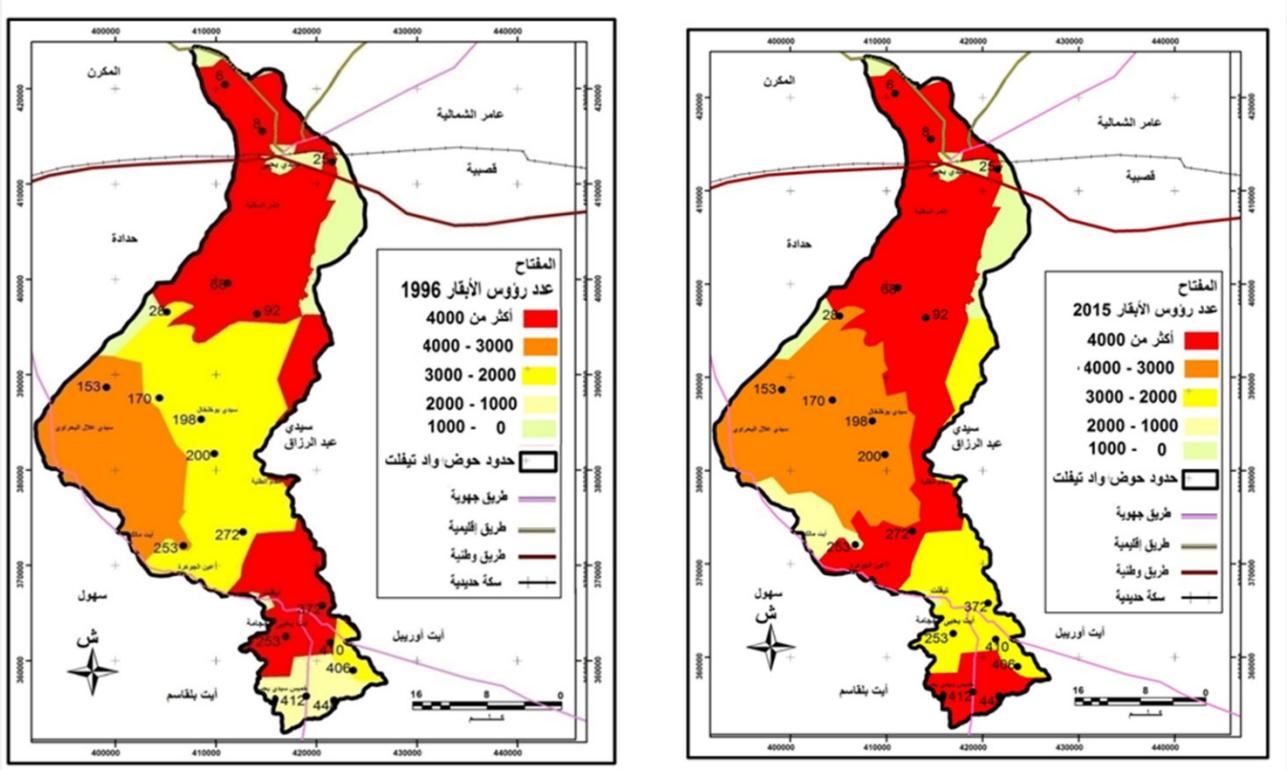

المصدر: الإحصائيات الفلاحية للمغرب بين 1996 - 2015

2-1 قطاع الأغنام

يشكل قطاع الأغنام عنصرا مهما بالنسبة لأغلب الفلاحين داخل الحوض النهري لواد تيفلت، لذلك فانطلاقا من الخريطتين، يتبين لنا أن عدد الأغنام يتميز بالاختلاف بين سنوات 1996 و 2015، حيث عرف عدد الأغنام بتباياناته الكبيرة، ففي سنة 1996 وصل العدد بين 629 و 73619 رأس في حين أن 2015 عرفت تراجعا في العدد، حيث تتراوح بين 595 و 43600 رأس، ومرد كل هذا إلى تخلي بعض الفلاحين عن هذا القطاع وتفضيلهم لأنشطة أخرى مع هجرة السكان المتزايدة.

الشكل رقم 4 – 5 : توزيع رؤوس الأغنام بين سنوات 1996 - 2015 بالحوض النهري لواد تيفلت

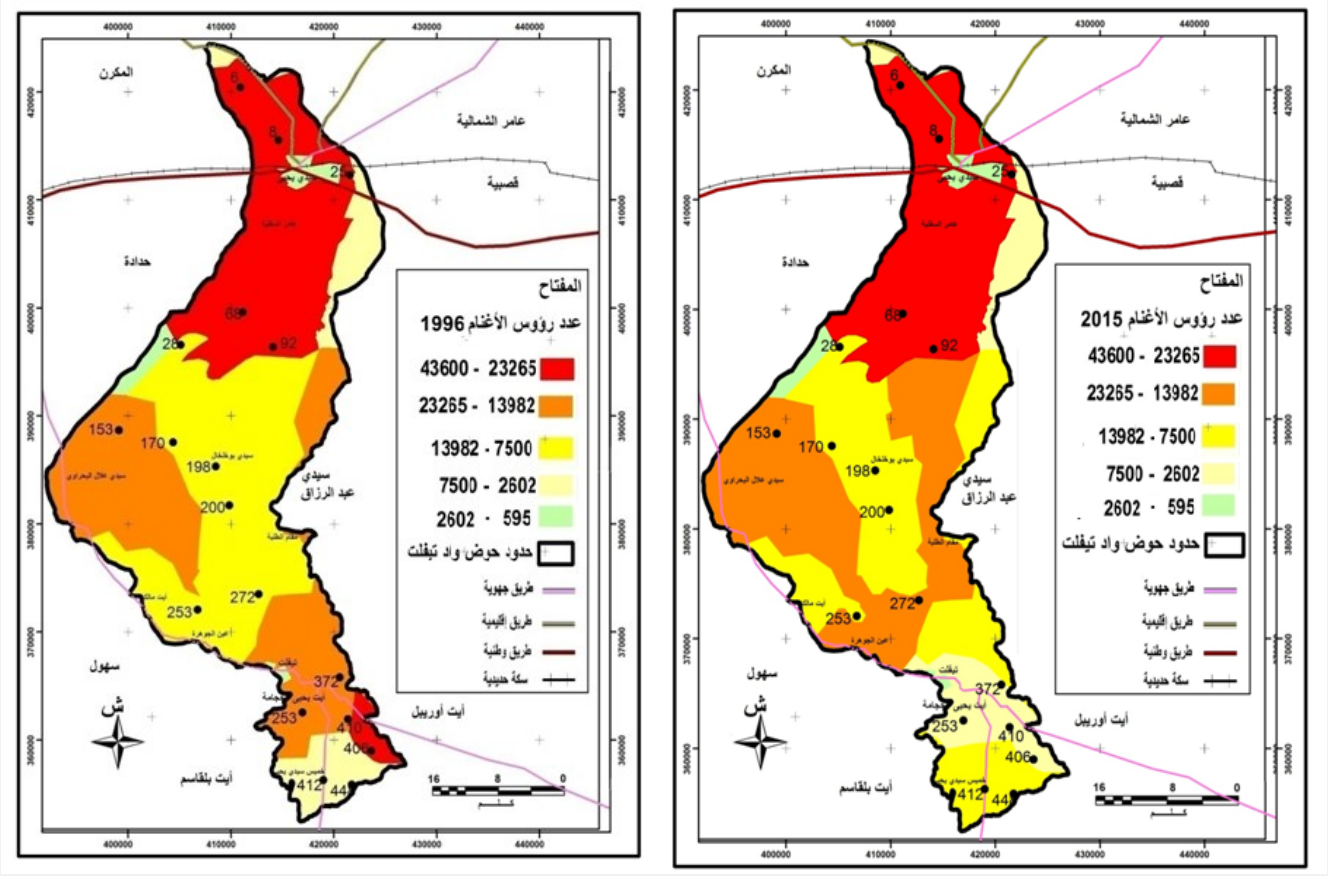

المصدر: الإحصائيات الفلاحية للمغرب بين 1996 - 2015

3-1 قطاع المعز

يتميز قطاع الماعز بالضعف إذا ما قورن بقطاعي الأغنام والأبقار، بحيث يتضح لنا أن هذا النوع من الماشية في تناقص، وذلك راجع إلى عدم تفضيل الساكنة لهذا النوع (الشكل رقم 6 – 7).

على العموم، يتميز مجال الدراسة بانتشار تربية الماشية على قطاع واسع، حيث تشكل تربية الماشية معطى تاريخي بحكم حضور ظروف ملائمة للرعي ووفرة موارد غابوية متمثلة في غابة المعمورة، وبالتالي يشكل الرعي نشاطا تكميليا إلى جانب الزراعة، مما ساهم في الاقتصاد المحلي لحوض واد تيفلت، لكن أمام تزايد توزيع المجالات الزراعية والتمدين المتزايد، فقد تراجعت مساحة المراعي ومعها عدد القطعان بمجال الدراسة.

هكذا أدى انتشار تربية الماشية بمجال الدراسة إلى دفع السكان لاستغلال مجالات أخرى مثل الغابات، وذلك راجع بالأساس إلى ضيق المساحات المخصصة للرعي، وأسفرت هذه العملية عن تدهور التربة، حيث يتم تفكيك بنية التربة في فترات الصيف وبداية الخريف، وبالتالي تهيئ السطح لفقدان كبير من التربة أثناء فترات التساقط الأولى التي يشهدها فصل الخريف.

الشكل رقم 6 – 7 : توزيع رؤوس المعز بين سنوات 1996 - 2015 بالحوض النهري لواد تيفلت

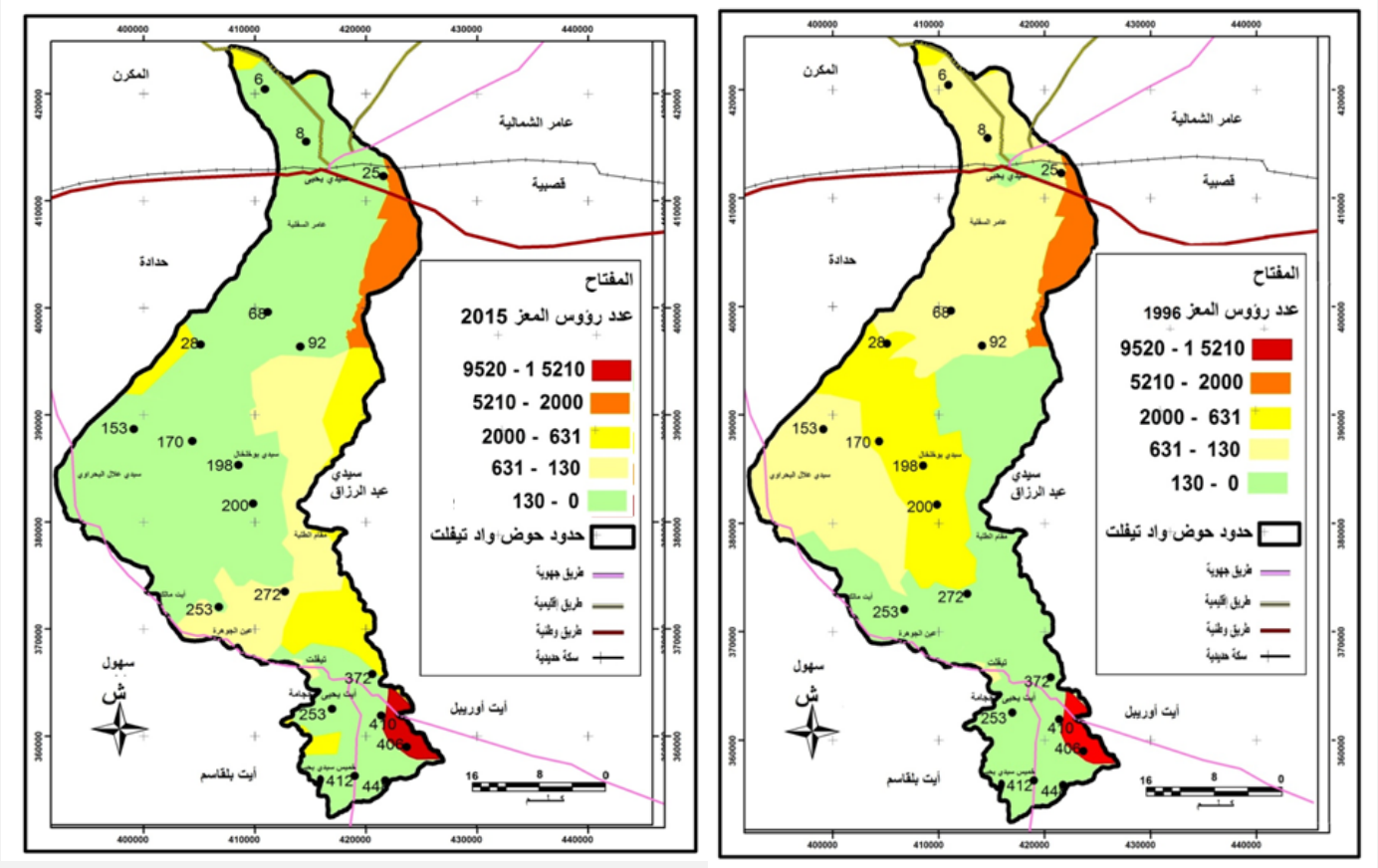

المصدر: الإحصائيات الفلاحية للمغرب بين 1996 - 2015

صور رقم 1- 2 – 3 : انتشار تربة الماشية بمجال الدراسة

المصدر: بحث ميداني 2017

كما أن مرور المواشي في مجال معين شكل متكرر تسمح بتطور أشكال التعرية، حيث أن عملية الدوس تؤدي إلى تفكك مكونات التربة وبنياتها مع اندكاكها وتكوين دروب الحيوانات.

2- وحدات الماشية الكبرى

إن الهدف من دراسة وحدات الماشية الكبرى unités gros betail هو معرفة حجم القطيع وذلك اعتمادا على المعادلة التالية: وحدة بقرية كبرى = عدد رؤوس البقر / (عدد رؤوس الغنم والمعز /5)

هكذا تمكنا من تطبيق هذه المعدلة بهدف معرفة عدد الوحدات العلفية الضرورية لوحدة بقرية كبرى.

شكل رقم 8 : وحدات الماشية الكبرى بالحوض النهري لواد تيفلت

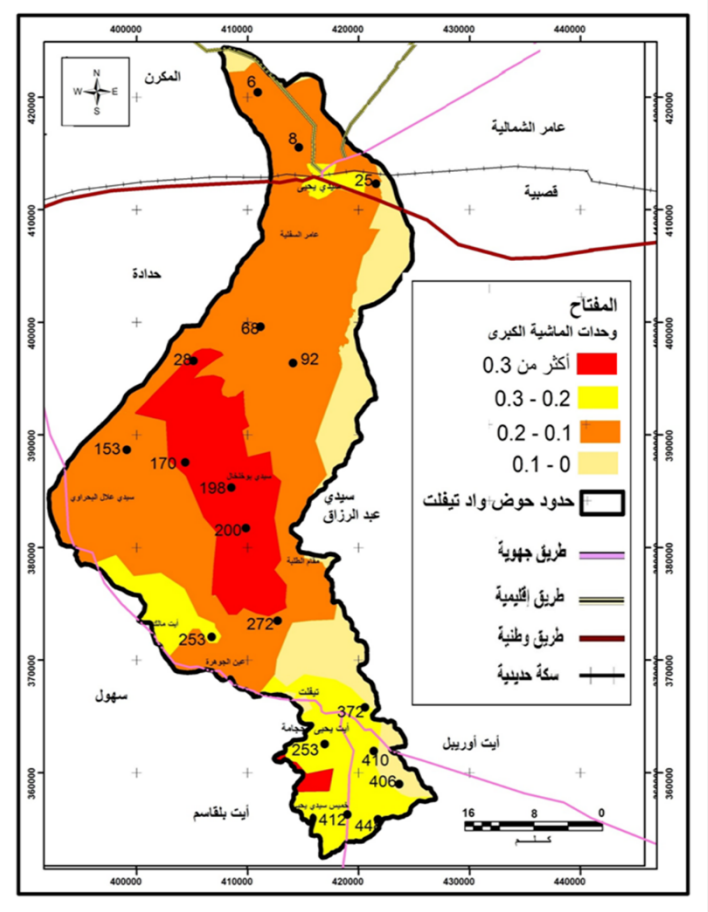

تشكل تربية المواشي نشاطا رئيسيا بمجال الدراسة إلى جانب النشاط الزراعي القديم[1]، بحيث كانت المنطقة رعوية بامتياز قبل أن تعرف نمط الاستقرار، بحيث أثبتت الدراسة الميدانية التي قمنا بها مع الساكنة، أن أغلبهم يزاولون تربية الماشية، بينما نسب قليلة لا يمارسونها وذلك حسب الدواوير المدروسة:

[1] -Nafaa R (1997). dynamique de milieu naturelle de la maâmora et ses bordures paleoenirronemntales et dynamique actuelle thèse d'état 1996 – 1997 faculté des lettres et sciences humaine rabat P 7.

شكل رقم 9: مزاولة تربة الماشية بالدواوير المدروسة

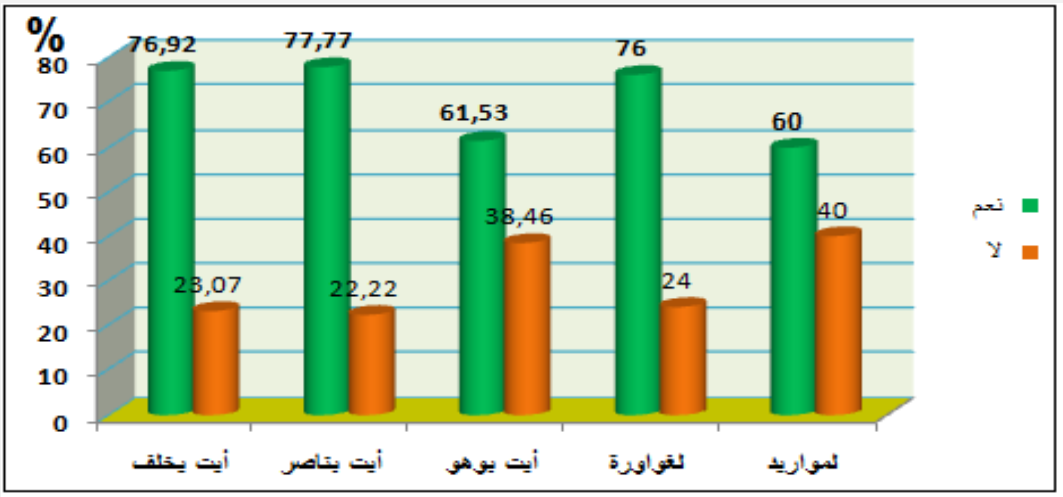

المصدر : بحث ميداني 2018

يتضح أن معظم الدواويرالمدروسة تقوم بمزاولة تربية الماشية بنسب مهمة، لكن في المقابل فإن بعض الساكنة لا يقومون بتربية الماشية، لأن لديهم أنشطة إقتصادية أخرى.

نظرا لأهمية تربية الماشية في الاقتصاد، طورت الساكنة هذا النشاط، وذلك تماشيا مع ما تعرفه المنطقة من تغيرات مجالية وخاصة التطور الزراعي، ودخول الاستثمار الأجنبي، وظهور زراعات متطورة بدل الزراعات المعاشية التي كانت سائدة بالمنطقة من قبل، وبالتالي فإن الزراعات التي أصبحت تمارسها الساكنة لم تعد مساعدة على ممارسة تربية الماشية بالطريقة التقليدية، وهذا ما يفسرلجوء الساكنة إلى تربية المواشي داخل الإسطبلات واستعمال الأعلاف

3- بنية القطيع بحوض تيفلت

تمارس ساكنة المنطقة نشاط تربية الماشية كنشاط تكميلي. لذلك تتواجد اختلافات في أعداد الأبقار والأغنام والماعز داخل الدواوير المدروسة (الجدول بعده).

تتميز بنية القطيع بالحوض النهري لواد تيفلت، بهيمنة قطاع الأغنام خلال فترتين مختلفتين داخل مجموع الدواوير المدروسة، بحيث قبل 10 سنوات وصل عدد الأغنام بمجموع الدواوير المدروسة حوالي 975 رأسا، بينما في الفترة الحالية حوالي 923 رأسا، أما بخصوص الأبقار فقد قدر عدد الأبقار بالدواوير المدروسة قبل 10 سنوات ب 176 بقرة أما خلال الفترة الحالية 137 بقرة، أما بخصوص قطاع الماعز فقد قدر عدد الماعز بالدواوير المدروسة حوالي 50 رأسا، بينما في الفترة الحالية 42 رأس. إذن تمثل الأغنام أكبر حصة من حجم القطيع داخل الحوض النهري لواد تيفلت باعتبارها نشاطا مكملا لدى السكان، ولما يوفره من مداخيل تسمح بإمكانية مواجهة مصاريف النشاط الزراعي المتزايدة.

جدول رقم 1: بنية القطيع بالدواوير المدروسة

		الأبقار		الأغنام		المعز		المجموع	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أيت يخلف	قبل 10 سنوات	40	13.15	250	82.23	14	4.60	304	100
أيت بناصر		25	13.81	150	82.87	6	3.31	181	100
أيت بوهو		30	15.15	160	80.80	8	4.04	198	100
لغواورة		38	15.32	200	80.64	10	4.03	248	100
لمواريد		43	15.92	215	76.62	12	4.44	270	100
أيت يخلف	حاليا	32	11.26	242	85.21	10	352	284	100
أيت بناصر		17	10.17	143	85.62	7	4.19	167	100
أيت بوهو		23	12.84	149	83.24	7	3.91	179	100
لغواورة		29	13	186	83.40	8	3.58	223	100
لمواريد		36	14.45	203	81.51	10	4.01	249	100

المصدر: بحث ميداني 2016

ويرجع تقلص عدد قطعان الماعز والأبقار إلى تراجع وانتهاء الرعي الطليق، حيث أصبح من اللازم أن يتناسب حجم القطيع مع ملكية الأرض، علما أن المعز يتطلب مساحات مهمة للرعي مثل الغابات، كما أن العديد من الفلاحين فضلوا بيع الماعز وشراء الأغنام، لأن هذه الأخيرة لا تتطلب الرعي في مساحات شاسعة بل تتطلب الرعي في الأعشاب والأراضي المزروعة كما أن مردوديتها جد مرتفعة.

صورة رقم 5 : إنتشار الأغنام والأبقار بمجال الدراسة

بالإضافة إلى المعطيات السابقة، يتميز مجال الدراسة باختلافاته من حيث أماكن مزاولة نشاط تربية الماشية في العشر سنوات الأخيرة والفترة الحالية ، وهذا ما تم اكتشافه من خلال البحث الميداني.

نلاحظ خلال العشر سنوات الأخيرة، أن أغلب الدواوير المدروسة شهدت ممارسة نشاط الرعي في مجالات مختلفة مثل الغابات أو المراعي أو الحصائد، إلا أن السكان لم يكن لهم ميول نحو الاحتفاظ بقطعانهم في الإسطبلات، لكن في الفترة الحالية يلاحظ أن نسبة كبيرة تمتلك الإسطبلات، (أكثر من 30 % من مجموع الدواوير المدروسة) أما بخصوص المجالات المخصصة للرعي فقد شهدت تراجعا، ويعزى ذلك إلى كون المراعي تقدم الكلأ الكافي للماشية، مما جعل الرعاة

يكتفون بالرعي في الغابة وخاصة خلال فترة الخريف، في حين أن الرعي في الإسطبلات أصبح ضروريا لسكان الحوض، حيث يبقى القطيع في الغابة بالنهاروعند المساء تقدم له بعض الأعلاف التكميلية.

الجدول رقم 2: مكان مزاولة النشاط الرعوي

		الغابة		المراعي		الإسطبل		أراضي مزروعة بالشعير		الحصائد		المجموع	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
قبل 10 سنوات	أيت يخلف	10	38.46	5	19.23	4	15.38	3	11.53	4	15.38	26	100
	أيت بناصر	8	44.44	2	11.11	3	16.66	3	16.66	2	11.11	18	100
	أيت بوهو	4	30.76	3	23.07	3	23.07	2	15.38	1	7.69	13	100
	لغواورة	11	44	7	28	4	16	2	8	2	8	25	100
	لمواريد	3	15	7	35	4	20	4	20	2	10	20	100
حاليا	أيت يخلف	4	15.38	3	11.53	8	30.76	5	19.23	5	19.23	26	100
	أيت بناصر	6	33.33	2	11.11	7	38.88	2	11.11	1	5.55	18	100
	أيت بوهو	5	38.46	2	15.38	3	23.07	1	7.69	2	15.38	13	100
	لغواورة	6	24	4	16	11	44	1	4	3	12	25	100
	لمواريد	5	25	4	20	8	40	2	10	1	5	20	100

المصدر: بحث ميداني 2018

إن ضيق المجال الرعوي، ببعض المجالات غالبا ما يؤثر على الوسط البيئي، حيث يؤدي لى الرعي في مجالات ضيقة، مما يساهم في تدهورها خاصة على مستوى الغابة حيث أصبحت التغطية النباتية ضعيفة، وبالتالي تحريك ديناميات وسيرورات التعرية.

صور رقم 6 – 7 - 8 : نماذج الإسطبلات بالدواوير المدروسة

4- تركيز الساكنة على الأعلاف ونتائجها على الوسط الطبيعي

اعتمدت الساكنة قديما على الترحال في رعي قطعانها، وذلك بحثا عن الكلئ، لمواجهة أي نقص أو خصاص، كما كانت الساكنة تعتمد التناوب على المراعي، لكن مع مرور الوقت سرعان ما تغيرت المعطيات، حيث أصبح السكان مستقرون وأصبحت الملكية الخاصة للأراضي، مما تسبب في ضيق المجال الرعوي، وبذلك أصبح الاعتماد على الأعلاف إحدى الضروريات الرئيسية بغية ضمان تنوع في القطيع خلال الفترات الصعبة.

أمام التراجع الذي تعرفه المساحة الرعوية، وكذ التدهور الذي عرفته الأراضي الرعوية، بسبب الرعي الجائر وكذا سنوات الجفاف المتوالية اضطر أغلب الفلاحين إلى الاعتماد على الأعلاف كمورد تكميلي للماشية.

جدول رقم 3: نوعية الأعلاف بالدواوير المدروسة

اسم الدوار	الشعير		الذرة		الخرطال		شمندر		التبن		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أيت يخلف	10	38.46	3	11.53	7	30.43	2	7.69	4	15.38	26	100
أيت بناصر	3	16.66	3	16.66	4	22.22	1	5.55	7	38.88	18	100
أيت بوهو	4	30.76	1	7.69	2	15.38	1	7.69	5	38.46	13	100
لغواورة	9	36	2	8	4	16	3	12	7	28	25	100
لمواريد	8	40	2	10	5	25	2	10	3	15	20	100

المصدر: بحث ميداني 2017

يتضح أن مختلف الدواوير المدروسة، تعتمد على الأعلاف بنسب متفاوتة، بحيث عبرت ساكنة مختلف الدواوير على اعتمادهم الشعير بقوة كعلف للماشية، يليه التبن والخرطال بنسبة لا بأس بها، بينما عبرت نسبة ضعيفة من الساكنة عن اعتمادهم للشمندر والذرة.

ويعتبر شهر الخريف أكثر استعمالا للعلف متبوعا بشهر الصيف والسبب هو أن الغطاء النباتي يكون جاف خلال الصيف والخريف، مما يحتم على الجميع ضرورة الاعتماد على العلف، لكن في المقابل فإن فصل الربيع معروف بوجود غطاء نباتي مهم. يشكل تقديم العلف معطى بيئي إيجابي، لأنه يقلص من الضغط على مختلف المجالات الرعوية.

5- آثار الرعي على البيئة بحوض تيفلت

1-5 إندكاك التربة

ينتج إندكاك التربة عن الإستعمال الكثيف للرعي الجائر حيث ينتشر سوء استثمار المراعي الطبيعية بتحميلها بأعداد من الحيوانات، لا تتلاءم مع طاقة المراعي الغذائية، وعدم الأخذ بعين الاعتبار أنواع النباتات في المراعي ومدى ملاءمتها للحيوانات التي تجوب تلك المراعي، وهذا الرعي الغير منظم كان له الدور الرئيسي في تدمير الغطاء النباتي، بسبب انكشاف التربة وتعرضها لعوامل التعرية.

2-5 آثار الرعي الجائر على التربة

يعتبر الرعي الجائر بحوض تيفلت، أحد أسباب استنزاف التربة، فهو يعمل على دكها وسد مساماتها بواسطة تنقل الماشية، مما يعيق عملية الإنبات، وبالتالي تقلص مساحة المراعي، وللرعي كذلك سلبيات أخرى نخص منها بالذكر قتل النباتات، وإضعاف قدرة الأرض على الإنبات، وقدرة النباتات والشجيرات على التخليف بالخصوص إذا فاق عدد القطيع القدرة الاستيعابية للمراعي، وهناك تختلف قدرة التحمل حسب نوع القطيع، فالمعروف أن قطعان المعز تأتي على الأخضر واليابس ولا تسلم منها حتى الأشجار، فهي ذات قدرة عالية على التسلق وتأكل كذلك الأشواك ومنه نستنتج أن الماعز أكثر استنزافا للمراعي من الأغنام والأبقار.

صورة رقم 9 : اندكاك التربة جراء الرعي/ 2018

صورة رقم 10: انتشار الرعي بغابة

إن لنشاط الرعي تأثير خاص على الغطاء النباتي، خاصة وأن المجال المخصص له ضيق، وهو يشكل القاعدة الأساسية بالنسبة لتربية المواشي، فقد أدى تزايد هذه الأخيرة إلى تعرض الغطاء النباتي إلى التلف، وهذا بسبب تجاوز المساحة المخصصة، لذلك نظرا لقلة التساقطات وتوالي فترات الجفاف، حيث بدأ الفلاح يبحث عن مناطق جديدة للرعي على جنبات الأودية، لتوفر غطاء نباتي دائم، والرعي كذلك في المناطق المخصصة للغابات، مما يجعل هذه الأخيرة معرضة لخطر الرعي غير المنتظم والغير القانوني، فيتم بذلك القضاء على براعم النباتات الصغيرة التي تغرس في إطار عملية تجديد الأصناف الغابوية وخاصة بواسطة قطعان الماعز التي تأتي على الأخضر واليابس، الشيء الذي يؤدي إلى ظهور مجالات شبه فارغة تكون عرضة لعوامل التعرية المائية خلال فترة الأمطار الخريفية والتي تتميز بالعدوانية، كما تعرض قطعان الماشية التربة للتدهور بفعل عملية الإندكاك،المرتبطة بعدد القطعان ومدى سيرانهم إما بشكل متفرق أو متجمع، وبالتالي فعملية الرعي يمكن أن تقلص من نفاذية التربة، بسبب سد المسامات التي تسمح بتسرب الماء وكنتيجة لهذا يتكون السيل وتنشط عوامل التعرية المائية.

3-5 تكوين دروب الحيوانات

تشكل المواشي إحدى العناصر المؤثرة في التربة، وذلك بحكم تنقلاتهم المتتالية، بحيث تكون لهذه الأخيرة مظاهر مختلفة ومتنوعة، منها ما هو ظاهر ومنها ما هو خفي، لذلك تعمل المواشي على تحريك المواد فوق السفوح مع إبراز موجات من الغبار وخصوصا خلال تنقلاتها بشكل جماعي، وبالتالي تساهم المواشي في تراكم المواد مع وضع المواد الدقيقة على جوانب مسالكها.

كما أن عملية التراقص التي تقوم بها المواشي بين المسكن والمراعي، إضافة إلى تنقلات الإنسان بمختلف أدواته وآلياته الثقيلة، غالبا ما يساهم في إندكاك التربة، وبالتالي إغلاق المسام، مما يسرع من عملية الجريان السطحي بمجال الدراسة.

صور رقم 11 – 12 – 13 : اندكاك التربة بسبب الآليات وتربية الماشية

المصدر: بحث ميداني 2014

خاتمة:

تشكل تربية الماشية نشاطا مهما، باعتبارها عنصرا مكملا للأنشطة الفلاحية، التي يرتكز عليها الفلاحين بالحوض النهري لواد تيفلت، وذلك لوجود مجال شاسع لممارسة تربية الماشية، خاصة بالجزء الغابوي المنتمي لغابة المعمورة، وكذا بعالية وسافلة الحوض، مما سمح للفلاحين بنوفير مداخيل متنوعة إنعكست إيجابا على حياتهم اليومية.

المراجع :

- الأسعد محم (2008). أشكال القرارات في تربية الماشية لدى للفلاحين ودلالة اختياراتهم في البيئات الشبه الجافة بالمغرب، دراسة في الاكلوجية الثقافية، منشورات عدد 1-2 مجلد السلسلة الجديدة، الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة، مجلة جغرافية المغرب، ص72
- غريب عبد الكريم (1997). منهج وتقنيات البحث العلمي، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديد، ص 94.
- شحو إدريس (2015). التوازنات البيئية الغابوية بالأطلس المتوسط الغربي، مقارنة – صون تنموية لمنطقة أزرو، ص 85.
- دويدري وحيدي رجاء (2000). البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارسته العلمية، دار الفكر، دمشق، سوريا، صص 53-107.
- المندوبية السامية للتخطيط الرباط : الإحصاء الفلاحي لسنوات 1996 – 2016

- Nafaa R (1997). dynamique de milieu naturelle de la maâmora et ses bordures paleoenirronemntales et dynamique actuelle thèse d'état 1996 – 1997 faculté des lettres et sciences humaine rabat P 7.

زراعة القنب الهندي وتطور الدخل الأسري بالريف الغربي المغربي

جماعة فيفي -إقليم شفشاون- نموذجا

Cultivaion of cannabis and the development of family income in the western Moroccan countryside, fifi commune-chefchaouen province- as a model

نجاة التزروتي

حاصلة على الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس بالرباط-المغرب

الملخص

عرفت الأسرة في جماعة فيفي مجموعة من التحولات الثقافية والسوسيواقتصادية المرتبطة بزراعة القنب الهندي فنتج عنه تحول في عوامل الانتاج وفي الدخل الأسري بعد الانتقال من الاقتصاد المعيشي إلى الاقتصاد التسويقي.

ومن أجل التطرق لهذه الجوانب حاولنا الاشتغال على مفهومي التحول والأسرة داخل متن هذا العمل البحثي، كما استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي إلى جانب المنهج المقارن، أما على مستوى الميدان فتمت مقاربته كما وكيفا من أجل التوصل إلى الاجابة عن الاشكالية المركزية وتوصلنا في نتائج البحث إلى أن اقتصاد القنب الهندي قد ساهم في تطور الدخل الأسري مما أثر على تحول ثقافة الأسرة الاستهلاكية سواء على مستوى مكونات المسكن القروي او العادات والتقاليد الرمزية التي بدورها عرفت تحولات مهمة.

Abstract

The family of FIFi commune has gone throught a series of cultural and sicio-economic transformations related to cannabis cultivation, which have resulted in a shift in factors of production and household income after the shift from the living economy to the market economy

In order to identify all these features, this research has focused on the concepts of 'family' and 'dynamics', deploying the qualitative method in addition to the comparative method. At the level of fieldwork, this research has been approached through making use of both qualitative and quantitative research methods in order to provide answers to the main hypothesis. Hence, this research has deduced that the cannabis economy has contributed to change in family income, generating thereby the transformation of family consumer culture, either at the level of rural housing components, or symbolic traditions and customs.

مقدمة

كانت الأسرة التقليدية في جماعة فيفي منتجة ومستهلكة في نفس الوقت ، وكانت تحصل على دخل يتمثل في محصول زراعي عبارة عن حبوب و زيوت و زيتون وبعض أنواع القطاني، وهذه المنتجات المعيشية الموسمية يستفيد منها كل أفراد الأسرة التقليدية ، ولم يكن يسمح بالاستغلال الفردي لها ،إلا أنها لم تكن تكفي لتغطية احتياجات الأسرة طوال السنة فكانت تقوم ببيع بعض رؤوس الماشية التي تقوم بتربيتها وخاصة الماعز لشراء الاحتياجات اليومية داخل المسكن الأسري أو السفر من أجل التطبيب . أما التمدرس فلم يكن هناك دخل مخصص له آنذاك إلا أن بعض الأسر التي هاجر أبناؤها أو حصلوا على وظائف عمومية بعيدة عن المنطقة كانوا يقدمون المساعدة لأسرهم، كما أن بعض أرباب الأسر كانوا يسافرون إلى مناطق قروية أخرى كمنطقة كتامة للعمل في حقول القنب الهندي، أو العمل كفقهاء في المساجد أو في أعمال البناء، أو إصلاح البنية التحتية المرتبطة بالطرق الوطنية أو الفرعية، وفي مشاتل الفواكه والخضر ، ويتم الاستمرار في ممارسة هذه الأعمال لشهور طويلة مقابل أجور زهيدة، ثم العودة للأسرة، وبالتالي كانت الوضعية السوسيواقتصادية قبل زراعة القنب الهندي هشة جدا وكان يساهم في هذه الهشاشة ندرة وسائل النقل و النقود في فترة السبعينات والثمانيات من القرن الماضي ،إلا أنه ظل مجتمعا محافظا على ارتباطه بالأرض التي تمثل المكانة الاجتماعية والشرف في كل المجتمعات القروية .

وقبل أن نتطرق لمحاور هذه الورقة لا بد من الوقوف على أهمية مفهوم التحول الذي عرفه مجتمع البحث،حيث يعتبر من أكثر المفاهيم التي اشتغل عليها العديد من السوسيولوجيين وتعتبر دراساتهم مؤسسة للسوسيولوجيا القروية المعاصرة خاصة بعد فترة الاستقلال، ومن بينهم جاك بيرك الذي كان يؤكد على ربط التحول بالتحديث الزراعي عبر تطوير تقنيات الإنتاج من أجل تغيير الوضع الاقتصادي للإنسان القروي, متأثرا بالفكر الماركسي التنموي. غير أن هذه المقاربة التنموية التي ركز عليها بيرك في مجتمع الأطلس الكبير(سكساوة) قد فشلت لتضارب المصالح بين المجتمع القبلي الخائف على حيازاته الزراعية وعلاقاته الاجتماعية وبين المعمرين ومشاريعهم الزراعية إلى جانب أزمة الغذاء التي عرفها المجتمع المغربي في 1945، وهذه الصراعات السوسيو -زراعية اهتم بها كذلك بول باسكون، حيث اعتبرها عاملا مهما في التحولات السوسيواقتصادية التي عرفها المجتمع القروي مما أنتج مجتمعا مركبا أو مزيجا على حد قوله . ونضيف إلى ذلك اهتمامات كريكوري لازاريف التي كانت منصبة حول مسألة التغير الاجتماعي التي ربطها بعوامل تاريخية والتي كان لها عظيم الأثر على التنمية القروية ،كما كان دائما مهتما بالبنية القرابية والعلاقات السياسية والهوية الثقافية ، و قدم لنا مساهمته في فهم المجتمع القروي والدينامية التي تعرض لها والتي أثرت على بنية الأسرة في مجتمع البحث "جماعة فيفي".

ونحن إن تحدثنا عن مناطق الريف الأوسط فهي ليست استثناء عن هذه التحولات المجتمعية ،حيث نجد أنها مناطق تمركزت فيها زراعة القنب الهندي ،خاصة منطقة كتامة وبني سدات، لتتوسع هذه الزراعة بمناطق الريف الغربي .ونقصد هنا مناطق جبالة ،مما أثر على الدخل الأسري في جماعة فيفي وهي جماعة قروية تقع ضمن تراب إقليم شفشاون، تنتمي لجهة طنجة تطوان الحسيمة ، وقد أحدثت بالتقسيم الإداري للمملكة في سنة 1959 قيادة

فيفي دائرة باب تازة ، ضمن النفود الترابي لإقليم شفشاون[1]، وتمتد على مساحة تقدر ب144 كلم (مربع) أما عدد السكان فيبلغ 8104 نسمة و عدد الأسر1626 حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014. كما تبعد عنه ب 45 كلم، ويظهر في الخريطة موقع جماعة فيفي اقليميا وجهويا،

خريطة توطين مجال البحث "جماعة فيفي " في سياقها الإداري الجهوي والاقليمي

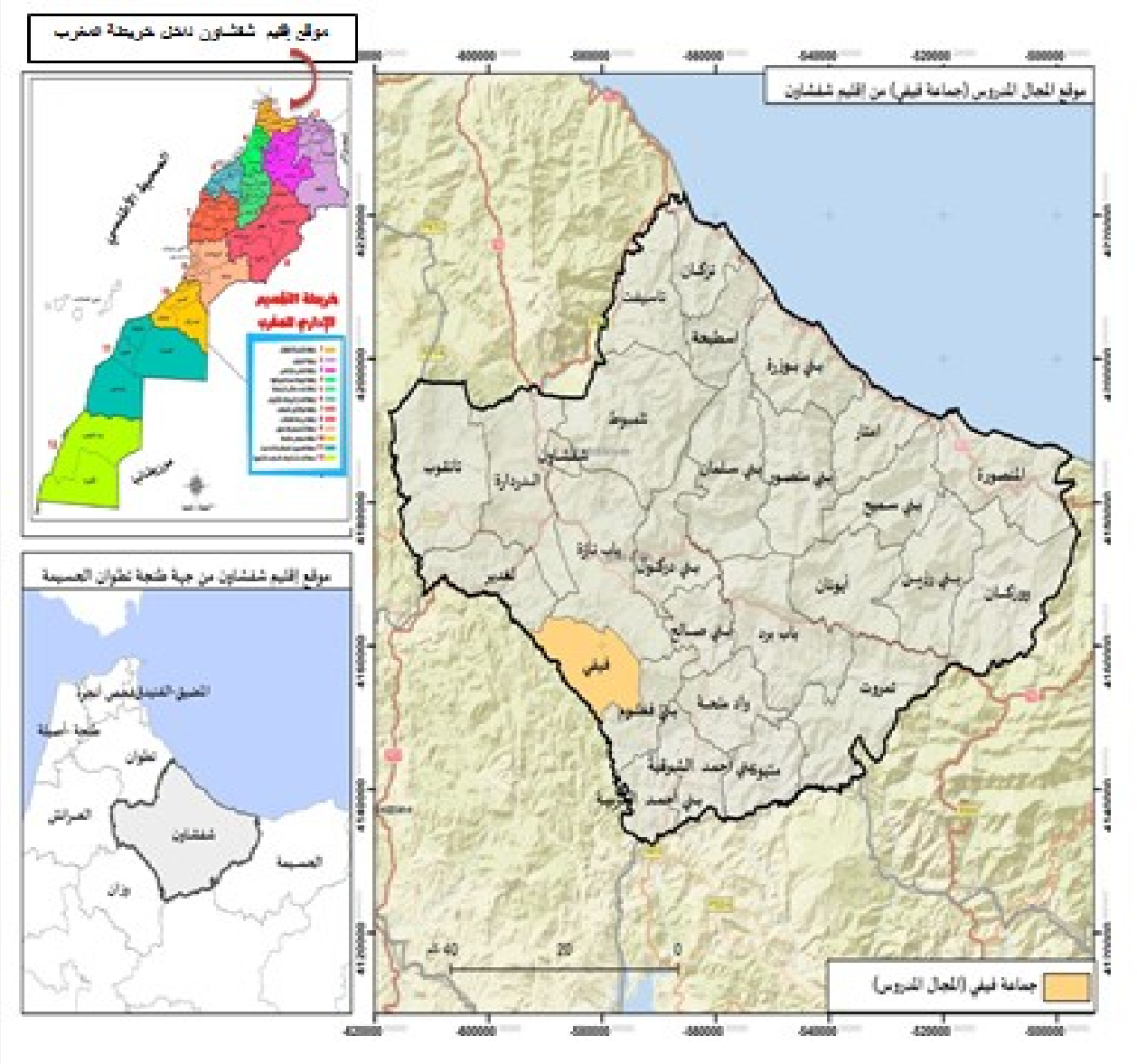

المصدر (خريطة المغرب التقسيم الإداري للمغرب+ عمل شخصي 2020)

إن الأسرة في الريف الغربي وتحديدا في مجتمع البحث "جماعة فيفي" كانت تعيش على الزراعات المعيشية ذات الدخل المحدود في ظل بنية اقتصادية هشة ، تمثلت أهم مظاهرها في فلاحة معيشية ضعيفة نظرا لضعف تأطير الفلاحين، إلى جانب هشاشة القطاع التجاري، كما أن هناك نقصا في الخدمات المرتبطة بالمسالك الطرقية التي تؤثر سلبا على ولوج المؤسسات التربوية والصحية خاصة في فصل الشتاء، أما بالنسبة لشبكة الماء الشروب ف 91% من الدواوير غير مرتبطة به إلى جانب نقص الموارد المائية في فصل الصيف ،كما أن الخدمات المرتبطة بالكهرباء ضعيفة

[1] وثيقة واقع حال جماعة فيفي.(2010). ص.8.

ومرتفعة التكلفة ولا تعرف الصيانة عند انقطاع التيار الكهربائي ،بالنسبة للتطهير فهو منعدم في الجماعة [1] . إلا أن دخول نبتة القنب الهندي إلى المنطقة في تسعينات القرن الماضي ، أدخل معه ازدواجية بين الزراعات المعيشية والزراعة التسويقية (زراعة القنب الهندي) التي غلبت على المجال، وهذا التحول في نمط الاقتصاد المنزلي خاصة أمام التحديث الزراعي ، كان يهدف إلى الانتقال بالمنتوج الفلاحي من مستوى الاكتفاء الذاتي إلى مستوى تداوله في السوق التجارية [2] ، وبالتالي فهذا الاقتصاد يعتبر دخيلا على نسق الواقع السوسيو-اقتصادي والثقافي للأسرة القروية في "جماعة فيفي " ، وهنا نتسائل كيف أثرت هذه الدينامية الزراعية في تحول الدخل لدى الأسر في جماعة فيفي ؟وماهي خصائصه ؟ والى أي حد تحولت الوضعية الاقتصادية الأسرية في جماعة فيفي؟

المحور الأول: ارتباط الدخل بزراعة القنب الهندي

تعتمد الأسرة القروية في جماعة فيفي في اقتصادها المعيشي على الأنشطة الزراعية، حيث تشكل المساحات المخصصة للزراعة 2768 هكتار من مجموع مساحة مجتمع البحث، ورغم غلبة الطابع الجبلي على تضاريس المنطقة بنسبة 65 % ،فإن الأرض والقطيع يعتبران ركيزتان أساسيتان لاقتصاد الأسرة القروية عامة[3]، وتظل الأرض أهم عامل من عوامل الإنتاج ،وملكيتها تحدد وضعية الأسرة داخل المجتمع القروي، إلى جانب أدوات الإنتاج وحيوانات الجر والماشية والرأسمال النقدي وقوة العمل[4]، فكانت الأسرة تهتم بذلك قبل ظهور الاهتمام بزراعة القنب الهندي ،و يتم الإنتاج تبعا لكل فصل ، حيث يتميز فصل الخريف ببداية الحرث والاهتمام بزرع البذور وتنقية الأرض من الأحجار، وجميع ما يعيق الإنبات وانتظار المطر نظرا لكون الزراعة بورية ،وفي فصل الشتاء يتم الاهتمام بأشجار الزيتون ،إلى جانب بعض القطاني وتبدأ هذه الزراعة في شهر يناير، وكذلك المغروسات خاصة أشجار الزيتون و الفواكه كالتفاح ، ويكون الرعي متوفرا في شهر أبريل وماي ويونيو أيضا، حيث تخضر مجالات الرعي إلى جانب الاهتمام بغرس الخضر قرب المسكن الأسري ، ولايزال الاهتمام بهذه الزراعات مستمرا إنما بشكل أقل، وكان النظام الزراعي يحافظ على خصوبة التربة، والحرص على دورة زراعية مريحة لها عبر تغيير المزروعات من أجل الحفاظ على خصوبة التربة ، وظل الدخل الزراعي ضعيفا ولا يغطي المصاريف السنوية للأسرة فكانت تلجأ الأسرة للماشية وتعتبرها كرأسمال ادخاري يتم الالتجاء إليه في حالات الاحتياج إلى جانب الاستهلاك الأسري في المناسبات الدينية والأسرية ، وبزراعة القنب الهندي تمكنت الأسرة من تلبية مجموعة من الاحتياجات الأسبوعية المختلفة، ومن خلال بحثنا وجدنا أن مهنة الزراعة تغلب على باقي المهن المزاولة داخل جماعة فيفي وهذا مايظهر جليا من خلال المبيان أسفله.

يبين المبيان أن المزارعين الصغار في جماعة فيفي يشكلون أعلى نسبة وهي 72,57% ،يليهم فئة لا تزاول أي مهنة ويشكلون نسبة 12,57 % ثم نجد فئة الحرفيين وتصل نسبتهم إلى 9,71 %، نظرا لظروفهم الصحية او لعامل

---

[1] تقرير المخطط الجماعي للتنمية لجماعة فيفي. (2012-2017).ص.49

[2] شكري، محمد سلام.(2015).علم الاجتماع بين النظرية والممارسة، المجتمع المغربي والتغير المركب، منشورا مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس،،ص.18

[3] عنبي ،عبد الرحيم. (2014).الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الانتاجية ... إلى الاستهلاك دراسة ميدانية لاتجاهات التغير الأسري بالوسط القروي بالمغرب. الناشر كلية الآداب والعلوم الانسانية-جامعة بن زهر-اكادير ،ص.103

[4] حمداش ،عمار.(2005).التحولات الاجتماعية بالبوادي المغربية مساهمة في السوسيولوجيا المحلية تطور العلاقة بين القبيلة والأرض عند بني احسن،رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس،2004-2005 ،ص.27

الشيخوخة ،ثم نجد المزارعين المتوسطين ويتقاربون في تواجدهم مع الموظفين بنسبة 1,71 %،ويحتل كل من التاجر الصغير والمتوسط والكبير نسبة أقل من 1 %، وتبقى نسبة ممتهني الزراعة هي التي تغلب على التوجه المهني لأرباب أسر العينة، والعامل الرئيسي في هذا الاهتمام هو أن جميع الأسر تتوفر على حيازات زراعية تسمح لها بالقيام بالعمل الزراعي من أجل تلبية الاحتياجات الأسرية الاستهلاكية والتسويقية أيضا، وهو دخل موسمي يحصلون عليه بعد بيع محصولهم من القنب الهندي،ومهن أخرى ذات دخل تكميلي ليس مرتبطا فقط بالعمل الزراعي . ومن ملاحظاتنا الميدانية المباشرة ،و مقابلاتنا مع عينة البحث في جماعة فيفي تبين أنها حيازات زراعية متفاوتة الحجم يتم فيها زراعة القنب الهندي ، إلا أن معظم المشاركين في البحث يرفضون القول أنهم مزارعي القنب الهندي خوفا من المتابعة القضائية.

الشكل المبياني رقم (01) يبين التوجه المهني لأرباب الأسر في مجتمع البحث

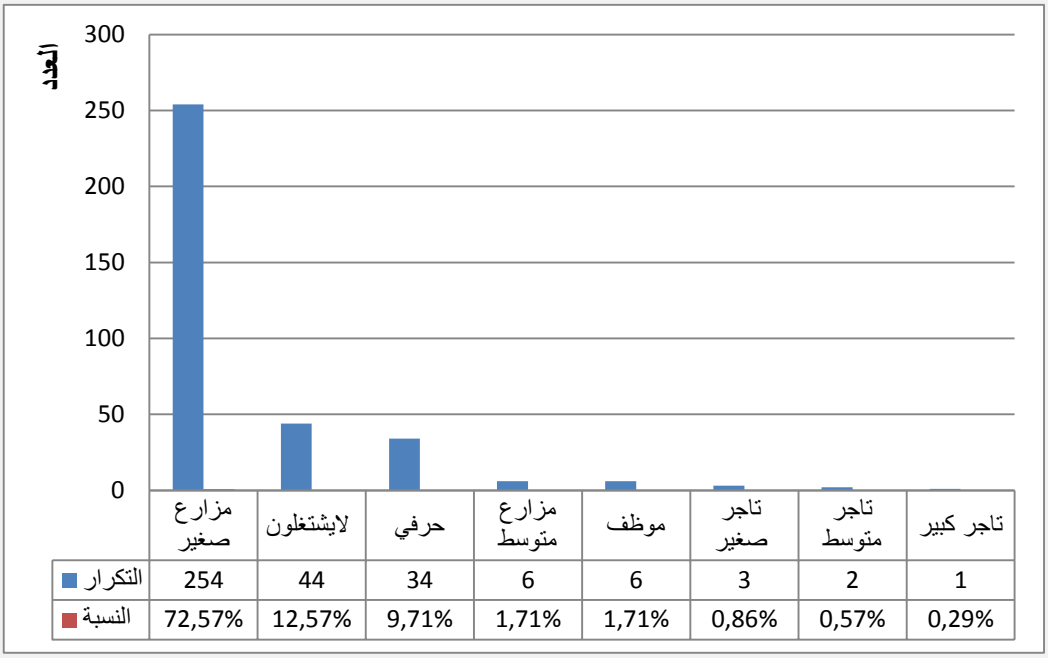

	مزارع صغير	لايشتغلون	حرفي	مزارع متوسط	موظف	تاجر صغير	تاجر متوسط	تاجر كبير
التكرار	254	44	34	6	6	3	2	1
النسبة	72,57%	12,57%	9,71%	1,71%	1,71%	0,86%	0,57%	0,29%

المصدر(البحث الميداني 2017)

المحور الثاني: تفاوت الدخل الأسري الزراعي لأرباب الأسر

إن متوسط الدخل السنوي من الحيازات الزراعية الصغيرة لرب الأسرة يقدرب 14400 درهم و يمثل المتوسط الأضعف عند أرباب الأسر في مجتمع البحث ،ثم يليه متوسط الدخل السنوي من الحيازات الزراعية المتوسطة الذي يصل إلى 28000 درهم ثم نجد متوسط الدخل السنوي من الحيازات الزراعية الكبيرة يصل إلى 48000 درهم في السنة ، و كما نلاحظ فكلما كبرت المساحات الزراعية المرتبطة بزراعة القنب الهندي كلما ارتفع الدخل السنوي لأرباب الأسر .و يبقى ضروريا أن نشير إلى أن معدلات الدخل السنوي لأرباب الأسر والمرتبطة بزراعة القنب الهندي يصعب تحديدها بدقة وبالتالي تبقى نسبية نظرا لما يتميز به الجانب السيكولوجي للمزارعين بالتكتم والصمت وعدم

الرغبة في التصريح بالحقائق خاصة المرتبطة بالدخل ، فهو سلوك يهيمن على ثقافتهم أمام أي "دخيل " في أي بحث كيفما كان نوعه [1].

إن أرباب الأسر الذين يمتلكون حيازات زراعية صغيرة يحصلون منها على دخل سنوي يضم نفقات الإنتاج وباقي احتياجات الأسرة اليومية ،يقول محمد 45 سنة " **نبذل مجهودا كبيرا و متعبا في زراعة القنب الهندي ولكن الأرض متعبة لذلك لا تعطينا منتوجا جيدا منه،فنجد أنفسنا لا نملك شيئا ونعيش بصعوبة**"، فهؤلاء المزارعين الصغار يعيشون في وضعية الديون طوال السنة[2] ،إلى جانب استمرار انخفاض سعر القنب الهندي طوال 40 سنة بعدما كان مرتفعا في الثمانينات بجماعة فيفي [3] ، و أصبح تركيز معظم الأسر في مجتمع البحث على تدريس أبنائهم،كما يضيف "**نحن نعيش في ظروف سيئة،في ظل وصمة الغنى المرتبط بزراعة القنب الهندي، لذلك نحاول تدريس أبنائنا في مناطق بعيدة عن هنا** "، فهو صاحب حيازة زراعية صغيرة و يتخوف من الدخل السنوي الذي يتراجع كل سنة ، وبالتالي هو يرى أن تعليم الأبناء من أجل أن تكون لهم وجهة أخرى مغايرة للاهتمام بالأرض وبالقنب الهندي،و أفضل بكثير مما سوف يكون عليهم نفس مصيرهم في وضعية اقتصادية هشة. ولا يختلف أرباب الأسر الذين يملكون الحيازات الزراعية المتوسطة ، حيث لا يمكن أن نعتبر دخلهم الذي يقدر ب 28000 درهم كبيرا لأن نفقات الإنتاج هي التي تحدد السعر[4]، إلى جانب ما تعرفه المنطقة من ارتفاع في أسعار الاحتياجات الأسرية الضرورية.

المحور الثالث: ارتباط الدخل الأسري باستراتيجيات بيع و ترويج القنب الهندي

تعتبر مرحلة البيع التي يقوم بها رب الأسرة أو أحد أفرادها والتي تبدأ في العادة من شهر دجنبر ،هي عملية مهمة بعد القيام بعدة مراحل في زراعة القنب الهندي و إنتاجه، فيكون حريصا على جودته التي يرتفع معها ثمن المنتوج إلى جانب الحصول على رضى وثقة التاجر أو البزناس، والمحافظة على السمعة التي ستساعد في البيع بعد كل موسم زراعي، وحتى المنطقة تكتسب سمعتها على مستوى جودة المنتوج. فمثلا نجد قبيلة غزاوة والاخماس وبني أحمد وباب برد وكتامة، لديهم جودة في منتوج البلدية وهم مشهورين بها محليا ودوليا، حيث تستورد السوق الفرنسية القنب الهندي من منطقة الريف منذ بداية الستينات [5]. وكلما كانت الحيازة الزراعية المرتبطة بزراعة القنب الهندي كبيرة كلما كان المنتوج ذا قيمة مالية و تسمح للمزارع بألا يكتفي فقط بالبيع بل بالترويج أيضا فيكون منتجا وفي نفس الوقت ينتمي لفئة البزناسة الذين نجد نوعين منهم، نوع خاص يقتني الكيف الخام وهناك آخر يقتنيه مصنعا ،وأصبح للبزناسة هيمنة على دورة الإنتاج، ويمكن أن يكونوا كما ذكرنا سلفا من أبناء المنطقة الذين يعرفون كيف يهتمون بالأرض،

---

[1] شكري، محمد سلام. (2015). علم الاجتماع بين النظرية والممارسة، المجتمع المغربي والتغير المركب، منشورا مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس،، ص.51

[2] Torregrosa ,Pasqual Moreno.(1997) . Estudiodelcultivo de cannabis sativa en el Rif Marroqui :sus consecuencias socioeconomicas para la region ;tesis in universidad politecnica de Vlencia, ;p.192

[3] David ,Laura . (2017). SIT Graduate Institute/SIT Study Abroad SIT Digital Collections;Independent Study Project (ISP) Collection SIT Study Abroad ; Spring 2017 Getting Down to Cannabusiness: How to Proceed with Morocco's Cannabis Industry & the Resulting Economic and Social Impacts, at:https://digitalcollections.sit.edu/isp_collection 18,p 18

[4] ماركس ،كارل. (1891).العمل المأجور والرأسمال ، دار التقدم، ط.1 ،،ص.27.

[5] MASSON,Caroline, Michel GANDILHON. *(2018)*.Culture du cannabis en France : de l'artisanat à la production industrielle, I SÉCURITÉ ET SOCIÉTÉ, *Cahiers de la sécurité et de la Justice n°43,p.206*

بشكل جيد فيقومون بجميع مراحل الإنتاج والتسويق الذي يهدف بدوره إلى إقامة علاقات دائمة بين الأطراف [1]، و ساهم ظهور البزناسة BSNASSA أو التجار الكبار في ازدهار اقتصاد القنب الهندي، فاستفاد المزارعون الصغار على مستوى ترويج منتوجهم من طرف هؤلاء البزناسة الذين اكتسبوا سمعة محلية ودولية تمكنهم من اجتياز الأزمات والتي يتمثل بعضها في انخفاض الأسعار ومحاربة المخدرات من طرف السلطات الأمنية [2] وبالجرأة في التهريب ولديهم شهرة في ذلك ، و هم يحتكرون السوق فهم لديهم القدرة على التغلب على عقبات النقل إلى أروبا داخل شاحنات أو قوارب إما ترفيهية ويعتمدون على شبكة اجتماعية كبيرة لحماية الشحنات من الضياع ،خاصة إذا اجتمع المال مع السلطة[3]، وعبر عدة ممارسات غير قانونية كتقديم الرشاوي خاصة عند تسويق الحشيش [4]، بالإضافة إلى استخدام الحقائب والأمتعة والعلب المصدرة واستخدام النساء الجميلات فهن أقدر على لفت اهتمام الرجال، كما أنهم ينظمون عملياتهم بدقة رجال الأعمال فعملية التوزيع والشحن تخضع لقواعد دقيقة منظمة سلفا وتخضع لقانون العرض والطلب [5].

يتم تزويد التاجر أو البزناس أو الوسيط بالمعلومات الخاصة بالمنتوج وبعد الاتفاق على الثمن يتم تسليم النقود كاملة بعد فحصها، وغالبا مايحضر البزناس مع مرافق أو أكثر ،وإن كان أجنبيا يحضر معه مرافقين لديهم معرفة باللغات الأجنبية وبمسالك المنطقة ، وقادرين على حماية أنفسهم وبضاعتهم في حالات الاعتقال أو السرقة ، وبعد تسليم النقود لرب الأسرة، يتم تزويد البزناس "الزبون" إما بالقنب الهندي خاما ، أو بقطع الشكولاطة وهي قطع حشيش ذات لون بني داكن ومضغوطة شبيهة بقطع الشكولاطة ، ويمكن للزبون بعد شرائه المنتوج خاما أن يحوله إلى زيت ولكن الذين يقومون بهذه العملية هم مزارعون أغنياء إما مغاربة أو أجانب خاصة في منطقة الريف وباب برد لأنها مرحلة مكلفة ماديا وتقنيا ، فهي تحتاج إلى 16 كيلوغراما من الحشيش تذوب في 20 لتر من الكحول (الايثانول) في فترة تتجاوز 24 ساعة في غرفة مظلمة ،ثم يتم ترشيح السائل الذي ينتج ثم يطبخ على نار ضعيفة إلى أن يتبخر الكحول، ثم تخزن الكتلة اللزجة في قنينات زجاجية ،ويعتبر هذا الزيت ذو مفعول أقوى من الحشيش بدرجات ويعتبر عقارا في فرنسا وتعرض منذ الثمانينات إلى ممارسات الغش ففقد مصداقيته [6].

كان البيع محليا فقط لضعف الاتصالات ووسائل النقل ، وكانت الحيازات المهتمة بزراعة القنب الهندي قليلة كما كانت أثمنته مرتفعة حيث كانت "البلدية" تباع بثمن يقدر ب 10000 للكيلوغرام ليصل في سنة 2002 إلى 3000 درهم ، ويمكن أن يصل إلى 4000 درهم إن كانت في قمة الجودة ، وتحول الآن بشكل أسهل عبر وسائل النقل والاتصال وبوجود وسطاء ذوي خبرة في التهريب إلى نقل المنتوج إلى مناطق أخرى ليعاد بيعها من طرف الوسطاء . كما

---

[1] BELMOUS,KHADIJA S.(2017).L'économie sociale et solidaire au Maroc : les enjeux marketing.,phttps://revues.imist.ma/public/journals/109/pageHeaderTitleImage_fr_CA.png,p.2et3et4et

[2]Afsah, Kenza i et khalidmouna Afsahi. (2014).Cannabis dans le rif central(Maroc) ,espacestemps .net .,Ibid ,p 14

[3] Torregrosa ,Pasqual Moreno , Ibid ;p180

[4] Torregrosa ,Pasqual Moreno, Ibid ;p197

[5]المساوري ،سيدي احمد،)(2008.(سباب تعاطي المخدرات وأسبابها،الط الاولى.2008، ص. 281- 274

[6]Torregrosa, Pasqual Moreno, Ibid ;p.169

ازدادت الحيازات التي يزرع فيها القنب الهندي فأصبح بعض مزارعي الكيف يحاولون امتلاك الأرض ولو بالترامي على أراضي خاصة أوجماعية أو تمتلكها الدولة [1].

إن عملية ترويج القنب الهندي تكون محفوفة بمخاطر كثيرة ، و تشكل قلقا لدى أرباب الأسر في كافة مناطق زراعة القنب الهندي فهم يخضعون للثمن ونوع الطلب الذي تفرضه السوق المحلية والدولية ،كما أنهم يتأثرون بها سواء في حالة استقرارها أو اضطرابها، خاصة إذا تأخر أو غاب تجار المخدرات سواء الأجانب أو المغاربة .فيؤدي ذلك إلى انخفاض في ثمن القنب الهندي أمام قلة المشترين .ويتم البيع بثمن لا يغطي ذلك المجهود المادي والبدني الذي يبذل في كل مراحله ،و هناك من يتريث في عملية البيع ريثما تتحسن وضعية سوق المخدرات، ويتأثرون في حالة ملاحقة البزناسة من طرف الانتربول خاصة مع ما يشهده العالم من تحولات سياسية واقتصادية أفرزت قضايا منها الإرهاب والتطرف، فأثر ذلك على شبكات تهريب المخدرات التي تعتبر تجارة الحشيش جزءا منها [2].

إن علاقات الإنتاج والبيع بين المزارعين أنفسهم أو بين المزارعين والبزناسة ، لا يحكمها إطار قانوني وإنما تحكمها الثقة البرغماتية [3] ،الموسومة بالحذر والانتباه، من حالات النصب والاحتيال والسرقة ، ويمكن أن يكون هناك خرق لهذه الثقة حيث يتماطل البزناس في دفع ثمن المنتوج من القنب الهندي لرب الأسرة أو يستولي عليه ، إلا أنه غالبا ما يتم تسليم الحشيش بوجود الأبناء تجنبا لهرب التاجر أو الوسيط قبل أداءه للثمن المتفق عليه. وحتى لو حدث هذا فإن رب الأسرة لا يمكنه تقديم شكاية ، ففي حالات عدم الاتفاق يكون العنف هو آلية لتنظيم سوق التهريب وحل النزاعات [4] .كما أن الوضعية غير القانونية لزراعة القنب الهندي، وقرب الحيازات الزراعية من الطرق الرئيسية تفرض على الأسرة وضعية تتسم بالخوف والقلق المستمر ، خاصة من الشكايات الكيدية التي تتسبب في المتابعة القضائية وإتلاف المحصول من القنب الهندي، أو ممارسات انتقامية مثل سرقة المحصول من الحقول أو من المسكن الأسري ، فتعيش الأسرة في ظروف الخوف الدائم منذ بداية الدورة الزراعية إلى حدود بيع المنتوج، ورغم الدخل الذي تدره هذه الزراعة على الأسرة إلا أنها كما يقول لازاريف نقلت المجتمع القروي من حالات الأمن إلى حالات اللاأمن فالعزلة التي كانوا يعيشون داخلها كانت تحميهم من القلق الاجتماعي .إلى جانب ذلك هناك إكراهات مرتبطة بضعف الموارد الطبيعية خاصة المائية ، وصغر الحيازات الزراعية التي تؤثر سلبا على الدخل الأسري، وارتفاع أسعار الاحتياجات الزراعية خاصة البذور الجيدة للقنب الهندي التي تتحكم في نوع وجودة المنتوج ، كما يوجد إكراه المنافسة ، ورغم وجود زراعة القنب الهندي في مناطق أخرى وانخفاض جودة الحشيش و سعره بسبب كثرة الانتاج فهم يدافعون عنها

---

[1] بودواح ، محمد. (2002). *دور زراعة الكيف في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية وافاق التنمية في جبال الريف، نماذج من الريف الاوسط* ،بحث لنيل شهادة الدكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط،،ص.154

[2] لمساوري ،سيدي احمد،المرجع السابق، ص. 367

[3] PERALDI, Michel .(2007). Economies criminelles et mondes d'affaire à Tanger, http://journals.openedition.org/conflits/5973, ,p.40

[4] Torregrosa ,Pasqual Moreno, Ibid ,p.184

لأنهم لم يجدوا بديلا عنها لتتحول إلى جزء من هويتهم [1] ، فتأقلم المزارعون مع فرص السوق المتغيرة ومع محاولات القضاء على مصدر دخلهم الوحيد [2].

من خلال ما تم طرحه نجد أن اقتصاد الأسرة انتقل من الاقتصاد المغلق إلى الاقتصاد المفتوح، أو اقتصاد الظل [3] ، فأصبح القنب الهندي سلعة إنتاجية تشبع احتياجات الأسرة بشكل غير مباشر حيث يوفر بيعها الحصول على النقود التي يمكن بها تلبية احتياجات الأسرة الضرورية ، هذه النقود التي تشكل أهمية اقتصادية كبيرة في كل المجتمعات، فهي المحرك الاقتصادي الرئيسي للفرد والأسرة .فانفتحت الأسرة في الانفاق على مواد استهلاكية لا تساهم في إنتاجها كما كانت الأسرة التقليدية من قبل، وأصبح إنتاج زراعة القنب الهندي إنتاجا سلعيا الغرض منه التبادل، وليس الاستهلاك الذاتي وساهمت مناطق زراعة القنب الهندي في هذا التحول حيث تحول الاقتصاد الأسري في جماعة فيفي من اقتصاد معيشي إلى اقتصاد نقدي تبادلي، فتجارة "الحشيش" تجارة لن تبور لوجود مستهلك دائم الطلب وعلى استعداد لدفع الثمن حتى قبل قبض البضاعة، خاصة فئة مدخني الحشيش داخل السوق الوطنية[4]، ومادام الطلب مستمرا فسيستمر الانتاج، وكلما ازدادت العراقيل وصعوبات الترويج ارتفع معها ثمن الكيف[5] ، لأنه يساهم بشكل كبير في الدينامية الاقتصادية في مجتمعات القنب الهندي ، والرفع من مستوى معيشة الأسر. وبالتالي يصعب القضاء على هذه الزراعة نظرا للعدد الكبير للعاملين فيها والذي يقدر ب 760000 مغربي يعتمدون على الدخل المرتبط به[6]، رغم أن الأسر في القرى التابعة لإقليم شفشاون يرغبون ببدائل مثل إنشاء المصانع، وخلق مناصب شغل أو على الأقل نظام للرعاية الاجتماعية للفئات الهشة، فبدون بدائل سوسيواقتصادية تنموية يصعب أن تتوقف هذه الزراعة[7]. ورغم ارتباط الدخل بعائدات زراعة القنب الهندي وجدنا أن الوضعية السوسيواقتصادية ضعيفة في جماعة فيفي، رغم ما يبذله أرباب الأسر من مجهودات في زراعة القنب الهندي ، فالدخل السنوي يمكن اعتباره غير كاف لتغطية احتياجات الأسرة، لما تعرفه من إكراهات صغر الحيازات الزراعية إلى جانب ضعف الموارد المائية وهي اكراهات تنقص حدتها في مناطق أخرى لزراعة القنب الهندي ككتامة مثلا أو باب برد أو الاخماس أو بني أحمد إلى جانب إكراهات أخرى يبينها الجدول التالي:

[1]Afsahi, Kenza, et Khalid ,mouna ,Ibid ,p12

[2]Blickman ,Tom.(2017). Morocco and Cannabis reduction,containment or acceptance,Drug policy briefing,49,March,transnationalinstitute,p 11

[3]المساوري ،سيدي احمد، ،(2008)، أسباب تعاطي المخدرات ونتائجها، الطبعة الاولى ،، ص.274 -278

[4]المساوري ،سيدي احمد،المرجع السابق ، ص.278

[5]Torregrosa, Pasqual, Moreno, Ibid ,p.225

[6] David, Laura ,Ibid p/ 20

[7] David ,Laura ,Ibid p/ 21

جدول يبين الإكراهات الاقتصادية لأرباب الأسر

	عدم تواجد دخل قار	غلاء المعيشة	ارتفاع عدد أفراد الأسرة	عدم وجود مساعدات قرابية	غير معني	المجموع
الاختيار(1)	343	0	0	0	7	350
	%98	%0	%0	%0	%2	%100
الاختيار(2)	0	315	23	5	7	350
	%0	%90	%7	%1	%2	%100

المصدر: البحث الميداني 2017

يبين الجدول أعلاه أن أرباب الأسر يجدون أن الدخل الأسري لا يكفي لسد الاحتياجات الأسرية، ويرون في الاختيار الأول أن العامل الرئيسي في ذلك هو عدم تواجد دخل قار حيث كان التركيز عليه بنسبة 98%، إلى جانب الغلاء المعيشي الذي تعرفة المنطقة بنسبة 90% في الاختيار الثاني، مما يؤثر ذلك على الوضعية الاقتصادية الأسرية التي يمكن أن توصف بالهشاشة.

خاتمة

إن تحول الأسرة القروية في جماعة فيفي من اقتصاد الزراعات المعيشية إلى اقتصاد زراعة القنب الهندي الدي كان نمطا زراعيا تكميليا ليصبح أحاديا ، مما جعل الأسر تمتهن زراعة القنب الهندي مثل مناطق أخرى كانت سباقة كمنطقة كتامة وباب برد والجبهة وبني أحمد ،وهذه الزراعة التي تم تطويرها بزراعة أنواع أخرى أكثر مردودية وذات قيمة في سوق المخدرات ،يتزايد الطلب عليها في السوق الوطنية والدولية ، فكان من الضروري تطوير الانتاج من أجل الحصول على إنتاج ودخل جيدين ،وبالتالي ازداد الاهتمام بالحيازات الزراعية ، كما تم الانتقال من بذور وأسمدة الزراعات المعيشية إلى أخرى خاصة بزراعة القنب الهندي، فتحول المزارع في علاقاته الحميمة مع الأرض إلى مزارع مصنع للكيف و أصبح يخضع لمنطق العرض والطلب، كما تم إهمال الزراعات المعيشية وتقليص مجالات الرعي وإهمال الأشجار المثمرة، إلاأن زراعة الكيف الأحادية والمتكررة أدت إلى انخفاض في المردود، لأن القدرة الانتاجية للتربة تتضاءل بعد كل محصول، وهذا الاستغلال المفرط للتربة في مناطق زراعة القنب الهندي نتيجة لتعامل الانسان الغير المعقلن مع مورد مهم وهو التربة من خلال استنزاف مكوناتها ومن أهم العوامل هناك المبيدات والأسمدة التي تناسب هذا النوع من الزراعة .كما تضرر مجال الرعي نظرا لاكتساح هذه الزراعة معظم أراضي الجماعة. ويتم إحراق أجزاء مهمة من الغابات للترامي على أراضي الغير التي ساهمت كثيرا في نشوب خلافات طويلة الامد تجاوزت ادجماعة إلى المحاكم الابتدائية والاستئنافية ، بالإضافة إلى إرهاق المجال الغابوي الذي تعرض للاجتثاث .و تم الاهتمام بالسقي خاصة وأن المنطقة تعرف تساقطات غير منتظمة ، حيث قامت بعض الأسر باحتكار الموارد المائية مما أثر ذلك سلبا على العلاقات الجوارية ، حيث أدى إلى صراعات حادة بين الأسر من أجل احتكار سقي حيازاتها الزراعية ،وهي من أهم العوامل التي تدعو البعض إلى تقديم شكايات كيدية من باب الانتقام وهذا ما سيساهم زمنيا في تناقص مجموعة من القيم خصوصا التضامن والتعاون بين الأسر خاصة فيما يخص الانتاج وإكراهاته، وتم تطوير أدوات الانتاج فأثر على

الدخل الأسري الذي تميز بارتباطه بالعمل الزراعي، وبالموسمية كما أنه متفاوت نظرا لتفاوت الحيازات الزراعية التي يملكها أرباب الأسر في مجتمع العينة، أضف إلى ذلك ارتباطه ارتباطا وثيقا بممارسات البيع والترويج التي تحفها مخاطر عدة أهمها المتابعة القضائية وإتلاف المنتوج .وهذا التوجه الاقتصادي كان الهدف منه هو تحسين الوضع السوسيواقتصادي، والتقليل من الوضعية الهشة التي يعيشها معظم الأسر ، ويظل تطور الدخل مساهما في تحولات متوالية مست الثقافة الاستهلاكية والقيمية الأسرية في مناطق زراعة القنب الهندي بشمال المغرب.

قائمة المراجع

- المساوري ،سيدي احمد،(2008) ،أسباب تعاطي المخدرات وأسبابها،الطبعة الاولى.
- ماركس ،كارل، (1891)، العمل المأجور والرأسمال ، دار التقدم، الطبعة الاولى
- شكري، محمد سلام، (2015)، علم الاجتماع بين النظرية والممارسة، المجتمع المغربي والتغير المركب، منشورا مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.
- عنبي عبد الرحيم، عنبي، (2014)، الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الانتاجية ... إلى الاستهلاك دراسة ميدانية لاتجاهات التغير الأسري بالوسط القروي بالمغرب. الناشر كلية الآداب والعلوم الانسانية-جامعة بن زهر-اكادير .
- بودواح ، محمد، (2002)/دور زراعة الكيف في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية وافاق التنمية في جبال الريف، نماذج من الريف الاوسط ،بحث لنيل شهادة الدكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط
- حمداش ،عمار، (2005)التحولات الاجتماعية بالبوادي المغربية مساهمة في السوسيولوجيا المحلية تطور العلاقة بين القبيلة والأرض عند بني احسن،رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس،ص.27
- وثيقة واقع حال جماعة فيفي، (2010)، الصفحة 8
- تقرير المخطط الجماعي للتنمية لجماعة فيفي(2012-2017)،ص.49
- Afsah, Kenza i et khalidmouna Afsahi.(2014). Cannabis dans le rif central(Maroc), ,espacestemps .net
- BELMOUS,KHADIJA .(2017). L'économie sociale et solidaire au Maroc : les enjeux marketing.,phttps://revues.imist.ma/public/journals/109/pageHeaderTitleImage_fr_CA.png,
- Blickman ,Tom.(2017). Morocco and Cannabis reduction,containment or acceptance,Drug policy briefing,49, ,transnationalinstitute
- David ,Laura .(2017). SIT Graduate Institute/SIT Study Abroad SIT Digital Collections; Independent Study Project (ISP) Collection SIT Study Abroad ; Spring 2017 Getting Down to Cannabusiness: How to Proceed with Morocco's Cannabis Industry & the Resulting Economic and Social Impacts, at:https://digitalcollections.sit.edu/isp_collection 18,
- Masson ,Caroline, Michel GANDILHON.(*2018*). Culture du cannabis en France : de l'artisanat à la production industrielle, I SÉCURITÉ ET SOCIÉTÉ, *Cahiers de la sécurité et de la Justice n°43,*
- PERALDI, Michel.(2007). Economies criminelles et mondes d'affaire à Tanger, http://journals.openedition.org/conflits/5973,.40
- Torregrosa ,Pasqual Moreno.(1997). Estudiodelcultivo de cannabis sativa en el Rif Marroqui :sus consecuencias socioeconomicas para la region ;tesis in universidad politecnica de Vlencia

المغرب في الاستيراتيجية الاقتصادية الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية

Morocco in French economic strategy during World War II

حبيبة التركاوي

دكتورة باحثة في التاريخ المعاصر، المغرب، targaoui1990@gmail.com

حسن ادجوز

إطار بالمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المغرب، hassan.adjouz@usmba.ac.ma

ملخص:

ترتكز هذه الدراسة العلمية على الاستراتيجية التي اعتمدتها سلطات الحماية الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية لأجل جعل المغرب في خدمة الدفاع الوطني الفرنسي، وتسخير كل طاقاته البشرية والاقتصادية، في إطار ما يسمى بنظام اقتصاد الحرب.

وتروم كذلك تسليط الضوء على القرارات التي اتخذها الإقامة العامة منذ بداية الحرب بهدف تحديد الدور الذي ينبغي أن يقوم به المغرب خلال الحرب، وإضفاء الصبغة القانونية على عمل الحماية الفرنسية بالمغرب، بغية إقناع المغاربة بمشروعية عملها من جهة، وتأمين تصدير المواد الغذائية والصناعية من جهة أخرى.

وتعرج الدراسة أيضا على تتبع انعكاسات السياسة المعتمدة من طرف سلطات الحماية الفرنسية بالمغرب خلال فترة الحرب العالمية الثانية على المجالات الاقتصادية والاجتماعية، وتبيان مدى تأثير ذلك على المغاربة.

الكلمات المفاتيح: الحماية الفرنسية على المغرب، الحرب العالمية الثانية، المجهود الحربي، الاقتصاد الموجه، نظام اقتصاد الحرب

Abstract:

This scientific study is based on the strategy adopted by the French protection authorities during World War II to bring Morocco into the service of French national defence and to harness all its human and economic energies,within the framework of the so-called war economy system.

It also aims to highlight the decisions taken by public residence since the beginning of the war with the aim of determining the role morocco should play during the war and legalizing the work of French protection in Morocco, in order to convince Moroccans of the legitimacy of its work on the one hand, and to ensure the export of food and industrial items on the other.

The study also reflects on the economic and social implications of the policy adopted by the French protection authorities in Morocco during World War II, and shows the extent to which this affects Moroccans

Key words : The French Protectorate of Morocco; World War II; War effort; Managed economy; War economy system

مقدمة:

ارتبط مصطلح **"اقتصاد الحرب"** بمفهومين مندمجين: الأول هو البعد الاقتصادي الذي تقوم عليه قيادة الحرب، وهي بدورها تتطلب العنصر المادي وذلك بواسطة تعبئة المواد الضرورية، والثاني وهو البعد الفكري الذي يتطلب أساليب التفكير التي تفرض حسن توجيهها.

ويمكن كذلك أن نطبق على هذا المصطلح كل التحولات الطوعية وغير الطوعية التي لحقت بالبلد أثناء الحرب، ولعل من أبرز مظاهر هذه الظاهرة: النفقات العسكرية التي تكون غالبا باهظة الثمن، وتدخل ضمن النظام الاقتصادي والمالي للدول المتحاربة.

لم تطرح هذه الإشكالية حديثا، ولكن مع ظهور الحروب الكبرى: الحرب العالمية الأولى والثانية والحرب الباردة. فالأولى شهدت تعبئة اقتصادية شاملة لكل المستعمرات التي كانت الملجأ الوحيد الذي لا غنى عنه بالنسبة للدول المتحاربة، وخاصة فرنسا التي كلفت المقيم العام ليوطي بتسخير جميع المؤهلات البشرية، الطبيعية والاقتصادية.

ولتسهيل مأمورية سلطات الحماية الفرنسية لأجل جعل المغرب خزانا لتموين الدفاع الفرنسي بكل حاجياته البشرية والطبيعية، أصدرت الحكومة الفرنسية العديد من القوانين والقرارات الملزمة والمحددة لكيفية تحويل الثروات المغربية نحو فرنسا.

إذا كان المغرب في بداية عهد الحماية الفرنسية قد أخضع عنوة في نظام اقتصاد الحرب العالمية الأولى لأجل ضمان السيطرة الفرنسية عليه من جهة، وتوجيه موارده لخدمة الحرب الفرنسية وحلفائها ضد ألمانيا من جهة أخرى. فماذا يمكن القول عنه خلال بداية أربعينيات القرن العشرين عندما اشتعلت الحرب من جديد بين القوى الكبرى المتحكمة في العالم آنذاك؟

المحور الأول: الاقتصاد المغربي في خدمة المجهود الحربي

لقد جندت سلطات الحماية أثناء الحرب العالمية الثانية كل طاقات المغرب البشرية والاقتصادية لصالح فرنسا، وحولت اقتصاده لتلبية حاجيات الميتروبول، وطبقا للتوجيهات العليا الصادرة عن الخارجية الفرنسية، فقد تم إعداد المغرب من أجل دخول الحرب، وتنظيم الاقتصاد عن طريق مجموعة من النصوص والظهائر والقرارات، لتأسيس مجموعة من المؤسسات، وتوجيه الإنتاج والتجارة نحو فرنسا. وكانت المواد الفلاحية على رأس المنتوجات التي حظيت باهتمام كبير.

1- تسخير الفلاحة المغربية لخدمة الدفاع الوطني الفرنسي

قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية وبالضبط في 2 يوليوز 1938، طالبت وزارة الدفاع الفرنسية من الإقامة العامة بالمغرب بانجاز تقرير مفصل عن منتوجات المغرب الفلاحية ودراسة إمكانية تحويلها نحو فرنسا في حالة تعذر الحصول عليها زمن الحرب[1]. وبناءا عليه، أصدرت الإقامة العامة في 27 يونيو1940 مجموعة من الظهائر والقرارات بغية تأمين المواد الغذائية الأساسية ومنع تصديرها، وتنظيم بيع الخبز ومراقبة سوق الحبوب. كما أمرت بإغلاق بعض

[1]- تافسكا(أحمد)، **الفلاحة الكولونيا لية بالمغرب 1912- 1956**، دار بن خلدون، بيروت الطبعة الأولى، 1998، ص. 44- 45.

المطاعم والفنادق المخابز، ومنعت صنع الحلويات والمرطبات، وبيع المشروبات في المقاهي والأماكن العمومية، وأخضعت المواد الغذائية للتقنين أو المصادرة ومنها على الخصوص: الحليب، البن، الشاي، السكر، البيض وبعض الخضروات[1].

ونظرا للدور الحيوي الذي لعبته الحبوب في تأمين حاجيات الميتربول من المواد الغذائية، فقد أمرت سلطات الحماية كل المعنيين بزراعة الحبوب من غرف فلاحية وفلاحين وغيرهم ممن لهم علاقة بخدمة الأرض، بمضاعفة الجهود لأجل الوصول إلى ما يكفي لسد الخصاص الذي قد تفرضه ظروف الحرب. وقد أسهم ذلك في رفع الإنتاج، حيث بلغ في مكناس لوحدها سنة 1942 إلى 103.000 قنطار وهو ما سرع عملية تزويد فرنسا بالحبوب[2].

ودعا نوجيس في خطاب له، إلى ضرورة استغلال خيرات المغرب والعمل على رفع الإنتاج وتموين فرنسا بكل حاجياتها من المواد الأساسية. ولتحقيق تلك الغاية، سطرت الإقامة العامة برنامجا فلاحيا يتماشى واحتياجات الصناعة الفرنسية، فكانت النباتات الزيتية والقطن أهم المزروعات خلال فترة الحرب[3].

وبتوجيه من سلطات الإقامة العامة الفرنسية، ساهم المغرب إلى جانب كل من الجزائر وتونس في تموين الميتروبول، حيث بلغ حجم المساهمة في الفترة الممتدة ما بين أكتوبر 1940 وأكتوبر 1941 حوالي 2.713.571 طن من الشعير والقمح والذرة، وهي كمية تعادل تقريبا نصف الإنتاج المغربي الذي بلغ خلال نفس الموسم الفلاحي حوالي5.308.517، بالإضافة إلى الفواكه والخضر والبواكر الذي كان يصدرها بكميات مهمة[4].

الجدول رقم1: المساهمة الفلاحية للمغرب خلال الحرب العالمية الثانية

الغلة	المساهمة	الانتاج الكلي	نسبة المساهمة
البواكر	354.000	1.573.540	22,50%
البطاطس	19.800	079.266	7,44%
الخضر الجافة	384.740	582.901	66%
الحوامض	150.000	927.720	16,16%
الصوف	20.000	48.839	41%
اللحم المجمد	21.518	297.14	72,40%
رؤوس الأغنام	88.110	300.296	29.34%

Source : Touzé, Levisse, « La contribution du Maroc pendant la seconde guerre mondiale », **Revue Maroc-Europe**, la porte ,1994, P. 214.l'armée marocaine à travers l'histoire hier, aujourd'hui, demain, Ed

وبالإمعان في لائحة المواد المصدرة نحو فرنسا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، يظهر أن التموين لم يقتصر على الخضروات والحبوب فقط، بل امتد ليشمل المواشي وكل ما ارتبط بها من لحوم وألبان وجلود وغيرها من المواد الأساسية.

[1] «-Les mesures de restriction au Maroc au temps de guerre », **le courrier du Maroc** N° 4096 du 28 AVR 1940, P . 1

[2] -« l'effort des colons français pour faciliter la soudure métropolitaine **», le courrière du Maroc,** N° 4096 DU 28 AVR 1940.

[3]- "الحالة الزراعية بالمغرب خلال شهر مايو سنة "1940، **جريدة السعادة**، عدد 4978، السنة 37، 15 يونيو 1940.

[4] Touzé, op-cit, p.212

قامت سلطات الحماية في إطار الاقتصاد الموجه الذي سبق أن عملت به الإقامة العامة خلال سنوات الحرب العالمية الأولى سنة 1914 و1918، بمراقبة أسواق المواشي؛ عبر تحديد الأسعار وإلزام الفلاحين بتوفير العدد الكافي من المواشي لتغطية نفقات التموين العسكري[1] ، وبذلك أصبح الإنتاج الفلاحي في المغرب مقرونا بحاجيات الميتروبول.

ولم تدخر سلطات الحماية جهدا في دعم الفلاحين، ودعت إلى مضاعفة الإنتاج بمختلف أنواعه، وخصوصا القطن الذي تعذر الحصول عليه من السوق الدولية بسبب ظروف الحرب التي أعاقت حرية التجارة الدولية، ونظرا لعلاقته الوطيدة بالصناعات الحيوية، فقد أمرت بضرورة تأسيس جمعيات خاصة بإنتاج القطن بغية تسهيل عملية تتبع ومراقبة الإنتاج.

وفي هذا الإطار وجه الجنرال نوجيس نداءا إلى المعمرين يحثهم على الزيادة في المساحات الزراعية ومضاعفة الإنتاج لتدارك المتطلبات الجديدة والآنية لفرنسا والمغرب[2]، وقد قام بتوفير المحروقات والآلات الفلاحية والدواب، ودعا إلى استغلال كل قطعة أرضية مهما كان حجمها ،لتجاوز الصعوبات الجسمية الناتجة عن تقلص المدد والتموين الغذائي[3].

وفي نفس الإطار خصصت إدارة الحماية قروضا من أجل دعم زراعة القطن، والزراعات الزيتية وزراعة الخضروات، كما كان الاهتمام بالثروة الحيوانية واضحا من خلال تخصيص 5.220.000 فرنك لتحسين وضعيتها عبر تنظيم معارض للتعريف بالمنتوج المحلي.

2- إخضاع الصناعة لخدمة المجهود الحربي

فرضت سلطات الحماية خلال فترة الحرب العالمية الثانية قيودا صارمة على القطاع الصناعي، وجعلت كل ما ارتبط به خاضعا لنظام التقنين، حيث خفضت من الاستهلاك المحلي للمحروقات لفائدة المجهود الحربي، ومنعت تصدير الفحم الحجري إلى الخارج، كما أرغمت السكان على التزود بكميات أقل من لفحم الحطبي وترشيد استعماله.

وعرفت المواد والمنتجات المصنعة تنظيما مقننا وتم إخضاعها لنظام الإحصاء والتصريح بالمخازن والاحتياطات، خاصة الثوب والخيط وأوراق التلفيف والفلز والحديد والجلود.

وتم القيام بمحاولات جادة لتنشيط صناعة الحرير بهدف التأسيس لصناعة وطنية فرنسية في ميدان الألياف الحريرة، التي تدخل في الجراحة العسكرية والتحرر من التبعية للسوق الإسبانية[4].

اهتم الجنرال نوجيس بالجانب الاقتصادي لأنه كان على علم بأن الدور العسكري الهام الذي ينتظر المغرب، لن يتحقق دون تعبئة اقتصادية توفر التموين اللازم لدعم المجهود الحربي للمتروبول. وبذلك أدخل اقتصاد بالمغرب ضمن نظام اقتصاد الحرب.

---

[1] - Berque, Jacque, **le Maghreb entre deux guerres**, Editions du Seuil, Paris ,1967, p. 268.

[2] -« l'organisation du production agricole au temps de guerre » **, le courrier du Maroc,** N° 355 , 1 OCT 1939 ,p .1.

[3] « L'appel du général Noguès aux colons »**, le courrier du Maroc, N**° 4805, 3 oct 1942, p.1**.**

[4]- تافسكا (أحمد)، الفلاحة الكولونيالية،م. س، ص. 44

*وفي هذا الصدد اهتمت سلطات الحماية بمراقبة إنتاج البيض الذي بلغت كمية إنتاجه بالمغرب مليار أو يزيد سنويا وكان يخصص خمسه للتصدير والباقي للاستهلاك المحلي، وكل من تهاون في جمع البيض المحدد العدد يتعرض إلى عقوبات إما القيام بعمل الكرفي " La corvée أو مصادرة كل ما يملكه.

ولضمان الاستفادة الكلية من موارد المغرب المعدنية والصناعية، أصدرت هيئة الأركان العامة بالجزائر العاصمة في 16 شتنبر 1939 مذكرة توجيهية تحدد مهام لجان المراقبة في العمل التنسيقي لضمان الفعالية والمردودية اللازمة. ومنها حصر المقيم العام الجنرال نوجيس دور المغرب في ثلاث نقط أساسية، شأنها في ذلك شأن افريقيا الشمالية:

- تزويد فرنسا بالمواد الفلاحية، المعدنية والصناعية.
- تسويق الفائض بالخارج لجلب العملة الصعبة.
- الاعتماد على الاكتفاء الذاتي لسد حاجيات السكان المحليين[1].

كما أولت إدارة الحماية اهتماما واضحا للصناعة الحربية مستغلة ما يزخر به المغرب من معادن مختلفة، خاصة المنغنيز* والرصاص واالكوبالت والموليبدين الضرورية في الصناعة الحربية.

ولأجل الاستغلال الأمثل للثروة المعدنية المغربية، طالبت سلطات الحماية المعمرين والمستثمرين بضرورة البحث عن مناجم جديدة، ومضاعفة الجهود للرفع من وتيرة نشاط المصانع الموجودة، وإنشاء أخرى متخصصة في الإنتاج والتحويل والتعليب والتصبير، مما أسهم في الرفع من عدد المؤسسات الصناعية، حيث بلغ عددها عند اندلاع الحرب 31 معملا[2]: خمسة عشر منها بالدار البيضاء، وتخصصت معظمها في تحويل المواد الفلاحية، كمطاحن الحبوب وصناعة المربى وعصير الفواكه ومصانع الزيت والصابون. هذا، ولم تستثن سلطات الحماية تحفيز المستثمرين من أجل الاهتمام بتكرير النفط واستخراج كل أنواع الزيوت، ووضعت لذاك في سيدي قاسم محطة للتكرير والتصفية، كما دعت إلى مضاعفة استغلال مناجم الفوسفاط وتصديره لأجل تنشيط المبادلات التجارية.

ومن جهة أخرى، كان على الصناع التقليديين والحرفيين بذل مجهود أكبر واستثنائي خاصة في قطاعي الجلد والنسيج من أجل الاستجابة لحاجيات الجيش من المنتجات الصوفية والجلدية بمختلف أنواعها وأصنافها، من أحزمة وسروج وأحذية ونعال وأغطية وجلاليب.

وفي سنة 1943، أعطت الجهود المبذولة في قطاع الصناعة التقليدية أكلها، حيث ازدهرت صناعة الجلد بالبلاد كالأحذية والسروج وأجهزة الخيل التي كانت معرضة فيما قبل للاختلال بسبب تزايد الصادرات، كما أدركت الصنائع المغربية ضرورة هذا التطور إدراك كاملا في ميدان نسج الصوف، حيث اتسع نشاطها ونما منذ بضعة أشهر بكيفية تبعث على الإعجاب، وقد تم تجميع الصوف بأثمان معقولة لفائدة النساجين، مما أسهم في مضاعفة الإنتاج، بالإضافة إلى إنشاء حرف جديدة من بينها حرفة النسيج اليدوي، وتم العمل على مراقبة نظام إنتاج الصوف* من أجل إنتاج أصناف مرضية[3].

---

[1]- بوشامة (الحسين) ،، **مساهمة الجنود المغاربة في الدفاع عن التراب الفرنسي خلال المرحلة الأولى من ا لحرب العالمية الثانية شتنبر 1939، يونبو 1940**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، 2006-2007، ص. 152.

*أسفرت أعمال الفحص والتنقيب التي أجريت سنة 1919 بجنوب المغرب الشرقي على وجود مناجم مهمة من المنغانيز في ناحية بوعرفة وهذه المناجم منها ما يشمل على (بيوكسيد المنغانيز) من النوع الأول سنة 1925 شرع في استغلالها، لكن في سنة 1930 تم استغلالها بشكل عملي وذلك راجع إلى ربط مركز بوعرفة بمدينة وجدة بواسطة الخط الحديدي.

[2]- رويان (بوجمعة)، **أوجه الاستغلال الاستعماري خلال الهدنة الفرنسية الألمانية 1940- 1942**، دبلوم الدراسات العليا 1989، كلية الآداب، الرباط، ص. 187.

[3]- سعادة المقيم العام يوضح الحالة الاقتصادية في المغرب، م. س. صص.1-5

أ-الصناعة التقليدية

بادرت سلطات الحماية الفرنسية، بعد إدراكها لأهمية ودور الصناعة التقليدية المغربية في تموين الميتروبول ببعض الحاجيات ذات الاستعمال المدني والعسكري، إلى تقديم جميع أنواع الدعم والتحفيز المعنوي، حيث وفرت لهم كل ما يستلزم من المواد الأولية، وعملت على حمايتهم من المنافسة غير القانونية التي استفحلت في زمن الحرب، مما دفع الإقامة العامة إلى منع التصدير مؤقتا لأجل ضبط السوق المغربية.

وبالرغم مما حصل، واصل المقيم العام **نوجيس** دعمه المادي والمعنوي لأجل حث الأهالي على الاهتمام بالصنائع المحلية وتلبية حاجيات السكان[1].

ب- استغلال المناجم:

رغم كل الجهود التي بذلتها الإقامة العامة لأجل الاستجابة لطلبات الميتربول، إلا أن الندرة والخوف من عدم وصول المواد الأولية إلى فرنسا خلال فترة الحرب، دفع بالحكومة الفرنسية إلى الضغط على سلطات الحماية الفرنسية، لحثها على بذل المزيد من الجهود لأجل مضاعفة جل أنواع الصادرات، بما فيها المواد الغذائية والمواد الأولية والعنصر البشري.

وقد أسفرت الجهود المبذولة في مجال الصناعة في شهر أبريل من سنة 1939، عن اكتشاف معدن من الطين بنواحي مصب وادي ملوية، يستعمل كمادة أساسية في تطهير الصوف وتصفية الزيوت والبترول، وقدرت الكمية المتوفرة بحوالي 600.000 طن، وهي كمية مهمة أسهمت في إغناء السوق الفرنسية عن الاستيراد من السوق الأمريكية والألمانية.

لقد حظي هذا الاكتشاف باهتمام السلطات الفرنسية، وأسست لذلك معمل بناحية الدار البيضاء، بعد أن رأت أن من شأن هذا الاكتشاف أن يعود بالنفع والفائدة على اقتصاد المغرب. وقد ظهر ذلك جليا عند المعامل التي اعتمدت الطين المكتشف في شرق المغرب" كامبرطو"، خصوصا عند معامل تصفية الزيوت والسكر، حيث أشاد أصحابها بالنتائج الإيجابية المحصل عليها بعد استعمال المعدن المكتشف، مما رشح المغرب ليكون بلاد مستهلكا للمادة عوض الاقتصار على التصدير فقط.

وجملة القول، إن المنتجات المغربية بمختلف أصنافها، قد مكنت فرنسا من تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي والاستغناء عن الاستيراد من ألمانيا التي كانت تحتكر بعض المواد الأولية الأساسية في الصناعة من قبيل الطين المكتشف في المغرب. وهكذا تمكنت فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية من أن تسمو باقتصادها عن التعامل مع الأجنبي[2].

---

[1]- نفسه

* بالإضافة إلى مادة الصوف التي عرفت تراجعا بفعل الاستغلال الكبير اتجه الصناع إلى استعمال مواد طبيعية وتقليدية تمثلت في شعر الماعز وصوف الوبر وألياف الصابرة،الذي توسع نطاق زرعه وبذلك أصبحت المنتوجات تحتوي فقط على 50% من الصوف.

[2]- الصناعة المغربية إبان الحرب، **جريدة السعادة**، عدد 4971، السنة 37، 7 يونيو 1940، ص. 1.

المحور الثاني: انعكاسات اقحام المغرب في الحرب العالمية الثانية

1- الانعكاسات الاقتصادية

أ-الحالة الفلاحية لمغرب ما بعد الحرب

تميزت سنوات **1944** و**1945** وبداية **1946** بنقص كبير في التساقطات لم تشهد البلاد مثيلا له منذ نصف قرن تقريبا، وتوالى على المغرب طقس الجفاف من شتنبر **1944** وعلى طول سنة **1945**، وكان ذلك محور تقارير عدة صدرت عن المصالح الفلاحية الخاصة بكل المناطق المغربية، التي لم تتوان لحظة في الحديث عن الجفاف الذي ضرب البلاد وعن سلوك المغاربة الذين التجؤوا غير ما مرة إلى أداء صلاة الاستقاء طلبا من الله الرحمة ورفع الضرر الذي أحدثه الجفاف[1].

مبيان رقم 1: معدل التساقطات لسنة 1945(بالميليمتر)

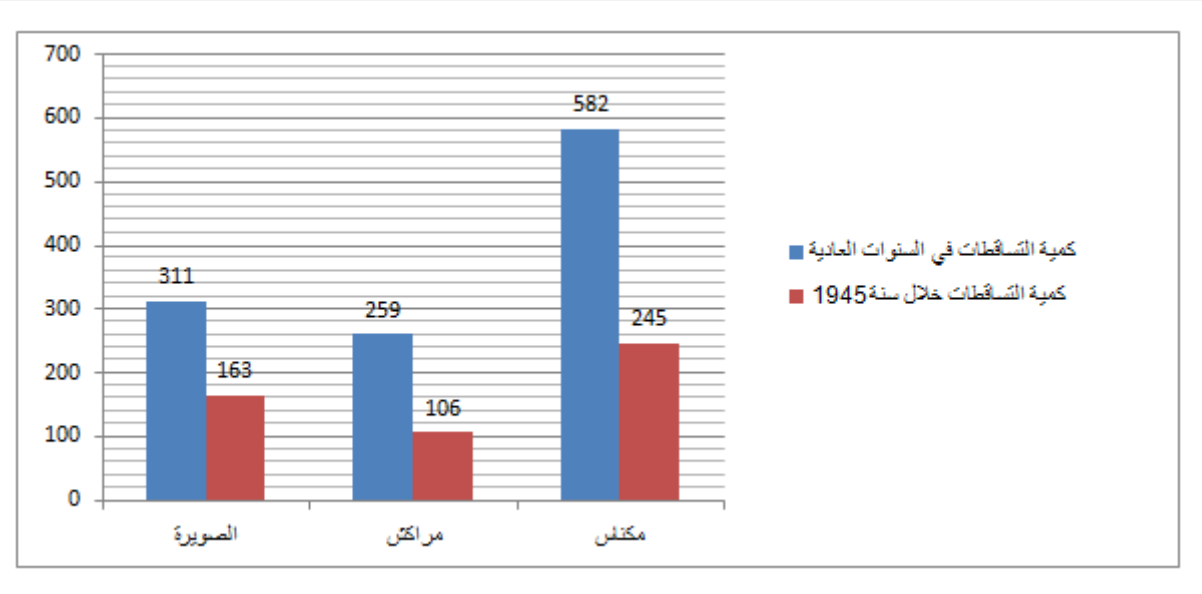

Source : « Pluviométrie de l'année agricole 1944 –1945 », **Bulletin économique et social du Maroc**. vol VIII N° 526. 1945, P.

عرفت نسبة التساقطات خلال سنة 1945 انخفاضا حادا، كان لها تأثيرا مباشرا على جل الأنشطة الفلاحية، حيث اضطر الفلاحون إلى تأجيل عملية الحرث، مما قلص من المساحات المزروعة إلى حوالي خمس الأراضي مقارنة بالسنوات الماضية. واستفحل الأمر سوءا عندما هاجمت أسراب من الجراد مناطق الجنوب الشرقي، وأتت على الأخضر واليابس، وأضحت بذلك واحات درعة ومنطقة سوس مناطق قاحلة، وقد قدرت الأراضي التي غطتها سحائب الجراد في سوس وحدها ب **100.000** هكتار.

ونتيجة لذلك ومع استحكام الجفاف، جفت الكثير من العيون والغدران، وجفت معظم الآبار بسبب هبوط مستوى الفرشات المائية جراء الاستخراج المكثف للمياه، وخاصة منها الفرشات ذات المستويات القريبة من مستوى السطح.

[1]- **جريدة السعادة**، 11 مارس 1945 أقيمت صلاة الاستسقاء بالرباط، وبالجديدة ومراكش في 23 مارس، وبفاس 27 منه.

لقد ألحق الجفاف نكبات بالغنم والسوائم حيث ضعفت وتضرر نتاجها، ونقصت أعدادها في بعض الجهات بنسبة تتراوح مابين **30** و**40** في المائة، وعانت الماشية الأمرين من خطر الجوع والعطش، وفتك الموت بالبغال والخيل والحمير من جراء الكلأ حيث أصبحت المراعي غثاء من فرط الجفاف، وقل الشعير واضطر الناس إلى فتح الحقول أمام المواشي، كما نضبت الاحتياطات من التبن الذي بلغ ثمن الكيلو الواحد منه **40** فرنك في ناحية فاس[1].

وفي جهة الشرق، بلغت الخسائر **50%** وأحيانا **80%**، واعترى الماشية هزال لم تكن تقوى معه الوقوف، وتفشت بينها الحمى القلاعية، وانتشرت أمراض أخرى كجدري الأغنام، الذي ضرب مناطق الدار البيضاء وسطات ومراكش وتازة وصفرو ووجدة، وبلغ عدد ما أصيب به من الأغنام **89.186**، كما عاث مرض الجمرة الخبيثة بشكل فتاك في أغنام الجديدة. ويوضح الجدول الآتي ما طرأ على القطيع من نقص بسبب الهلاك من جراء الجوع والأمراض والذبح في سنة **1945** مقارنة مع ما كان عليه العدد سنة **1944**.

جدول رقم2: عدد رؤوس المواشي المغربية خلال سنة 1945

المواشي	عدد الرؤوس سنة 1944	عدد الرؤوس سنة 1945
الإبل	178 .824	168 .808
الخيل	84 .800	59 .264
البغال	169 .216	184 .483
الحمير	874 .821	785 .748
الأبقار	2 .057 .087	1 .660 .925
الأغنام	10 .860 .424	8 .351 .304
الماعز	6 .856 .794	5 .608 .363

Source : « L' évolution numérique du cheptel Marocain depuis 1938 » ,**B.E.S.M**. N° 28, 1946, P.215.

ب- نقص الإنتاج وقلة المواد الأساسية :

كان لمشاركة المغرب في المجهود الحربي الفرنسي أثره البين في نقص احتياطي الحبوب الذي اعتاد المغاربة على خزنه تحسبا لفترات الجفاف، بعد أن أسهمت سلطات الحماية في إفراغ المطامير التي كانت إلى حدود سنة **1943** تغص بالحبوب[2]. وقد أحدث هذا النقص في الإنتاج،إضافة إلى ما كانت تعرفه البلاد منذ سنوات من نذرة المواد الأساسية اضطرابا في أحوال التموين، حيث تفاحشت السوق السوداء، وارتفعت أسعار المواد الغذائية بشكل غير مسبوق؛ فقد بلغ ثمن القنطار من الشعير 2000 فرنك ثم تصاعد إلى 5000 فرنك، واستوى ثمن القمح في 6500 فرنك للقنطار، وزاد ثمن الشعير ارتفاعا في بعض الجهات حتى بلغ 6000 فرنك، وتفشى الغلاء سنة 1945 في كل ربوع البلاد، وبلغت العبرة من الشعير عند أهل سوس، نحو ألف فرنك[3]، وبيع القمح ب **11.000** فرنك في دائرة الصويرة بعد أن كان لا يتعدى **2500** فرنك في غشت 1944، وأما السكر الذي حدد ثمنه في يناير من نفس السنة ب **14** فرنك للكيلوغرام، فقد كان يباع في السوق السوداء ب **500** فرنك للكيلوغرام، ومثل هذا يقال عن الزيت الذي حدد ب **20** فرنك للتر، فإذا به يباع في السوق السوداء ب **200** فرنك، وعان الناس كثيرا من قلة ما كان يعرض في الأسواق من القوت، وعم

[1]- "الحالة الفلاحية في ناحية فاس"، **جريدة السعادة**، 14 يناير 1945.

[2] « l'agriculture céréalière au Maroc » **, in B.E.S.M,** N° 28, 1946, P .215

[3]- السوسي (المختار)، **المعسول**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء،1961/1380، ج17،ص.93

التعامل بالمقايضة حتى تم استبدال الماشية بالحبوب، والدجاج بالزيت، وتقنن الخبز، فأصبحت الخبزة تزن **600** غرام وتقسم على شخصين، وهو قدر لا يكفي لأغلب الناس[1].

وأمام انعدام الأقوات، اتجه الناس إلى البحث عن مواد من شأنها أن تقتل الجوع، فاتجهوا إلى حفر جذور نبتة **" آيرنيArum"**، وأقبل المغاربة كذلك تحت غائلة الجوع على بلوط الغابات وفصوص الخروب، على الرغم مما كان يتربص بملتقطها من عقوبات لدى سلطات الحماية. واضطر الناس لأجل الحصول على بضع أمداد من الحبوب إلى بيع حصصهم من السكر ، أو الاشتغال لدى المعمرين مقابل **"غراف"** من القمح[2].

2- الانعكاسات الاجتماعية

أ- الهجرة نحو المدن

كان لسياسة الاقتصاد الموجه التي نهجتها سلطات الحماية الفرنسية بالمغرب خلال سنوات الحرب العالمية الثانية أثرها البالغ في تعميق الأزمة الاقتصادية. وعانت البادية أكثر من أي وقت مضى من سوء التغذية وقلة المؤن وتفشي الأوبئة، مما دفع السكان إلى النزوح نحو كبريات المدن؛ وقد غادر قبيلة الرحامنة لوحدها حوالي **20.000**، وهبط الريفيون نحو فاس غير مبالين بالحدود الاستعمارية بين المنطقة الاسبانية والفرنسية. وشوهد ذلك في القطارات والحافلات التي دخلت كبريات المدن وهي مكتظة بالقرويين النازحين للبحث عن لقمة العيش[3].

وفي الفترة الممتدة ما بين نهاية سنة 1944 وبداية شهر فبراير من سنة 1945، قدر حاكم منطقة الرباط عدد من وفدوا من جنوب البلاد في فاتح فبراير بحوالي 4000 شخص، ورصد تقرير أخر منسوب لعميد الشرطة ببور ليوطي **PORT LYAUTEY** مؤرخ بأبريل**1945**:« أن عائلات بأكملها قادمة من السراغنة وبني مسكين، ومن المغرب الشرقي، قد تدفقت على المدينة، رجالا ونساءا وأطفالا يزيد عددهم عن **3000**. ولا يخف صاحب التقرير تخوفه من تفاقم وضعية هؤلاء المهاجرين، وينصح بإبعادهم عن المدينة»[4].

حاولت سلطات الحماية وهي تسعى إلى ضبط الوضعية الوبائية في المدن التي يتمركز بها العديد من الأوروبيين، أن تحد من عدد المتدفقين من البوادي، الذين لم تكن أمامهم من وسيلة لدفع غائلة الجوع، سوى شد الرحال نحو المدن، فأحاطت المراكز الحضرية الكبرى بحراسة متشددة، وأسست على مقربة منها مراكز للإيواء يتجمع فيها من انقطعت بهم السبل، ليتم فرزهم فيما بعد، حيث يرد الضعفاء من النساء والأطفال إلى مواطنهم الأصلية، بينما يحتفظ بالقادرين على العمل لمباشرة الأعمال والأشغال اليومية.

---

[1]- الجراري (عبد الله) ، **شذرات تاريخية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1976 ص . 130 .

[2]- رويان(بوجمعة)، **مجاعة 1945 بالمغرب**، منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001، ص . 250 .

[3] -Rivet, Daniel, **le Maroc de Lyautey a Mohamed V le double visage de protectorat**, Ed. porte d'anfa,imp,najah-eljadida,casablanca,2004, page : 213 .

[4]- رويان(بوجمعة)، **م.س**، ص. 256 .

- voir aussi :

Adam, André, **Casablanca, Essai de transformation de la société marocaine au contact de l'accident**, Editions du centre National de la recherche Scientifique, Paris, 1968. Casablanca, essai de transformation de la société marocaine au contact de l'accident.

كما عملت السلطات على منع البلديات من توزيع أوراق التموين على الوافدين الجدد، واستعملت القوة لإرجاع المهاجرين إلى مواطنهم.

وعلى الرغم من تلك الإجراءات والمحاولات للحد من الهجرة، فإن الكثيرين منهم استطاعوا الاستقرار بجوار المدن مشكلين أحياء صفيحية، كان أكبرها حي بنمسيك بجوار الدارالبيضاء.

جدول رقم3: ارتفاع عدد السكان في بعض المدن ما بين 1944 و1945

المدن	عدد السكان سنة 1944	عد السكان سنة 1945
الدار البيضاء	536.515	277.531
مراكش	893.230	763.244
مكناس	551.147	725.156

SOURCE : « -la démographie des villes du Maroc », **in B.E.S.M.** 31-32 Oct. 1946 ; janvier 1946 ; p. 253

ب- تدهور الحالة الصحية وتكاثر الأوبئة:

أنهكت المجاعة الناس وجعلتهم عرضة للإصابة بشتى أنواع الأمراض، خصوصا في ظل تجنيد السلطات الفرنسية لما يقارب 50% من مستخدمي قطاع الصحة (**أطباء-مساعدون-ممرضون**) لأجل الدفاع الوطني الفرنسي، وتعذر الحصول على الأدوية اللازمة لمواجهة انتشار الأوبئة. وبذلك يكون الوضع الصحي بالمغرب لسنة **1945** قد تدهور إلى مستويات لم يشهدها من قبل خلال فترة الحماية الفرنسية عليه .

وقد وجدت الأوبئة مرتعا خصبا في مجتمع يعاني الجوع وقلة النظافة واللباس، فسجل التيفوس **8168** حالة، وضرب الطاعون **828** شخصا وبلغ عدد من أصيبوا بالجذري **2618**، وكان وباء الحمى أهم وباء عاث بالمغاربة بعدما تسلل إليهم من الحدود الشرقية وأصاب **26.290** شخص، وهو رقم لا يعكس حقيقة الأمر لأن إحصاء المصابين قلما يشمل سكان البوادي والمناطق النائية[1].

واستفحل الأمر سوءا، وأصبح الناس صرعى في الطرقات، وقد أشارات نشرات المصالح البلدية بالدارالبيضاء إلى ذلك، وقدرت حصيلة الضحايا في ذلك اليوم بما يأتي:

- **61** شخص مات جوعا على الطرقات في وسط المدينة الأوربية
- **22** في المدينة القديمة
- **84** في المدينة الجديدة
- **18** في درب غلف
- **89** في حي الصفيح بالصخور السوداء
- **296** في حي بنمسيك من بينهم **126** طفلا تقل أعمارهم عن **5** سنوات.

وقد أوردت إدارة الصحة العمومية في تقريرها السنوي، أن عدد الوفيات من المغاربة بلغ سنة **1945 حوالي "49.986"** وهو رقم يضاعف تقريبا عدد ما سجل من الوفيات سنة **1944**[2].

---

[1]- رويان(بوجمعة)، مجاعة 1945 بالمغرب، م.س، ص . 258.

[2]- نفسه، ص. 259.

جدول رقم4: عدد الوفيات ونسبها في الألف في ست مدن رئيسية.

المدن	المسلمون			اليهود		
	السكان	الوفيات	النسبة بالألف	السكان	الوفيات	النسبة بالألف
الدارالبيضاء	512.339	14.093	41.93	58.052	1.318	22.70
الرباط سلا	815.156	4.145	27.48	31.626	188	13.79
مكناس	674.118	3.435	28.94	12.883	155	12.10
فاس	190.380	5.935	34.12	14.133	270	18.39
مراكش	211.631	8.935	42.21	18.047	486	26.92
وجدة	58.251	3.077	52.82	3.709	86	23.18

المرجع: رويان (بوجمعة)، م.س، ص. 260.

الجدير بالذكر هو أن الأرقام التي تم بسطها بشأن الوفيات لا تعكس ما كان عليه الأمر، ذلك أن أعداد كثيرة من الموتى أفلتت من الإحصاء بسبب الدفن السري، وعدم التصريح، ثم إنها –الإحصاءات- تضم فقط سكان المدن- البلديات، أما سكان البوادي فقلما تشير التقارير إلى أحوالهم.

ث- المجتمع القروي في مواجهة المجاعة:

دفع الجوع الفلاحين إلى بيع أراضيهم أو تفويتها بأبخس الأثمان فبيعت الأرض بمقابل رمزي، وأصبح ثمن شراء هكتارين من الأرض لا يتعدى سعر قنطار من القمح، وكثر الترامي على ممتلكات من انقطعت أعقابهم من الهالكين.

وحاولت سلطات الحماية شد الفلاحين إلى أراضيهم عبر الحد من عمليات البيع للحيلولة دون تدفقهم نحو المدن، فأقرت ما أسمته يوم ذاك **"الملك العائلي"** بموجب بظهير **8** فبراير **1945**، الذي تلته بعض القرارات الوزارية لتفسيره وكيفية تطبيقه، وهو ملك من الأرض ضروري لعيش العائلة، ولا يقبل أي بيع أو رهن أو تفويت، وقد حدد هذا الملك العائلي في **7.5** هكتارات بالأراضي البورية و**1.5** هكتار في الأراضي المسقية و **0.75** هكتار في الأراضي المغروسة بالأشجار المثمرة.

كانت هذه العملية هادفة إلى الحد من القضاء على الملكية الصغيرة، وحصر الفلاح الصغير بالبادية، إلا أن ذلك اعترضه الكثير من الصعوبات أبرزها عدم توفر وسائل العمل في الأرض في وقت حصد فيه الموت كثيرا من حيوانات الجر، ثم إن حالة الفلاح تستدعي حلولا أكثر جرأة وعمقا، وهذا ما حكم على العملية بالفشل حيث عرفت سنة **1946** تراجعا واضحا للملكية الصغيرة لدى المغاربة في كثير المناطق[1].

وقد دفعت المجاعة الحماية الفرنسية من جهة أخرى إلى محاولة النهوض بالفلاحة، فبادرت إلى إنشاء ما كان يسمى آنذاك **"قطاعات تحديث البيزانا"** ويرمز لها **S.M.P** وكثرت الشعارات في هذا الباب؛ فمن متحدث عن تحويل ناحية الغرب إلى **"كاليفورنيا مغربية"**، وتحويل البوادي إلى كولخوزات. خصوصا بعد الاهتمام الذي أبداه **كابريل بيو**- المقيم العام- بشأن تعميم وسائل الإنتاج [2].

[1]- نوفيل(جاك)، "الأزمة الفلاحية بالمغرب 1945-1946 وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية"، تعريب أمينة بريدعة، **مجلة أمل**، العدد 17 ، ص . 98 .

[2]- رويان(بوجمعة)، مجاعة 1945 بالمغرب، **م.س**، ص. **262.**

وأصبح الكساب في وضعية لا يحسد عليها، حيث أهلك الموت القطعان وتحول كثير من الكسابين وخاصة الصغار منهم إلى معدمين، ليس أمامهم سوى الهجرة إلى المدينة، أو العمل كرعاة عند آخرين. وفي مقابل ذلك فتحت المجاعة لبعض التجار فرص الاغتناء بعدما ظهرت المقايضة و انتشر البيع والشراء في بالسوق السوداء.

والمتأمل يلاحظ أنه رغم ويلات المجاعة وتداعياتها على الفلاحة، فإن عائدات الترتيب عرفت ارتفاعا ملحوظا مقارنة بما مضى من السنوات نتيجة تحسن مستوى الإنتاج الزراعي لسنة 1945. وهذا ما توضحه أرقام الجدول الآتي:[1]

جدول رقم5: المحاصيل الزراعية لسنوات 1944-1945

المزروعات	1944	1945
القمح الصلب	108ق/الهكتار	120
القمح الطري	97ق/الهكتار	105
الشعير	76ق/الهكتار	80
الحمص	134ق/الهكتار	181
العدس	170ق/الهكتار	234
الحلبة	36ق/الهكتار	158

449, et **B.O** du 14 sept 1945, p.53.. **Source :** « cultures annuelles », **B.O** du 14 juillet 1944, p

كشفت هذه المعطيات عن ارتفاع ملحوظ مقارنة مع سنة **1944**، فإذا أخذنا على سبيل المثال الصنف السادس وهو الذي يتراوح إنتاجه ما بين **4** إلى **6** قناطر في الهكتار، نجد أن واجباته عن مردود كل هكتار قد ارتفعت ما بين **1944** و**1945**.

وفي نفس الوقت فإن سلطات الحماية تمادت في مصادرة ما تبقى لدى المغاربة من حبوب وغيرها، كما كانت تجمع التبرعات لفائدة ما أسمته **"مليار التحرير"** الذي قضى بفرض إعانة لفرنسا، وهو أمر تأفف منه المغاربة تجارا وصناعا وموظفين، متألمين لضعف رواتبهم التي لا تتفق وغلاء المعيشة والمضاربة في الأسعار.

خاتمة

كان للإستراتيجية الفرنسية المتخذة بالمغرب خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، أثرها البالغ في توجيه الاقتصاد المغربي وجعله في خدمة الدفاع الوطني الفرنسي. إلا أن ذلك كان على حساب المغاربة الذين ذاقوا مرارة المجاعة والأوبئة نتيجة الاقتصاد الموجه وتضافر سنوات القحط والجفاف الذي بلغ ذروته سنة 1945.

وقد شكلت المواد الفلاحية الطبيعية منها والمصنعة الحصة الكبرى من المجهود الحربي الذي قدمه المغرب لفرنسا خلال سنوات الحرب. مما عرض البلاد لاختلالات سوسيواقتصادية عانت منها البلاد إلى حدود الزمن الراهن، حيث ظهرت دور السكن الصفيحي، واكتظت المدن، وظهر الاقتصاد النقدي بعدما تخلى معظم الفلاحين عن أراضيهم وأصبحوا بين عشية وضحها مياومين في مزارع المعمرين.

ولم يشفع المجهود الحربي الذي قدمه المغرب للفرنسيين لأجل مساندتهم في محنتهم ضد حملة ألمانيا النازية، بل إن الحكومة الفرنسية وممثلتها الإقامة العامة في المغرب تمادوا في تنفيذ مخططهم الاستعماري الهادف إلى البحث

[1] -« cultures annuelles », **Bulletin Officiel** du 14 juillet 1944, p .419, et « cultures annuelles » , **Bulletin Officiel** du 14 sept 1945, p.627.

عن الثروات واستغلالها أتم استغلال، ضاربين عرض الحائط وعد الاستقلال، المقدم من طرف الحلفاء للمغرب إبان الحرب العالمية الثانية.

البيبليوغرافيا

- بوشامة (الحسين) ، *مساهمة الجنود المغاربة في الدفاع عن التراب الفرنسي خلال المرحلة الأولى من ا لحرب العالمية الثانية شتنبر1939 ، يونيو1940* ، **أطروحة** لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، 2006-2007.
- تافسكا (أحمد)، **الفلاحة الكولونيالية بالمغرب 1912- 1956**، دار بن خلدون، بيروت الطبعة الأولى، 1998.
- الجراري (عبد الله)، **شذرات تاريخية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1976 .
- **جريدة السعادة**، "الحالة الزراعية بالمغرب خلال شهر مايو سنة "1940، عدد 4978، السنة 37، 15 يونيو 1940.
- **جريدة السعادة**، "الحالة الفلاحية في ناحية فاس"، 14 يناير 1945.
- **جريدة السعادة**، "الصناعة المغربية إبان الحرب"، عدد 4971، السنة 37، 7 يونيو 1940، ص. 1.
- رويان (بوجمعة)، **أوجه الاستغلال الاستعماري خلال الهدنة الفرنسية الألمانية 1940- 1942**، دبلوم الدراسات العليا 1989، كلية الآداب، الرباط.
- رويان(بوجمعة)، **مجاعة 1945 بالمغرب**، منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001.
- السوسي (المختار)، **المعسول**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء،1961/1380،ج17.
- نوفيل(جاك)، **"الأزمة الفلاحية بالمغرب 1945-1946 وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية"**، تعريب أمينة بريدعة، **مجلة أمل**، العدد 17 .

- Adam , André, Casablanca**, Essai de transformation de la société marocaine au contact de l'accident**, Editions du centre National de la recherche Scientifique, Paris, 1968.
- Berque, Jacque, **le Maghreb entre deux guerres,** Editions du Seuil, Paris ,1967
- **Bulletin Officiel** du 14 juillet 1944 « cultures annuelles »
- **Bulletin Officiel** du 14 sept 1945. « cultures annuelles »
- **in Bulletin économique et social du Maroc**, « l'agriculture céréalière au Maroc » N° 28, 1946
- **le courrier du Maroc «** L'appel du général Noguès aux colons » **,** N° 4805, 3 octobre 1942.
- **le courrier du Maroc «** l'organisation du production agricole au temps de guerre **» ,** N° 355 , 1 OCT 1939 **.**
- **le courrier du Maroc** «-Les mesures de restriction au Maroc au temps de guerre », N° 4096 du 28 AVR 1940.
- **le courrière du Maroc, «** l'effort des colons français pour faciliter la soudure métropolitaine **»,** N° 4096 DU 28 AVR 1940**.**
- Rivet, Daniel, **le Maroc de Lyautey a Mohamed V le double visage de protectorat**, Ed porte d'anfa,imp, najah-eljadida,Casablanca,2004.
- Touzé, Levisse, « La contribution du Maroc pendant la seconde guerre mondiale », **Revue Maroc-Europe**, l'armée marocaine à travers l'histoire hier, aujourd'hui, demain, Ed.la porte ,1994, N°7.

أية مآلات ممكنة للعالم بعد جائحة كوفيد 19

What are the possible outcomes for the world after the COVID-19 pandemic?

عبد القادر بوطالب

أستاذ باحث، جامعة عبد المالك السعدي، المغرب

ملخص

تحاول هذه الدراسة أن تستشرف مآلات العالم بعد جائحة كوفيد 19، وما خلفته من آثار وانعكاسات على الافراد والجماعات و على صعيد علاقات بين الدول، ذلك انطلاقا من مقارنتها بكارثة تشرنوبل، من خلال التركيز على مفهوم الحركيات العابرة للحدود، فسواء تعلق الأمر بجائحة كوفيد 19 أو بكارثة تشرنوبل، فإن الشرق كان هو المصدر والمسؤول، فكارثة تشرنوبل كان مصدرها الاتحاد السوفياتي، وتصادف ذلك مع بداية ضعفه وتراجعه في الداخل كما في الخارج، وتصاعد قوة الولايات المتحدة الامريكية، وأما جائحة كوفيد 19؛ فكان منشِؤها الصين، والتي تزامنت مع تنامي قوة الصين وتراجع نفوذ وهيمنة الولايات المتحدة الامريكية،، فكانت نتيجة الكارثة الأولى تفكك الإتحاد السوفياتي وانهيار المعسكر الاشتراكي، وبالتالي بروز توظيف مفهوم بنهاية التاريخ من جديد، فشكل ذلك نهاية الثنائية القطبية وبداية القطبية الأحادية، فكان ذلك انتصارا للغرب وقيمه الليبرالية وهيمنه على العالم. فهل تشكل جائحة كوفيد 19 بداية تشكل نظام عالمي جديد يقوم على أنقاض نظام القطبية الأحادية، والذي يترافق مع تنامي قوة الصين وبروز قوى صاعدة جديدة؛ وتراجع نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية؟ وهل يشكل ذلك بداية بروز نظام متعدد الأقطاب يقوم على نوع من الحكامة الدولية؛ والتي تمنع الخطر العابر للحدود وتحد من المخاطر المشتركة؟ ذلك ما تحاول هذه الورقة معالجته وتحليله.

Abstract:

This study attempts to anticipate the fate of the world after the Covid 19 pandemic, and its effects and repercussions on individuals, groups and at the level of relations between countries, based on its comparison with the Chernobyl disaster, by focusing on the concept of cross-border movements, whether it is related to the Covid 19 pandemic. or the Chernobyl disaster, the East was the source and the responsible, for the Chernobyl disaster originated in the Soviet Union, and this coincided with the beginning of its weakness and decline at home as well as abroad, and the rise of the power of the United States of America, and as for the Covid-19 pandemic; Its origin was China, which coincided with the growing of china power and the decline of the influence and dominance of the United States of America. The result of the first disaster was the disintegration of the Soviet Union and the collapse of the socialist camp. Thus, the concept of the end of history re-emerged. This marked the end of bipolarity and the beginning of unipolarity. This was a victory for the West, its liberal values, and its dominance over the world. Will the Covid-19 pandemic mark the beginning of the formation of a new world order based on the ruins of the unipolar system, which is accompanied by the growing power of China and the emergence of new emerging powers; The decline of the influence of the United States of America? Does this constitute the beginning of the emergence of a multipolar system based on some kind of international governance? Which prevent cross-border risk and reduce joint risks? That is what this paper attempts to address and analyze.

مقدمة

تسعى هذه الورقة انطلاقا من عرض وتحليل بعض الوقائع، التي ميزت وتميز المجتمعات الحديثة في تاريخها الراهن، وذلك بهدف فهم ما يجري في عالم اليوم نتيجة الوباء العالمي: كوفيد19، والذي –لا محالة- سيغير العالم، كما غير وسيغير حياة الأفراد والجماعات، حيث أن كل شيء لن يكون كما كان قبل كوفيد19.

نركز في هذه الورقة على استعادة التاريخ وتفكيك بعض أحداثه، وبالخصوص التاريخ القريب منه، وذلك بهدف فهم الحاضر ورسم مآلاته الممكنة في المستقبل، إن الوقائع التي نستعرضها، وإن بدت منفصلة في التحليل في بعض الأحيان، إلا أنها في العمق مترابطة، ولا يمكن فهمها إلا في ترابطها وتداخلها، فهي التي أوصلت العالم إلى اللحظة التي نعيشها والتي ستحدد اللحظات القادمة، والنظرة التي سنشكلها عنها، وتمثلاتنا حولها.

المحور الأول: الحركيات العابرة للحدود وثنائية الكوني والمحلي

لا يمكن لأي بحث علمي حول ما يجري اليوم في عالمنا المعاصر أن يتم، وأن يقدم نتائج واقعية وملموسة ما لم يرتكز على معرفة دقيقة بالحركيات العابرة للحدود (mobilités transfrontalières)، وأيضا على إلمام كاف بسياقاتها التاريخية[1].

تدمج وتتضمن الحركيات العابرة للحدود سلسلة من الوقائع الاجتماعية في سلسلة مترابطة من العوامل والأسباب، والتي تفرض بالضرورة أن تكون نقطة الانطلاق في التحليل هي الكوني، وليس المحلي[2]. وتعني هذه الحركيات إمكانية انتقال كل شيء، إذ ليس هناك حدود بإمكانها أن تمنع ذلك، ويشمل هذا التنقل البضائع والأشخاص والأفكار والقيم.. كما يشمل ذلك أيضا الأمراض وغيرها من المخاطر، وذلك لأن البشرية أصبحت تعيش اليوم فوق هذا العالم كجماعة بحدود كونية[3] (une communauté au frontières planétaires)، ومن ثم أصبح الإنسان غير قادر على التحكم في مصيره، وبالخصوص مع تشكل ظاهرة ما أصبح يعرف بالأخطار المشتركة[4] (risques partages).

والواقع، إن هذه الحركيات ليست فقط عمليات حسابية واقتصادية تتعلق بالاستثمار والتجارة، وإنما هي في العمق أيضا تمثل للعالم، ذلك أن الأشياء لا توجد بمعزل عن النظرة التي نكونها عنها[5]، وهي بهذا المعنى، انعكاس لتصور محدد حول العالم والثقافة، والتي ينبغي أن تسود، إذ يحق التحدث عن ثقافه كونية، فثمة تشابه وتماثل في الأذواق والقيم والعادات وغيرها، بل إن ثمة لغة عالمية تتجه نحو الهيمنة، وهي التي تفرض من/عبر الإعلام والتقنيات الحديثة للمعلوميات.

---

[1]- Zaki Laïdi : "**La mondialisation comme phenomenologie du monde**" in https://cutt.us/DpxvD

* يعتقد لعايدي زاكي أن العولمة هي في العمق حركيات عابرة للحدود، وبالتالي نستعمل في هذا السياق مفهوم الحركيات العابرة للحدود للدلالة على الظواهر المرتبطة بالعولمة.

[2]- Zaki Laïdi : **les imagiraires de la mondialisation** in https://cutt.us/uHp2S

[3]- Zaki Laïdi : "**La mondialisation comme phenomenologie du monde**".op.ct.

[4]- ibid.

[5]- ibid.

لا يمكن فهم هذه الواقعة إلا بتفكيك جملة من الوقائع الأخرى، والتي تقوم عليها وترتبط بها، ففي ظل هذه الحركيات العابرة للحدود، يمكن أن نسجل غيابا مطلقا لأي نوع من التوازن أو العدالة، إذ ثمة منطق واحد يسعى إلى فرض نفسه على الجميع، وهو منطق القوة العظمى في هذا العالم، هذا المنطق الذي يتم التعبير عنه بالأمركة (américanisation)، والتي نظر إليها كعولمة (Mondialisation) أو أنهما مترادفين (أي العولمة والأمركة) ويعبران عن نفس الظاهرة[1].

إزاء هذه الوضعية، والتي تكرس التشابه والتماثل، برزت العديد من الأصوات والمقاومات والتي طالبت بحماية التعدد والاختلاف في كل المستويات، وفي هذا السياق، جسد إعلان اليونسكو حول التعدد الثقافي إحدى العلامات الفارقة في مسار هذه المقاومات[2]، وإن بدت في تقديرات البعض مجرد محاولة يائسة، أو هي بمثابة الصرخة الأخيرة قبل تحلل المحلي لصالح الكوني[3].

1- نهاية التاريخ وزمن النهايات

ربطت الكثير من الكتابات في مجال السياسية بين سقوط جدار برلين ونهاية التاريخ، واعتبرت سقوط جدار برلين لحظة مفصلية وفاصلة في تاريخ البشرية، غير أن نهاية التاريخ لا يرتبط، ولا يرجع لسقوط جدار برلين، ذلك أن هذا المفهوم تعود جذوره إلى الفلسفة الألمانية، ومنها تمت استعارته وتوظيفه في الولايات المتحدة الامريكية، وذلك قبل سقوط جدار برلين، وبالخصوص مع فوكوياما[4].

استعمل كارل ماركس مفهوم نهاية التاريخ، واعتقد أن التاريخ سينتهي بالقضاء على الرأسمالية، بحيث سيكون بإمكان البشرية أن تعيش في مجتمع بدون طبقات، ونفس المفهوم، نجده في الفلسفة الهيجلية، فهيجل اعتبر أن سنة 1806 هي بمثابة نهاية للتاريخ، ذلك لأن هذه السنة تؤرخ لانتصار "نابليون بونبارت" في معركة "جينا" (*bataille d'léna*)، واعتقد أن هذا الانتصار يمثل انتصارا نهائيا لقيم ومثل الثورة في أوربا.[5]

تبلور مفهوم نهاية التاريخ في الفلسفة الألمانية بوصفه تعبيرا عن نهاية الصراع بين الايديولوجيات المتناقضة والمتناحرة، وتمت استعادته بعد انهيار جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي بشكل عام، وبالخصوص في الولايات المتحدة الأمريكية.

انطلق فوكوياما في كتابه الشهير: نهاية التاريخ والإنسان الأخير،[6] من مفهوم نهاية التاريخ كما تبلور في كتابات كارل ماركس وجورج فريدريش هيغل، اللذين صورا التاريخ على أنه صراع بين أطروحات ايديولوجية متناقضة. لينتهي

---

[1]- Guéhenno Jean-Marie. Américanisation du monde ou mondialisation de l'Amérique ?. In: ***Politique étrangère***, n°1 - 1999 - 64°année. pp. 7-20 in https://cutt.us/q2jil

[2]- «**Déclaration universelle de l'UNESCO sur la diversite culturelle**» in https://cutt.us/LMrwW

[3]- -1 in https://cutt.us/Ewloq Toussaint Kawaya. « Quelques réflexions sur la nouvelle mondialisation »

[4]- Jeanneney Jean-Noël, « La « fin de l'histoire » faribole ou forfanterie ? Dans **Vingtième Siècle. Revue d'histoire** 2001/1 (no 69), pages 95 à 104. In https://cutt.us/l34FA

[5]- ibid

[6]- فرانسيس فوكوياما. **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**، مركز الانماء العربي بيروت 1993.

للخلاصة التالية وهي: أن التاريخ يتجه نحو نهايته بانهيار الاتحاد السوفياتي، ومثَّل ذلك بالنسبة له بداية عالم جديد وعصر جديد، والذي ستكون سمته الأساسية هو نوع من التوافق الكوني حول الديمقراطية والليبرالية كقيم عليا.

اقترن مفهوم نهاية التاريخ بهذه الدلالة، وبهذا الفهم المحدد، والذي يعني نهاية التطور الايديولوجي للبشرية، ويعني هذا في نهاية المطاف انتصار الليبرالية والديمقراطية الغربية. وترتب عن هذه النهاية عدد آخر من النهايات، ولعل أهم هذه النهايات على الإطلاق هي القول بنهاية زمن الثورات، والتي اقتضت نهاية كل ما له طابع اجتماعي، أو بعبارة أخرى نهاية الديموقراطية الشعبية، ومن ثم بدأ التنظير لمسارات ما بعد الشيوعية[1] ، والتي تردد صداها بعد ذلك في الكثير من الكتابات، ففي "قداس الثورات" (Requiem pour les révolutions) ثمة ربط بين تراجع الاشتراكية وصعود النزعة القومية، حيث أصبحت النزعة القومية هي التي تتحكم في العلاقات بين الدول، وفي نفس الوقت، تحدد اختياراتها الايديولوجية،[2] بينما في "نهاية الديمقراطية"، ثمة تأكيد على أن كل البديهيات التي تأسست عليها المؤسسات منذ القرن الثامن عشر أصبحت تعيش أزمة فعلية، حيث بدت الفروق كبيرة بين النظام السياسي ومختلف الوقائع التي تميز راهن المجتمعات الحالية، ذلك أن الدولة الوطنية التي قامت على ثلاثة أسس مركزية، والمتمثلة في المجال الترابي والتاريخ والمصالح المشتركة، انتهت وتراجعت لصالح عولمة التبادلات الاقتصادية، وفقدت الدولة قدرتها على التحكم والتدخل، فالإرث الديموقراطي الذي خلفته الدولة الوطنية أصبح مهددا بالزوال، والسيادة الوطنية والمكتسبات الناتجة عن الوحدة الوطنية تعرضت إلى انتكاسة كبيرة. حيث تلاشت الحدود، وهيمنت عولمة التبادلات الاقتصادية والتجارية وتكنولوجيا المعلومات على كل العلاقات وفي مختلف الأصعدة، ونتيجة ذلك أصبح النموذج الديموقراطي الغربي يواجه الكفاءة الأسيوية، أي أن نموذجا سياسيا يسائل النموذج الديمقراطي الغربي، حيث الجماعة هي التي تفرض شروطها على الفرد.[3]

2- كارثة تشرنوبيل بداية نهاية التاريخ

لم تكن واقعة انهيار جدار برلين وما رافقها من تطورات وتغيرات ممكنة، لولا الكارثة المأساوية والمتمثلة في تسرب إشعاعات نووية من محطة تشرنوبيل، والتي تذكرنا في هذا السياق بالجائحة التي نعيشها اليوم: جائحة فيروس كوفيد، 19

قبل انهيار جدار برلين بحوالي خمس سنوات بالضبط يوم 26 أبريل 1986، وقعت كارثة مرعبة في أوكرانيا، وذلك نتيجة انفجار المفاعل رقم 4 في محطة شرنوبيل (Tchernobyl) للطاقة النووية، وشكل ذلك في حينها كارثة بشرية وبيئية مرعبة بكل المقاييس، والتي مازالت آثارها وانعكاساتها تلقي بضلالها على العالم إلى يومنا هذا وبالخصوص في أوروبا.

تكمن أهمية انهيار جدار برلين في هذا التحليل في فهم السياقات التاريخية التي ساهمت في هذا الحدث التاريخي، والتي قد تساعدنا في فهم ما يجري الآن فيما يتعلق بجائحة كوفيد19. فسقوط جدار برلين لم يكن ممكنا لولا كارثة

---

[1]- Fejtö François, **La fin des démocraties populaires**. Les chemins du post-communisme, Seuil, 1992.

2- Paul-Marie de la Gorce, **Requiem pour les révolutions**, Flammarion, 1990.

[3]- Jean-Marie Guéhenno, **La fin de la démocratie**, Flammarion, 1993

شرنوبيل، التي سرعت الأحداث بشكل كبير، وأدت إلى انهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي، وحددت معالم العالم فيما بعد،[1] أي العالم الذي نعيش فيه منذ 30 سنة، أي العالم الذي تشكل ببداية كارثة وهو اليوم يعيش تحت وقع كارثة أخرى. فما هي المآلات التي سيأخذ العالم بعد هذه الكارثة؟

جسد جدار برلين أهم رمز يشير إلى انقسام العالم إلى معسكرين: معسكر اشتراكي ومعسكر رأسمالي، وذلك منذ تاريخ تأسيسه سنة 1961، وكان انهياره عقب مظاهرات ضخمة قادها مواطنو ألمانيا الشرقية، والذين طلبوا بحرية التنقل والحركة، ونددوا بالجمود السياسي الذي ساد في ألمانيا الشرقية. ومهد ذلك الطريق نحو توحيد ألمانيا ونهاية المعسكر الاشتراكي، وبداية تشكل عالم جديد وعصر جديد، والذي نظر له من خلال مفهوم نهاية التاريخ.

3- بين كارثة تشرنوبيل ووباء كرونا كوفيد 19

إن القاسم المشترك بين هاتين الكارثتين أنهما وقعتا في بلدين، يتشابهان في الكثير من المستويات، فهما معا يتبنيان نظاما سياسيا يختلف عن ما هو سائد في الغرب، ويشكلان -طريقة أو بأخرى- تهديدا لمصالحه، الأمر الذي أنتج حربا باردة، انتهت بكارثة تشرنوبيل وسقوط جدار برلين، أما الكارثة الثانية، فهي التي نعيش أطوارها اليوم، والتي ليست سوى وجه من أوجه استمرارية الحرب الباردة في آسيا، وانتقال الثنائية القطبية من الصعيد العالمي إلى الصعيد الاقليمي.[2]

كشفت كارثة تشرنوبيل، وكل المحاولات التي انطلقت بهدف إصلاحه من الداخل حالة الضعف التي وصل إليها الاتحاد السوفياتي، فقاد ميخائيل غورباتشوف، آخر رئيس للاتحاد السوفياتي محاولات إصلاحه، مستندا على شعارين أساسين هما: الشفافية (glasnost) و (perestroïka) إعادة البناء،[3] والتي باءت بالفشل. هذا، ومن جانب أخر، فالمفاوضات التي جرت بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بعد حادثة تشرنوبيل تمت بطريقة سيئة للغاية، وكانت لصالح الولايات المتحدة الأمريكية. وعليه، لم يعزز ويقوي انفتاحه على الغرب وضعه الداخلي، ولا موقعه على الصعيد الدولي.[4]

انتهت المحاولات الإصلاحية والمفاوضات إلى فشل ذريع بالنسبة للاتحاد السوفياتي، وشكل ذلك بداية عالم جديد، عنوانه الكبير كان: هو نهاية التاريخ بمعنى انتصار القيم الغربية. واليوم، ونحن إزاء كارثة كونية، حيث تتشابه السياقات والكثير من المعطيات والوقائع، فكارثة اليوم، مصدرها دولة ليست من الغرب، وتتعارض مصالحها معه وعلى وجه الدقة مصالح الولايات المتحدة الامريكية، كما في حالة الاتحاد السوفياتي، غير أن الصين اليوم لا يمكن مقارنتها

---

[1]- Thies Jochen. Les conséquences de Tchernobyl : un atout pour les relations Est-Ouest?. In: ***Politique étrangère***, n°3-1986- 51°année. pp.703-710 in https://cutt.us/JnABE

[2]-Niquet-Cabestan Valérie, « La guerre froide est-elle toujours d'actualité en Asie orientale ? », **Revue internationale et stratégique**, 2001/1 (n° 41), p. 171-177.in : https://cutt.us/X1trl

[3]- Daucé Françoise, « I. Les espoirs de la libéralisation », dans : **La Russie postsoviétique**. Paris, La Découverte, « Repères », 2008, p. 7-23. In https://cutt.us/t3Djr

op.ct..[4] Thies Jochen. Les conséquences de Tchernobyl

بالاتحاد السوفياتي على عهد ميخائيل غورباتشوف، فهي قوة اقتصادية في ذروة نموها وازدهارها، وهي أيضا قوة عسكرية صاعدة في محيطها الاقليمي.[1]

تتشابه الصورة التي تناقلتها وسائل الإعلام العالمية عن وباء كورونا، حيث يتم التأكيد على أن مصدره هو الصين، وهي المسؤولة عنه، بل وصل الأمر إلى تسميته بالفيروس الصيني، حيث ثمة محاولات حثيثة تسعى إلى تحميل الصين مسؤولية ما حدث ويحدث، وبالتالي تحميلها نتائج وانعكاسات ما سيترتب عن الوباء. كما تم الإيحاء بأن الصين تواجه نوعا من تشرنوبيل جديد، وصاحب كل ذلك تسليط الضوء على نقاط الضعف في النظام الصيني.

المحور الثاني: جائحة كوفيد19 وبداية التاريخ

إذا كان من الصعب مقارنة الصين اليوم بالاتحاد السوفياتي في السابق، حيث أن الصين في حالة من الازدهار الاقتصادي، بل إنها تعزز مكتسباتها في كل المجالات، إذ تمكنت من إدارة الوباء بشكل محكم ومن جميع النواحي، وذلك بخلاف ما حدث في الولايات المتحدة الامريكية، ففي كارثة تشرنوبيل تراجع الشرق وتقدم الغرب، وشكل ذلك بداية هيمنة الليبرالية الرأسمالية. أما اليوم، وفي ظل جائحة كورونا، فالصين تملأ الفراغ الذي تخلفه وراءها الولايات المتحدة الأمريكية، فإدارتها المحكمة للوباء سمحت لها بالانتقال من دور المسؤول عن الكارثة إلى دور البطل في أعين الرأي العام الدولي، كما أنها تمكنت من تطوير قوتها الناعمة عن طريق إرسال الأطباء والمعدات والمساعدات الطبية للعديد من الدول المتضررة من جراء الوباء.[2]

تطرح الوضعية الحالية، والسياقات التي استعرضناها جملة من التساؤلات من قبيل: هل تصبح الصين والدول المماثلة لها هي النموذج الذي يمكن الاقتداء به كما حدث قبل ثلاثين سنة من انهيار جدار برلين، حيث أصبحت الليبرالية والديمقراطية الغربية هي النموذج الذي ينبغي أن يقتدى به، والذي يجب أن يسود في العالم؟ وهل يشكل ذلك بداية العودة إلى نموذج الدولة كما تجسدت في النظام الصيني أي تلك الدولة القوية، والتي تمتلك قدرة أكبر على التدخل والمراقبة؟ وهل يعني ذلك نهاية الحركيات العابرة للحدود أم سيتم إعادة صياغتها على أسس جديدة، بحيث تصبح الحدود أكثر مراقبة، ويعاد الاعتبار لسيادة الدولة على مجالها الترابي، مما يمكنها من حماية حدودها ومصالحها الوطنية؟ وهل يمكن أن يحدث للولايات المتحدة الامريكية ما حدث للاتحاد السوفياتي؟

1- العابر للحدود يفرض التعاون والتنسيق الدوليين

إن كل إجابة عن هذه التساؤلات أو محاولة الإجابة عنها، ينبغي أن تبدأ بالتأكيد من أن ما حدث هو عابر للحدود، ويمكن أن تتكرر في المستقبل، وبالتالي فإن ذلك يمثل تهديدا مشتركا للإنسانية، وكان من المفروض التعامل معه على أنه كذلك، وكان ينبغي أن يكون ذلك حافزا للتعاون بين الدول، وأن تقام تدابير مشتركة لاحتوائه، غير أن لا

---

[1] Tanguy de Wilde d'Estmael : La chine et le monde auront –ils change après le coronavirus ? in https://cutt.us/3h0Gu

[2] **Ian Goldin et Robert Muggah. « Après le coronavirus, le monde ne sera plus jamais le même ». dans : the conversation. April 2, 2020 in https://cutt.us/GuXLM**

In https://cutt.us/7unr5 - voir aussi : Michel Duclos. « Le Covid-19 est-il un game-changer géopolitique ? » dans **Institut Montaigne** 19 MARS 2020

شيء من كل هذا حدث، ذلك لأن العالم كان محكوما بمنطق أحادي، والذي جسدته الليبرالية المتوحشة، وعلى هذا الأساس، انتهى العالم إلى الكارثة التي نعيشها أطوارها.

إذا كان العابر للحدود مصدر خطر، فإن ذلك ينبغي أن يكون عاملا رئيسيا في بداية تشكل نظام عالمي جديد، والذي سيقام على أنقاض النظام الحالي، والذي سيؤرخ لبداية تحول في إدارة الشؤون الوطنية والدولة، ويعني ذلك بداية تشكل تعاون دولي، مما يترتب عليه بلورة نوع من الحكامة الدولية[1] (gouvernance mondiale).

تتمثل معالم التحول في إدارة الشؤون الوطنية والدولية، بعد هذه الكارثة في تعزيز دور الدولة الوطنية (Etat-nation) والدولة الراعية (Etat-providence)، ويعني ذلك تقوية المسألة الاجتماعية في السياسات العمومية، وقد يترتب على ذلك تراجع القطاع الخاص في الكثير من المجالات، غير أن ذلك لن يكون ممكنا إلا في إطار دينامية دولية جديدة تقوم على التعاون والتنسيق بين الدول وبين الشعوب.

لا يعني إخضاع الحدود لرقابة الدولة وتنامي قوه الدولة الوطنية نهاية الحركيات العابرة للحدود، وإنما يعني إعادة صياغة الحركيات العابرة للحدود على أسس جديدة، وذلك بهدف ضمان عدم تكرار حدوث كارثة مماثلة للتي نعيشها اليوم، وكذلك سيكون العالم مطالبا بابتكار تدابير استباقية لمواجهة الأخطار التي قد تهدد الانسان في المستقبل، وفي هذا الصدد ستطرح مشكلات البيئة والتلوث والتي تهدد الإنسان والطبيعة.

إن التحديات والأخطار التي طرحت خلالها الثلاثين سنة منذ سقوط جدار برلين إلى حدود وقوع جائحة فيروس كوفيد19، هي التي ستصبح موضوع تعاون دولي، ولن تكون الولايات المتحدة الأمريكية الطرف الوحيد والأكثر هيمنة في ذلك، وإنما ستكون طرفا ضمن أطراف أخرى متعددة، فالأخطار المشتركة والتحديات القادمة هي التي ستكون بمثابة العامل المحفز لقيام تعاون وتنسيق دوليين، ولعل بداية ذلك سيكون البحث عن دواء وتلقيح لفيروس كوفيد19،[2] وبذلك سننتقل إلى نوع من التعددية القطبية، بعدما سادت أحادية قطبية خلال الثلاثين سنة الماضية، وقبلها، عرف العالم هيمنة الثنائية القطبية.

لن تتبلور التعددية القطبية بشكل كامل إلا بعد أن تكتمل وتتضح وبشكل نهائي انعكاسات جائحة كوفيد19 على الدول المتضررة منها، وذلك لن يكون ممكنا إلا بعد مرور خمس سنوات على الأقل كما حدث بعد كارثة تشرنوبيل، وستبدأ معالم هذه التعددية بميلاد منظمات دولية جديدة واختفاء الكثير من المنظمات الدولية الحالية،[3] وقد تكون منظمة الصحة الدولية إحداهما، أو على الأقل سيعاد تأسيسها من جديد كما هو الحال بالنسبة عصبة الأمم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

---

[1]- **Cui Tiankai : « Un nouveau système de gouvernance mondiale doit être mis en place pour répondre aux crises comme le COVID-19 » dans xinhuanews Publié le 2020-04-12 in https://cutt.us/HvtmB**

-Voir aussi : Jean-Louis GUIGOU « Une nouvelle gouvernance mondiale à espérer, un nouvel ordre mondial à construire » dans IPEMED Paris, le 19 Avril 2020 in : https://cutt.us/BAllE

[2]- Ian Goldin et Robert Muggah. « Après le coronavirus, le monde ne sera plus jamais le même ». .op.ct.

[3]- **Michel Duclos. « Le Covid-19 est-il un game-changer géopolitique ? » .op.ct.**

2- الدولة الوطنية وبداية التاريخ

يمثل استعادة الدولة لدورها ومكانتها أهم تحول في عالم ما بعد كوفيد 19، إذ سيصبح مطلوبا بروز الدولة القادرة على التدخل والمراقبة والضبط، والقادرة على حماية حدودها والدفاع عن مصالحها الوطنية، ولكن في نفس الوقت (وهذا هو الأهم) القادرة على ربط التواصل مع العالم والتنسيق والتعاون مع بقية دول المعمور.

يؤرخ هذا التحول لبداية صراع الايديولوجيات، وبالخصوص بين الاتجاهات الفكرية والايديولوجية الكبرى، بين الاشتراكية والرأسمالية وغيرها من الاتجاهات التي تتفرع عنها أو التي قد تتشكل من الديانات السماوية الكبرى وغيرها. وبذلك نشهد عودة بداية التاريخ كمفهوم نقيض لمفهوم نهاية التاريخ.

إن المسار الذي اتخذه تاريخ العالم والقائم في جزء كبير منه على الرأسمالية هو مسار لا رجعة فيه، على اعتبار أن الصين هي صلب الرأسمالية العالمية، وبالتالي فكل التحولات لن تكون خارج هذا النظام، ولكن ستكون من خلاله، وذلك عبر خلق رؤى وتصورات جديدة. فإذا كان العالم سيعيد النقاش والجدل في الكثير من المسلمات، كما ستتغير أولياته وتوجهاته، فإن ما سيوجه كل ذلك سيكون بلا شك هو التصدي للأخطار المشتركة التي تهدد الانسان والبيئة والطبيعة عموما، فالتساؤل المركزي في صراع الأيديولوجيات سيكون: كيف يمكن ضمان روح المبادرة الكامنة في الرأسمالية والتي هي أساس التطور والتقدم السائدين في عالم اليوم؟ وكيف يمكن حماية الانسان والبيئة بمعنى كيف يمكن التوفيق بين الرأسمالية وتعزيز قدرة الدولة على التدخل والمراقبة وتعزيز دورها كدولة راعية؟

3- بداية عالم متعدد ثقافيا

شكلت عولمة وسائل الإعلام والتقنيات الحديثة للمعلوميات القاعدة الأساس الناقلة لقيم الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية، حيث أن هذه الوسائل لم تكن محايدة من الناحية السياسية،[1] فكانت السؤال الرئيسي الذي شغل المهتمين والكثير من الدول والمنظمات يكمن في إيجاد طريقة تسمح باستيراد السلع والخدمات، وفي نفس الوقت إيقاف دخول الأفكار والقيم عند الحدود؟

كانت الكثير من الدول والمنظمات والهيئات الدولية والوطنية تستشعر خطر الأمركة (Américanisation)، والتي كان ينظر إليها في جميع الحالات كتهديد للهويات المحلية والوطنية. ومن أجل ذلك، تم تبني التقنيات الحديثة للمعلوميات والاتصال كوسيلة للتغيير السياسي بالمعنى الليبرالي والديمقراطي، وبالخصوص في آسيا والمحيط الهادي، حيث ساد نوع من التوجه في الكثير من الأوساط الأمريكية أن الحرب الباردة في هذه المنطقة لم تنتهي بعد.[2]

طورت الصين في هذا السياق نظامها المعلوماتي الخاص بها، وشبكاتها الاجتماعية وتطبيقاتها،[3] ومارست رقابة متشددة على الإنترنت القادم من الغرب، ولم يمنعها ذلك من استغلاله بشكل موسع وبطريقة ممنهجة ومحكمة في

---

[1] Hughes Christopher R, « Pourquoi Internet ne démocratisera pas la Chine », **Critique internationale**, 2002/2 (no 15), p. 85-104. https://cutt.us/iE0DE

[2] ibid

[3] Louise Millon : «Comment navigue-t-on sur le web en Chine ? ». Dans **siecledigital** Publié le 2 octobre 2019 in : https://cutt.us/MgekS

أعمال التجارة والاقتصاد،[1] كما وظفته في عمليات المراقبة والضبط، وظهر ذلك بجلاء في طريقة تعاملها مع جائحة كوفيد19، حيث كان حاضرا في كل عمليات تتبع انتشار فيروس كوفيد19 ومحاربته، وأيضا في تعقب المعارضين والعملاء وما شابه ذلك، وذلك من خلال تعميم تقنيات التعرف على الوجه، والتي تستعمل على نطاق واسع في الصين كآلية للضبط والمراقبة. [2]

يشتغل النظام المعلوماتي الصيني بشكل مختلف عن كل الأنظمة المعلوماتية القادمة من الغرب سواء من حيث تقنياته وتطبيقاته، غير أن أهم ميزة ينفرد بها النظام الصيني هي كونه يشتغل باللغة الصينية، ويمكن تحويله وترجمته إلى لغات العالم، بينما النظام المعلوماتي الغربي، فيقوم أساسا على اللغة الإنجليزية، وبالتالي فإن المستخدمين له يكونون مجبرين على التعامل مع اللغة الإنجليزية والمرور عبرها، بخلاف النظام الصيني الذي بالإمكان ترجمتها إلى لغات أخرى، ويترتب عليه -في حالة تسويقه عالميا- تعددية لغوية، إذ أنه في الوقت الراهن موجه للسوق المحلية التي تعتبر أكبر سوق في العالم، ويحتمل في المرحلة القادمة وبعد جائحة كورونا أن يشرع في تسويقه عالميا لوجود ظروف أكثر ملائمة، والمرتبطة -أساسا- بتصاعد القوة الاقتصادية والتجارية للصين، وتراجع الولايات المتحدة الأمريكية.

تتطابق هذه التعددية اللغوية في هذا المستوى، مع تعزيز الدولة الوطنية، مما يسمح بتعزيز الثقافات الوطنية وتراجع العولمة بوصفها نوعا من الأمركة في المقام الأول.[3] بحيث ينضاف ذلك إلى التعددية القطبية على صعيد العلاقات الدولية، مما يعني أن العصر القادم سيكون عصر التعدد والتنوع بامتياز.

خاتمة: العالم لن يعود قرية صغيرة

إن العالم وفق المعطيات والوقائع التي حاولنا استعراضها يتجه نحو تكريس نوع من التعددية في الكثير من المستويات، فالعالم لن يكون من الآن فصاعدا، قرية صغيرة كما كان، سيصبح العالم كبيرا، وفي نفس الوقت سيكون صغيرا.

إن العالم وابتداء من جائحة كوفيد19 سيتسع أكثر فأكثر، ولكنه في نفس الآن، سيصبح من الناحية المجالية متواضعا، بحيث سيكون قابلا للملاحظة والمراقبة والضبط، ذلك أن الحدود ستتعزز وظيفتها، وستصبح حمايتها أكثر ضرورة وأشد إلحاحا من أي وقت مضى، وبالتالي، لا غرابة أن تقارن كوريا الشمالية كدولة بمدينة صغيرة بالمغرب: آسفي.[4] كما لن يكون مستبعدا مقارنة الزعيم الكوري كم جونغ أون بالقائدة حورية قائدة مدينة أسفي،[5] وذلك لأن كليهما راقبا مجاليهما الترابيين، وحافظ عليهما من الخطر القادم من الخارج (كوفيد19).

إن المجال في هذا السياق، كما الحدود ستصبح موضوع رقابة، لأن الخطر يأتي من الحدود، فالمجال والعالم بقدر ما سيتسع بالقدر ذاته سيضيق وينكمش، لذلك سيكون مطلوبا التنسيق والتعاون مع الخارج لمواجهة الأخطار

1- Hughes Christopher R, « Pourquoi Internet ne démocratisera pas la Chine » .op.ct.

2- Louise Millon : «Comment navigue-t-on sur le web en Chine ?».op.cit.

3- Guéhenno Jean-Marie. Américanisation du monde ou mondialisation de l'Amérique .op.ct.

4- آسفي هي مدينة مغربية تقع على ساحل المحيط الأطلسي بين مدينتي الجديدة والصويرة.

5- القائدة حورية قائدة بمدينة أسفي اشتهرت بقوتها وطريقة تواصلها لحث المواطنين بالالتزام بالتباعد الاجتماعي والحجر الصحي خلال حالة الطوارئ الصحية، وشهت في مواقع التواصل بالزعيم الكوري ومدينة آسفي بكوريا لأنها بقيت مدينة إلى حد كبير بعيدة عن الاصابة بفيروس كوفيد 19.

المشتركة[1] (risques partages)، ولكنه سيضيق وينكمش، لأنه سيصبح مفروضا مراقبة وحماية الحدود، فالعابر للحدود قد يكون قاتلا وفتاكا. وهكذا سيتشكل المجال كوحدات صغيرة ينبغي حمايتها من الخارج، ولكن هذا الخارج، سنكون مطالبين باستحضاره في كل حين ووقت، وسيكون بعيدا وفي نفس الوقت قريبا، فالعالم سيحكم من الناحية المجالية بجدلية التقارب والتباعد، إذ سنكون متباعدون ومتقاربون في الوقت نفسه. ويصبح مجالنا الحيوي هو ذاك الذي يوفر لنا الأمن والحماية، وهذا هو الدرس الأول الذي سنتعلمه من الحجر الصحي، والذي فرض علينا في مواجهة فيروس كوفيد19.

سيخضع الأمن لنوع من الهرمية المجالية، والذي ستتشكل كسلسلة تبدأ من السكن العائلي والحي والمدينة فالوطن ثم أخيرا العالم، إن الأمن سيكون تراتبيا، وسيشكل السكن العائلي أول وأصغر حلقة في هذه الهرمية، وأكبر وآخر حلقاته هو العالم، لذلك فإن العالم سيضيق، وسيكون مجالنا هو ذاك الذي نضمن فيه الأمن والحماية، وذلك لن يكون ممكنا إلا من خلال التأكد من أن الخارج بالنسبة لنا من أصغر حلقة إلى أكبرها يتحقق فيها الأمن وتضمن فيه الحماية ، لذلك، فإن الإحساس بالأمن سيرتبط أكثر بالخارج، فلكي نشعر بأننا في أمن في هذه الهرمية المجالية والتي تبتدأ من السكن العائلي وتنتهي بالعالم مرورا بالحي والمدينة والوطن، علينا أن نشعر بأن كل حلقة من هذه الحلقات محصنة ومحمية بما فيه الكفاية. إن الخوف هو من سيوجه الكثير من سلوكاتنا، فهذا الوباء نجح في تعميم الخوف، وأرغم الجميع على التعاون والتنسيق مع الخارج، بحيث أن عالمنا القادم لن يكون إلا متعدد الأقطاب والهويات والثقافة واللغات وجزء من هذا التعدد يكمن تعدد المرجعيات المجالية للأفراد والجماعات، ففي هذا التعدد كل الحوافز التي تشجع على الإبداع والابتكار، أليس في التماثل والتشابه ونهاية التاريخ موت وجمود؟

[1]- ZAKI Laidi :" La mondialisation comme phenomenologie du monde..op.cit

المراجع

- فرانسيس فوكوياما. نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مركز الانماء العربي بيروت 1993.
- «Déclaration universelle de l'UNESCO sur la diversite culturelle» in : https://cutt.us/LMrwW
- Cui Tiankai : « Un nouveau système de gouvernance mondiale doit être mis en place pour répondre aux crises comme le COVID-19 » dans xinhuanews Publié le 2020-04-12, in : https://cutt.us/HvtmB
- Daucé Françoise, « Les espoirs de la libéralisation », dans : La Russie postsoviétique. Paris, La Découverte, « Repères », 2008, p. 7-23. In : https://cutt.us/t3Djr
- Fejtö François, La fin des démocraties populaires. Les chemins du post-communisme, Seuil, 1992.
- Guéhenno Jean-Marie. Américanisation du monde ou mondialisation de l'Amérique ? In : *Politique étrangère*, n°1 - 1999 - 64eannée. pp. 7-20 in : https://cutt.us/q2jil
- Hughes Christopher R, « Pourquoi Internet ne démocratisera pas la Chine », Critique internationale, 2002/2 (no 15), p. 85-104. In : https://cutt.us/iE0DE
- Ian Goldin et Robert Muggah. « Après le coronavirus, le monde ne sera plus jamais le même » dans : the conversation. April 2, 2020 in : https://cutt.us/GuXLM
- Jean-Louis GUIGOU « Une nouvelle gouvernance mondiale à espérer, un nouvel ordre mondial à construire » dans IPEMED Paris, le 19 Avril 2020 in : https://cutt.us/BAllE
- Jean-Marie Guéhenno, La fin de la démocratie, Flammarion, 1993
- Jeanneney Jean-Noël, « La « fin de l'histoire » faribole ou forfanterie ? Dans Vingtième Siècle. Revue d'histoire 2001/1 (no 69), pages 95 à 104. In : https://cutt.us/l34FA
- Louise Millon : « Comment navigue-t-on sur le web en Chine ? ». Dans siecledigital Publié le 2 octobre 2019 in : https://cutt.us/MgekS
- Michel Duclos. « Le Covid-19 est-il un game-changer géopolitique ? » dans Institut Montaigne 19 MARS 2020 In : https://cutt.us/7unr5
- Niquet-Cabestan Valérie, « La guerre froide est-elle toujours d'actualité en Asie orientale ? », Revue internationale et stratégique, 2001/1 (n° 41), p. 171-177.in : https://cutt.us/X1trl
- Paul-Marie de la Gorce, Requiem pour les révolutions, Flammarion, 1990.
- Tanguy de Wilde d'Estmael : La chine et le monde auront –ils change après le coronavirus ? in : https://cutt.us/3h0Gu
- Thies Jochen. Les conséquences de Tchernobyl: un atout pour les relations Est-Ouest? In: *Politique étrangère*, n°3-1986- 51eannée. pp.703-710 in: https://cutt.us/JnABE
- Toussaint Kawaya. « Quelques réflexions sur la nouvelle mondialisation » in :https://cutt.us/Ewloq
- Zaki Laïdi: "La mondialisation comme phenomenologie du monde "in :https://cutt.us/DpxvD
- Zaki Laïdi : les imagiraires de la mondialisation in : https://cutt.us/uHp2S

Activités traditionnelles en crise et espoir du développement du tourisme : cas du massif des Bni-Znassen (Maroc oriental)

Traditional activities in crisis and hope for the development of tourism: The Bni-Znassen massif as a case stady (Eastern Morocco)

Zerouali Sanae[1] ; Zerouali Adnane[2]

1- Faculté des Lettres et des Sciences Humaines. Oujda ; Laboratoire «Littérature générale et comparée, Interculturalité » ; sanaezerouali@gmail.com
2- Docteur en géographie ; adnaneze@gmail.com

Résumé

Depuis très longtemps, l'agriculture a constitué une base de l'économie montagnarde dans tout l'espace marocain. La majorité de la population était à caractère rural. Elle pratiquait de l'agriculture irriguée dans les montagnes, alors que la vie dans les plaines était réservée aux pasteurs. Pour des raisons, historiques, surtout, la montagne constituait des zones de refuges. Avec l'arrivée des français, les choses vont être inversée ; la plaine des Trifa est convertie en un espace attractif suite aux transformations spatiales et hydroagricoles, alors que le massif des Bni-Znassen se dégrade et se détériore. A ce moment, la montagne va connaître plusieurs changements en devenant des espaces répulsifs du fait de la crise des activités traditionnelles et de la société. Pour remédier cette problématique, il paraît nécessaire de diversifier les activités rurales, en introduisant le tourisme qui peut présenter une activité de remplacement, surtout le massif regorge de potentialités touristiques prometteuses.

Mots clés : agriculture, changements, potentialités touristiques, Tourisme, Bni-Znassen

Abstract

For a very long time, agriculture has been the basis of the mountain economy throughout the Moroccan space. The majority of the population was rural in character. It practiced irrigated agriculture in the mountains, as life in the plains was pastoral. For some reasons, namely historical, the mountain constituted areas of refuge. By the French arrival, things changed; they made of '*Tarifa*' plain an attractive space following the spatial and hydro-agricultural transformations, while the '*Bni-Znassen'* massif was undergoing degradation and deterioration. At that time, the mountain knew changes and became a repulsive space by dint of the crisis of the socio-traditional activities. To solve the problem, it was compulsory to diversify rural activities by introducing tourism as a substituting activity, knowing that the massif was a reliable promising area four tourist potential.

Keywords : Tourism, agriculture, changes, tourist potential, Bni-Znassen

Introduction

Le massif des Bni-Znassen tire son identité et son singularité de son individualité dans l'espace qui l'entoure et des caractéristiques naturelles particulières liées à l'altitude, à la pente et au climat. C'est pour cette raison et pour d'autres, que ce massif a été toujours marginalisé et n'a jamais constitué un axe majeur de la politique d'aménagement du territoire régional. Ceci a été des handicaps significatifs entraînant des conditions de vie plus difficiles et restreignant l'exercice de certaines activités économiques comme le commerce ou le tourisme.

Comme plusieurs espaces marocains, le massif des Béni-Snassen a connu de grands changements, dont l'impact sur l'environnement physique et humain était de grande importance. Ainsi, l'augmentation de la population rurale et le rétrécissement des terres mises en agriculture, accompagnés de la diminution des précipitations et de l'agressivité des facteurs d'érosion, ont déclenché la dégradation de l'espace et l'exode rural.

Aujourd'hui, tous les acteurs du développement doivent déployer leurs efforts, d'une manière intégrante et participative, afin d'aménager le massif et de le sauver du dépérissement. En se basant sur les potentialités territoriales, le tourisme peut-être perçu comme une activité pouvant secourir cet espace fragile et fragilisé et participer à son développement durable.

Dans cet article, nous essayerons dans une première étape de montrer le développement de l'agriculture du massif qui constituait la base de l'économie de cet espace et l'élément crucial pour l'implantation humaine jusqu'au début du 20ème siècle. Dans une deuxième étape, nous montrerons les bouleversements que ce massif a connus suite aux changements climatiques dont les impacts étaient néfastes sur l'espace comme sur l'économie et la société. Dans une troisième étame, nous mettrons l'accent sur une reconversion économique probable basée sur le tourisme et sa capacité à résoudre la crise de cet espace marginal et marginalisé. Mais la grande problématique qui s'oppose à cette perception est comment peut-on mettre en relation les potentialités touristiques et le tourisme ? Comment peut-on rapprocher les bouts de ces deux variables en l'absence d'une troisième variable qui est la gouvernance territoriale ?

1. Le massif des Bni-Znassen : un territoire avec une spécificité de grande fragilité agricole

1.1. Secteur agricole en crise

Selon les conditions géographiques et topographiques locales, on peut dire que le massif des Bni-Znassen comporte deux types d'exploitations agricoles économiquement valables :

- les versants septentrionaux et méridionaux, qui s'ouvrent sur la plaine des Trifa au Nord et la plaine des Angads au Sud, enregistrent des exploitations plus ou moins grandes dont les pentes sont acceptables, et par conséquent, peuvent comporter une agriculture mécanisée plus ou moins extensive ;
- le reste de la montagne, c'est-à-dire le massif proprement dit, aux reliefs rudes et aux pentes fortes s'adonne à une petite agriculture intensive pratiquée sur des parcelles en terrasses d'une façon traditionnelle et non marchande. Dans cet espace, l'altitude et la pente constituent des freins à l'accessibilité et limitent parfois la productivité du travail. Ainsi, et pour compenser cette faiblesse économique, les habitants recourent aux transferts des émigrés, aux revenus pastoraux, forestiers et/ ou artisanaux.

En parcourant l'espace Znassni, nous rencontrerons de temps en temps des séguias ruinées qui sont des indices d'un développement de l'agriculture de montagne et qui affirment l'impact des changements climatiques (pénurie en eau d'irrigation).

Photo. 1 : Reste du séguia du douar Guemguem (13/04/2019)

Photo. 2 : Séguia ruine et abandonnée à douar Tagma (le 13/08/2019)

L'étude du patrimoine hydraulique, nous montre que les habitants du massif des Bni-Znassen, pratiquaient de l'agriculture irriguée caractérisée, dans une large mesure comme une agriculture familiale*, qui ne fait appel à la main d'œuvre étrangère que très rarement. Ceci montre que les conditions climatiques étaient favorables à cette pratique et à ce mode d'exploitation. La richesse en eau, permettait l'irrigation des jardins et des vergers qui ornaient les paysages montagnards Znassnis. Ces conditions ont permis aussi, le peuplement de cet espace malgré son relief accidenté.

Toute la population du massif était sédentaire (agriculteurs et éleveurs) et rurale et se répartit sur une multitude de douars dont le peuplement diffère d'un lieu à un autre. Les douars sont souvent perchés sur des crêtes ou sur des pentes qui surplombent quelques petites dépressions ou des terrasses construites pour maintenir le sol et l'eau. Ceci a été confirmé par Mouliéras « La chaîne maitresse, appelée par les indigènes Djbel Beni-Znassen, court de l'est à l'ouest, envoyant au sud et au nord, des collines couvertes de villages et de verdure. Ces hauteurs secondaires reçoivent d'habitude le nom de la fraction ou elles se trouvent. La plus connue est le Djbel Tafour'alt (montagne des monstres ou des fruits non murs) au nord-ouest des Beni Atig »[1].

Toutefois, ce massif abritait de gros douars dont nous citons les plus importants qui dépassent les 50 feux (Tab. 1). Cette grandeur en population a laissé Mouliéras considérer douar Cefrou comme une ville, « Cefrou est une petite ville où les mosquées et les Zaouia sont nombreuses. Les étudiant, forts bien traités, y pullulent »[2].

* - Selon la définition de la FAO, l'agriculture familiale permet d'organiser la production agricole, forestière, halieutique, pastorale ou aquacole qui, sous la gestion d'une famille, repose essentiellement sur la main-d'œuvre familiale, aussi bien celle des hommes que des femmes.

[1] - Mouliéras A, 1895. Le Maroc inconnu : étude géographique et sociologique. Exploration du Rif. Bibliothèque nationale de France, p.185

[2] - Ibid., p.194

Tab. 1. Principaux villages des quatre fractions des Bni-Znassen en 1895

Bni Ourimech		Bni Atig		Bni Mengouch		Bni Khaled	
Villages	Nbre de feux	Douar	Nbre de feux	Douar	Nbre de feux	Douar	Nbre de feux
Oulad Ali Echchbab	50	Tazarin	300	Sidi Ramdan	100	Aghbal	100
Tagma	100	Zegzel	500	Zaouiat Sidi Ali ElBekkay	100	Taghjirt	100
Sidi El haj Said	100	Moulay Idriss	300	El Helaa	200	Oujni	100
Oulad el bachir oumessoud	100	Bni Moussi	500	My driss ennahkla	50		
		Oulad Ettbib	50	Oulad Mimoun	100		
				Sefrou	500		

Source : Mouliéras A. 1895. Le Maroc inconnu : étude géographique et sociologique. Exploration du Rif. Bibliothèque nationale de France, pp. 192-195

Comme partout dans le monde, l'agriculture de montagne se pratiquait sur des exploitations de tailles différentes, mais souvent étroites et petites. Les conditions topographiques (fortes pentes et grandes dénivellations), ne permettent pas l'aménagement de grandes parcelles. Toutefois, cette activité a contribué, pendant des siècles, au maintien de la population sur place tout en assurant un certain développement durable des ressources locales pour qu'elles répondaient aux besoins demandés. L'exploitation de la terre, que ce soit en agriculture, en élevage ou par l'exploitation des forêts, constituait un moyen essentiel de subsistance, d'où sa préservation contre tout genre de détérioration ou de dégradation (repos des parcelles, construction des terrasses). Ainsi, les activités traditionnelles se sont bien développées au fil des siècles dans des environnements souvent rudes et contraignants.

1.2. Déstabilisation des écosystèmes du massif des Bni-Znassen

Avant les années quatre-vingt, le poids démographique ne posait pas beaucoup de problèmes en milieu rural, mais après des années successives de sécheresse, qui se sont répétées sur le Maroc depuis le début de 1980 ont déclenché l'exode rural, qui a touché toutes les campagnes marocaines. Cet exode rural peut être expliqué aussi, en quelque sorte, par la diminution des dépenses de consommation des ménages, dont le rythme d'accroissement est passé de 4,7 % à 2,8 % en milieu rural entre 2007 et 2014, alors que celui du milieu urbain est passé de 2,7% à 3,5 % [1]. L'importance des mouvements de l'exode rural est un indice de crise du monde rural caractérisée par une surpopulation par rapport aux ressources disponibles, ce qui pousse les habitants à fuir leur lieu d'origine comme c'est le cas de notre zone d'étude.

[1] - Haut-Commissariat au Plan, 2108. Enquête nationale sur la consommation et les dépenses des ménages 2013/2014. Rapport de synthèse, p. 23.

Tab. 2. Evolution de la population des communes du massif des Bni-Znassen

Communes	1982	1994	2004	2014	Variation 1982/2014	Taux d'accr. annuel 1982/2014
Ain sfa	5960	5727	5082	4490	-1470	-0.88
Bni khaled	7526	7509	7104	6745	-781	-0.34
Bsara	2489	2311	1922	1428	-1061	-1.72
Aghbal	11883	12474	13809	14908	3025	0.71
Fezouane	3644	7507	10304	5089	1445	1.05
Boughriba	17124	21800	20560	20513	3389	0.57
Chouihia	9728	12800	12539	12245	2517	0.72
Rislane	8572	6008	5195	4265	- 4307	-2.16
Sidi bouhria	7104	5901	5400	4525	-2579	-1.40
Tafoghalt	4937	3787	3150	2735	-2202	-1.83
Zegzel	12588	13399	32210	16137	3549	0.78
Machraâ hammadi	9617	9400	7435	5646	-3971	-1.65
Total	101172	108623	124710	98726	-2446	-0,08

Source : Recensements de la population et de l'habitat du Maroc

La lecture du tableau ci-dessus, nous montre que de nombreuses communes rurales du massif (Tab. 2), ont connues une hémorragie démographique, d'où un changement profond dans l'organisation spatiale tout en contribuant à l'allégement de la charge démographique en milieu rural.

Le tableau fait ressortir aussi, que de grandes variations entre les communs composants le massif des Bni-Znassen, puisque 58,3 % des communes ont enregistré une régression dans leur effectif, dont les plus prononcées sont Rislane (- 4307) et Machraâ hammadi (- 3971). Si 7 communes ont perdu 16371 personnes, les autres ont gagné 13925 personnes, soit un déficit de 2446 personnes. Une grande particularité qui ressort de ce tableau, est que toutes les communes du flanc nord du massif, c'est-à-dire celles en relation avec la plaine des Trifa, ont enregistré un solde positif, surtout les communes de Zegzel, Boughriba et Aghbal (Tab. 2). Par contre, la crise démographique a touché de plein fouet les communes montagnardes et celles ouvertes sur le couloir Oujda-Taourirt.

Les problèmes de dépeuplement de certaines communes du massif, ont eu des impacts négatifs sur l'économie, sur l'espace et sur la société. La forte migration enregistrée dans tout l'espace du massif, a engendré un recul de la population rurale en quantité et en qualité en particulier la catégorie active, que ce soit du point de vue démographique ou du point de vue économique (en âge de production). Ceci a conduit, d'une part au vieillissement des paysans, et d'autre part à la féminisation de la main d'œuvre locale. Ainsi, les activités traditionnelles ne sont plus en mesure d'assurer du travail pour une importante population en quête d'emploi. Peut-être même, les jeunes ne sont plus intéressés par l'activité agricole, parce qu'ils ont vu leurs parents vieillir sans pouvoir améliorer leurs conditions de vie. Cette situation a causé une certaine désertification humaine partout dans le massif des Bni-Znassen, d'où le dépeuplement de plusieurs douars, appelés aujourd'hui « douars fantômes » (photos 3 et 4).

Photo. 3 : Douar Guemguem entièrement vidé (1/05/2019)

Photo. 4 : Douar Boumia, presque entièrement vidé (17/04/2019)

Les changements climatiques, survenus sur tout l'espace marocain, dont le massif des Bni-Znassen fait partie, ont déstabilisés les écosystèmes de montagne influant sur les disponibilités en eau à l'échelle locale. Ils ont aggravé la désertification et la dégradation des terres, contribuant ainsi au recul des terres arables déjà gagnées sur des espaces pentus et accidentés.

La migration, le vieillissement de la population paysanne, la féminisation de la main d'ouvre agricole et le désintéressement des jeunes à la pratique des activités traditionnelles, ont participé ensemble à la crise du secteur agricole. Les conditions topographiques et les changements climatiques ont certainement impacté le paysage agraire qui s'est détérioré. En fait, les fortes pentes, dans la partie centrale et orientale du massif en particulier, s'impose

Photo. 5 : Dégradation des terrasses agricoles suite au dépeuplement du douar Boumia (17/04/2019)

Photo. 6 : Terrasses soutenues par des murailles (en ruine à douar Guemguem (13/04/2019)

comme un obstacle technique dans les divers travaux d'aménagement. Elles demandent des entretiens permanents et une présence continue des propriétaires pour pérenniser les parcelles gagnées sur des pentes et soutenues par des murailles (augmentation des coûts de construction et d'entretien) (photos 5 et 6).

2. Le massif des Bni-Znassen : un espace aux potentialités touristiques prometteuses

2.1. Potentialités touristiques non valorisées

Bien que les montagnes marocaines constituent 21% du territoire national, et malgré leur richesse naturelle et historique, elles souffrent depuis des décennies de la pauvreté et de la marginalisation, résultant de la crise de l'économie montagnarde. Cette dernière, qui est devenue incapable de garantir un niveau de vie décent à la population, en particulier aux

groupes vulnérables d'entre elles, car les systèmes agricoles et pastoraux traditionnels sont devenus incapables de couvrir les besoins de la population locale.

Pour le massif des Bni-Znassen, dont les ressources traditionnelles en crise, peut profiter de sa richesse en patrimoine, que ce soit à l'échelle physique ou à l'échelle culturelle. Malheureusement, le patrimoine et le tourisme constituent des éléments qui ne se complètent pas et ne se croisent pas pour participer ensemble au développement local. Ainsi, comme nous l'avons vu précédemment, les habitants, pour remédier à cette situation, se sont trouvés dans l'obligation de quitter leur patrie natale vers des lieux plus ou moins profitables. Malgré la pluriactivité qu'offrait le massif à ses habitants, la productivité était insuffisante pour amortir le départ de la population active en quête du travail. Toutes ces activités dépendent des conditions climatiques caractérisées ces dernières décennies par la sécheresse et la pénurie en eau.

En l'occurrence, le massif dispose de nombreux atouts qui peuvent créer d'autres activités qui peuvent venir en aide en cas de crise des activités agricoles. Chose qui ne peut se faire que par la valorisation du patrimoine à des fins touristiques, afin que tous les habitants du territoire puissent en profiter. C'est dans ce sens, qu'il faut œuvrer pour impulser tous les facteurs du développement pour la relance d'un dynamisme qui touchera l'espace et ses utilisateurs qui vont lui donner beaucoup plus d'importance, à cause de ses incidences sur l'économie et sur la société, et par conséquent, sur le développement durable du territoire en question. Dans cette perception, il faut que toutes les potentialités locales soient exploitées et managées rationnellement, dans la perspective de développer l'activité touristique, qui dynamisera les activités traditionnelles et participeront ensemble au développement durable du massif des Bni-Znassen.

Parmi les potentialités qui peuvent déclencher l'activité touristique, nous pouvons dire que le patrimoine culturel du massif des Bni-Znassen est riche par la qualité des éléments et des expressions enracinées qui le composent. Sa mise en valeur peut constituer une base pour un développement économique durable, à condition que les festivités et les sites culturels soient exploités d'une manière économique. Ceci peut générer des capitaux, développer des services, créer des emplois et donc assurer des revenus pour les habitants du territoire concerné. Le massif est riche en mosquées et Zaouia qui peuvent constituer un axe touristique de grande importance pour les fidèles Znassnis, qui n'hésitent pas à se rendre à leur village natal. Cette visite est presque estivale lors des « moussems » qui sont organisés dans les mosquées ou dans les Zaouia.

Il est fort demandé de valoriser toutes les potentialités locales, pour une relance du tourisme rural, « Pour le moment, il parait nécessaire de faire de ces moussems un levier pour la participation au développement du tourisme interne, peut-être même externe, eu égard à leur impact sur l'activité économique et la valorisation de la culture locale. Ailleurs, dans certains espaces du Maroc, les moussems constituent des pôles touristiques de divertissement et de développement durable » [1].

Malheureusement, ces événements à caractères religieux, ne sont pas profitables pour la population locale, car ils ne sont pas encore orientés vers le tourisme, générateur de revenus ; « La célébration de ces fêtes religieuses doit être bénéfique pour tout le monde mais surtout pour la population locale, qui doit tirer profit de ces festivités. En d'autres termes, ces dernières ne doivent pas se limiter aux pratiques religieuses. Au contraire, elles doivent constituer un vecteur pour le développement local, et par conséquent, elles sont appelées à gagner encore en

[1]- Zerouali Ad. (2021). Potentialités territoriales et développement durable du massif des Bni-Znassen. Thèse de Doctorat. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines. Fès-Sais, p. 191.

importance afin de déclencher une dynamique de croissance économique et sociale. Jusqu'à présent, les moussems sont surtout l'occasion pour les gens appartenant à telle ou telle tribu, venus parfois de loin, de se rassembler et de partager leur identité culturelle (lieu de spiritualité), célébrer et honorer un saint, et exprimer leurs vœux en contrepartie d'une offrande. Donc, économiquement, ils ne sont pas encore rentables pour la population locale, qui doit saisir l'occasion pour écouler certains produits de terroir »[1].

D'autres potentialités patrimoniales peuvent constituer des éléments de base pour le développement du tourisme, à savoir le patrimoine hydraulique. En fait, en raison de son altitude, ce massif était plus arrosé et par conséquent, l'eau était abondante. Des sources jaillissent de partout, dont les débits sont très variables au cours de la même année, ce qui montre leur relation étroite avec les précipitations. Ces sources ne servaient pas seulement à l'alimentation en eau potable des populations locales, mais elles irriguaient plusieurs vergers et plantations. A cet effet, les paysans avaient construit de remarquables réseaux d'irrigation, qui partent des sources pérennes jusqu'aux champs en contrebas.

L'état actuel des séquias et des parcelles ruinées (témoignage d'une longue histoire) constitue un patrimoine qu'il faut mettre en relief, et le faire connaître aux visiteurs pour partager le savoir-faire entre les générations d'hier et celles d'aujourd'hui concernant l'installation des réseaux hydrauliques, ainsi que les techniques de gestion de l'eau, qui remontent à des périodes très lointaines.

A ces ressources territoriales, de grande importance touristique, le massif des Bni-Znassen (berceau de l'humanité), est de grande célébrité en termes du patrimoine archéologique qui mérite une attention particulière, du fait de sa valeur historique, puisqu'il constitue une véritable mine d'or témoignant de l'histoire de l'humanité. Ce fut le cas de la grotte des pigeons, qui constitue un site archéologique national d'une importance patrimoniale mondiale. N'oublions pas aussi la grotte du chameau, riche par les stalagmites et les stalactites, dont la formation a demandé certainement des milliers d'années. Dans cette caverne, malgré les difficultés d'accès, des visites spéléologiques sont possibles pour les aventuriers séduits par le tourisme souterrain (spéléologie).

Le massif des Bni-Znassen est connu aussi par son patrimoine folklorique qui peut représenter une ressource pour le développement du territoire, du fait qu'il pourra s'inscrire dans un processus de production de services et de développement à plusieurs échelles. Aujourd'hui, ce patrimoine se répand un peu partout au niveau national et s'est récemment internationalisé par sa diffusion dans de nombreux albums de compilation et grâce notamment à la diaspora marocaine en Europe, et par sa présence en de nombreux festivals internationaux[2]. Malheureusement, la valorisation marchande de ce patrimoine n'est pas encore prise en compte dans les projets de développement, alors qu'il peut constituer un atout capable d'augmenter l'attractivité des visiteurs pour cet espace riche en folklore.

2.2. Moyens pour la relance de l'activité touristique dans le massif des Bni-Znassen (d'un espace répulsif à un espace attractif)

Parmi les résultats auxquels nous nous sommes parvenus, est que la présence des potentialités touristiques ne permet pas automatiquement un développement de l'activité du tourisme. C'est le cas de notre zone d'étude, dont les nombreux atouts du massif, devraient déclencher l'activité du tourisme, alliant tourisme culturel, tourisme rural, thermalisme et tourisme vert, surtout la zone dispose d'un fort potentiel sylvicole. La problématique consiste

[1] - Zerouali Ad. (2021). Op. Cit., p. 193

[2] - Zerouali Ad. 2021. Potentialités touristiques et tourisme : un couple divorcé (cas du massif des Bni-Znassen). Librairie Ettalibe. Oujda, p. 84

à trouver les moyens efficaces pour la mise en tourisme de cet espace, resté pendant longtemps marginalisé, dans le développement des projets régionaux. Ainsi, l'infrastructure de base était toujours insuffisante et dérisoire. Cet état n'a pas encouragé les investisseurs à s'intéresser du massif en termes d'infrastructure d'accueil. Pour les agriculteurs aussi, ils ne se sont pas n'arrivés à s'engager dans des démarches leur permettant de valoriser leurs produits malgré leur caractère biologique et dégager de la valeur ajoutée. La commercialisation de ces derniers ne se fait qu'à une échelle très restreinte. L'étroitesse des marchés locaux (commercialisation des produits en circuits courts), n'arrive pas à absorber toute la marchandise, du fait du faible niveau de vie et de la faible fréquentation des souks hebdomadaires par des clients hors de la commune détenant le marché. Souvent, les produits sont abandonnés dans les champs, ce qui n'encourage pas les producteurs à développer les conditions de travail de la terre et ne visent pas l'amélioration de la productivité.

Comme nous l'avons vu précédemment, le massif est passé d'un espace d'implantation humaine à un espace répulsif, à cause des changements climatiques, de la dégradation des terres agricoles et du désintéressement des jeunes à s'adonner aux activités traditionnelles, d'où le déclenchement de l'exode rural et de l'émigration. Aujourd'hui, le massif a connu des grands changements en termes du réseau routier (carte 1), ce qui a facilité l'accès au massif. Le dédoublement de la route reliant ElAioune et Berkane, via le village de Tafoghalt, augmentera certainement le trafic vers le massif. D'autres tronçons ont été aménagés, comme c'est le cas du tronçon reliant le synclinal perché d'Ouled Yahya et la route menant à Berkane, et le tronçon reliant Ain Sfa et Tinissan (Ras Foughal). Cette accessibilité donnera plus de valeur aux produits de terroir de ces deux lieux (agriculture biologique).

Carte 1. Un réseau routier encore insuffisant

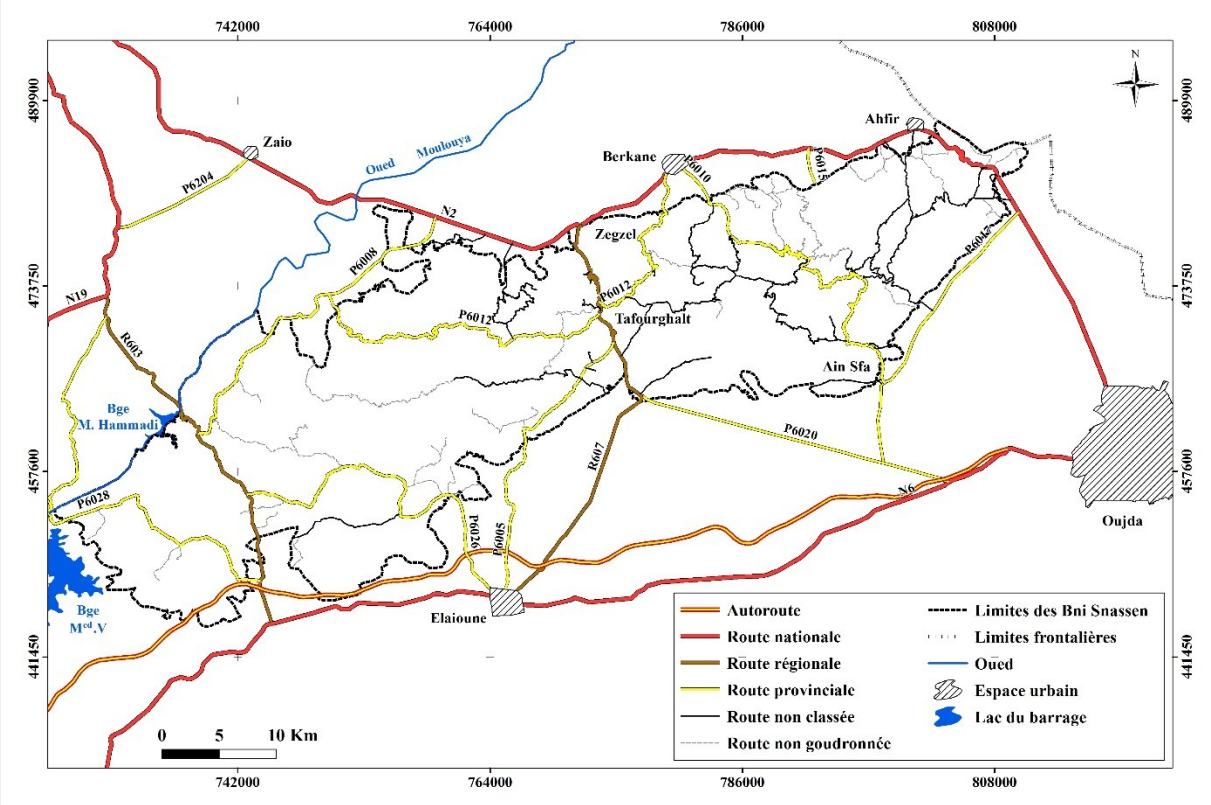

Réalisation : les chercheurs

Source : - Ministère de l'équipement et du transport. Carte du réseau routier. Direction des routes. (2012) - Travail de terrain (2019).

Mais, aujourd'hui, grâce aux aménagements par des routes, plusieurs sites et lieux ont ét désenclavé, ce qui peut valoriser leurs potentialités et participer au développement local. Avec cette nouvelle infrastructure, le massif peut devenir un espace de loisir offrant à ceux qui s'y rendent des moments de loisir et de bien-être. Un plaisir unique en son genre, qui ne laisse indifférent chaque personne ayant l'opportunité de passer un moment d'évasion en ce magnifique lieu.

Pour garantir le passage du massif d'un espace répulsif à un espace attractif, d'autres artères doivent être aménagés, car elles sont encore dans très dégradées. La plupart d'entr'elles sont très étroites, et présentent des sections très dangereuses et nécessitent une grande attention, et par conséquent, n'encouragent pas les visiteurs à les emprunter.

Pour ce qui est de l'infrastructure d'accueil, il n'existe jusqu'à présent aucun hôtel. Toutefois, d'autres formes d'hébergements touristiques spécifiques au milieu montagnard commencent à s'implanter dans le massif comme on peut le dégager de la carte suivante. Ces lieux d'accueil, situés en montagne offrent aux amoureux des paysages ruraux de pratiquer une activité physique et exploratrice.

Carte 2. Gîtes et sites touristiques dans le massif des Bni-Znassen

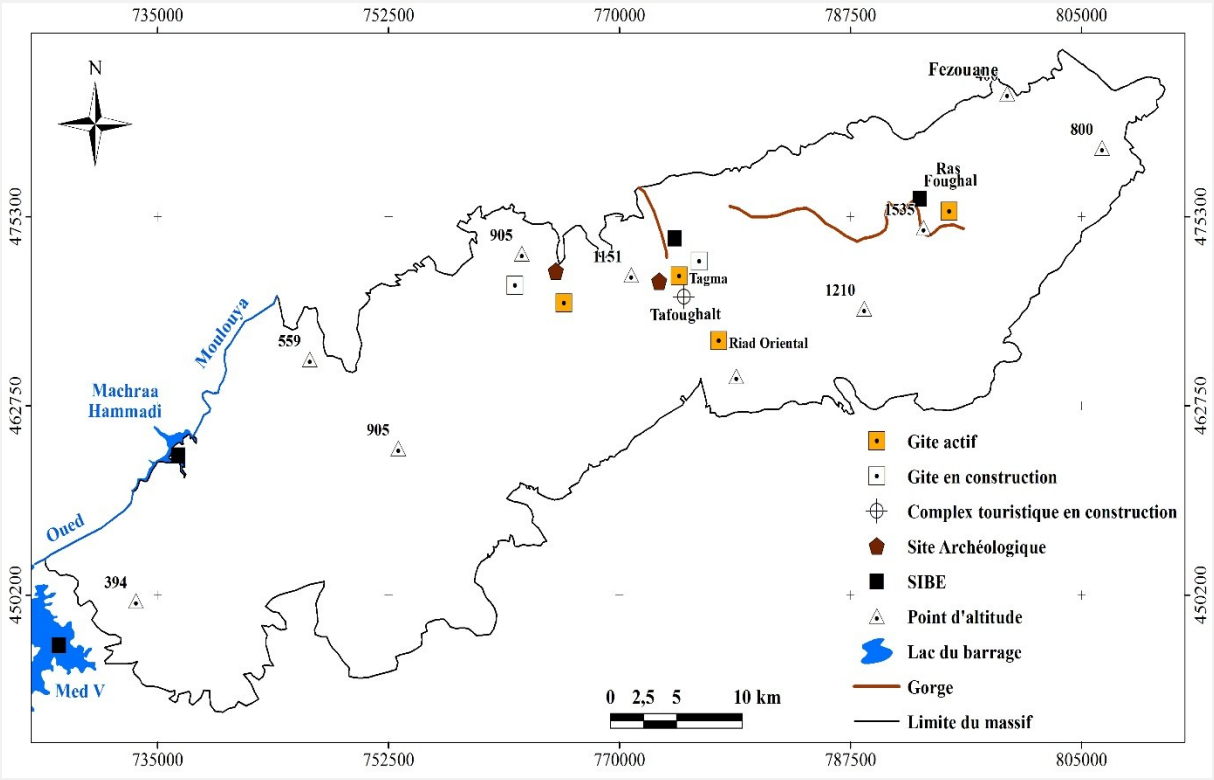

Réalisation : les chercheurs Source : Travaux de terrain (2019).

Le désenclavement de la montagne et l'accélération de l'équipement et de l'accès aux sites touristiques sont des conditions fondamentales de l'avenir du tourisme dans ce massif, appelé à élargir la palette des choix de destinations qui doivent être offertes aux consommateurs.

A ceci, il faut impulser les décideurs à considérer la montagne comme composante essentielle de l'espace, et par conséquent, elle doit être incluse dans les programmes de développement régional. Car souvent, l'aménagement et l'investissement en montagne sont des projets non rentables pour les acteurs du développement, car l'environnement est difficile et

fragile, la productivité est faible, les catastrophes naturelles sont omniprésentes, le manque de terres arables conduisent les paysans à une exploitation non soutenable. Tous ces handicaps n'encouragent pas les investisseurs à instaurer des projets du développement, et préfèrent investir en plaines ou les conditions sont favorables. Pour plusieurs, la montagne doit être conservée comme un patrimoine qu'il faut préserver pour qu'elle garde son identité, alors que les plaines constituent des espaces vouées au développement économique. Nous assistons donc à un certain dualisme ou à une rivalité entre amont at aval, au lieu d'une certaine solidarité spatiale entre les espaces en difficulté (les montagnes), et les espaces en pleines développement (les plaines).

Conclusion

Aujourd'hui, il parait indispensable, pour les acteurs du développement régional, d'aménager le massif des Bni-Znassen et de coordonner cet aménagement afin de sauver cet espace du dépérissement. Le tourisme est alors perçu comme une activité pouvant secourir cet espace et comme un levier voué à contribuer à cet objectif. Le développement du tourisme contribuera certainement à la lutte contre l'exode rural, et participera à l'amélioration de la vie des populations de la zone concernée. Il peut donc, compenser le faible niveau de leurs revenus, ou la plus forte saisonnalité des travaux, et par conséquent, il peut offrir à la population locale une autre activité génératrice de revenus.

Toutefois, il faut maintenir le tissu agricole qui représente un enjeu particulièrement fort dans ce massif, puisque les autres activités alternatives (tourisme) ne sont pas encore en mesure de concurrencer cette activité traditionnelle. Les agriculteurs, via leur présence et les services qu'ils rendent, contribuent à entretenir les paysages et les espaces naturels. Ainsi, au-delà de sa fonction productive première, en préservant l'ouverture des paysages, l'activité agricole conforte l'attrait de la montagne en tant que lieu de loisirs et de ressourcement.

Bibliographie

Aubertin C., 2001, La Montagne, un produit du développement durable. Revue de Géographie Alpine, pp. 51-57.

Moulières A. Le Maroc inconnu : étude géographique et sociologique. Exploration du Rif. Bibliothèque nationale de France. Librairie coloniale et Africaine. Joseph André). Paris. 1895

Zerouali Ad. Potentialités locales, variabilité climatique et développement du tourisme de montagne (cas du massif des Béni-Snassen). Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines. Oujda. Imprimerie Houdayfa. Oujda, pp. 79-87. 2019

Zerouali A., Zerouali Ad. et Bouberria A. Potentialités patrimoniales naturelles et culturelles pour la mise en tourisme du massif des Béni-Snassen. Livre commun sur « Espace, Territoire et Société au Maroc : mutations, dynamiques et enjeux ». Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Mohammedia. Imprimerie : El mottaki Printer, pp. 345-354. 2019.

Zerouali Ad. Potentialités territoriales et développement durable du massif des Bni-Znassen. Thèse de Doctorat. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines. Fès-Sais. 2021.

Zerouali Ad. Potentialités touristiques et tourisme : un couple divorcé (cas du massif des Bni-Znassen). Librairie Ettalibe. Oujda. 2021.

عدنان زروالي. الموسم أو "الوعدة" تراث لا مادي للمحافظة على الهوية الثقافية والتنمية السياحية (حالة بني يزناسن)"مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي. العدد: 31. ص. 295-305. 2020.

Strategy of Relegional and Polotical Terrorism in Middle East during Historical Ages: Comparative Study between Templars and Assassins

"Historical Theorization" Interdisciplinary Study

Dr. Galal Zanaty

Alexandria University- Egypt

إستراتيجية الإرهاب الدينى والسياسى فى الشرق الاوسط خلال العصور التاريخية

دراسة مقارنة بين فرسان المعبد والحشاشين " دراسة بينية"

الدكتور جلال زناتى: قسم العلوم الاجتماعية – جامعة الاسكندرية / مصر

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة إستراتيجية الإرهاب الدينى والسياسى فى الشرق الاوسط خلال العصور التاريخية , دراسة مقارنة بين فرسان المعبد والحشاشين , دراسة بينية , وإعتمدت الدراسة على المنهج التاريخى الذى يعتمد على المصادر فى توثيق الاحداث وخلصت الدراسة إلى أن الارهاب بصورته النمطية ليس له علاقة بدين محدد ولا بعقيدة معينة فليس هناك فرق فى التكوين بين السيكارى أو فرسان المعبد أو الحشاشين إذ إعتمدت تلك التنظيمات على الدعاية الدينية فى الانتشار على الرغم من أن جميعها إرتبطت بأهداف سياسية. وهو الامر الذى يفسر تعدد إرتباط تنظيم داعش دوليا مع عدد من الدول الداعمة لتحقيق مصالح سياسية , وأوصت الدراسة على أن معالجة الارهاب لابد أن تضع فى الاعتبار الجانب التاريخى فى معرفة الجذور للظاهرة وتقديم الحلول المتاحة لتلك الظاهرة التى أصبحت تهدد الامن العالمى.

Summary:

This study deals with the strategy of religious and political terrorism in the Middle East during historical times, a comparative study between the Templars and the Assassins, an intersectional study, and the study relied on the historical approach that relies on sources in documenting events. Certainly, there is no difference in composition between the Sicari, the Templars, or the Assassins, as these organizations relied on religious propaganda to spread, despite the fact that all of them were linked to political goals.Which explains the multiplicity of ISIS's international association with a number of countries supporting the achievement of political interests, and the study recommended that addressing terrorism must take into account the historical aspect in knowing the roots of the phenomenon and providing available solutions to that phenomenon that has become a threat to global security.

Key Words: Startegy & Tactics - Terrorism -Term of Middle East (ME) – Historical Functions of Conflict in ME

The Nature of the Research that arises is divided into several points namely:

Introduction

During this project we doing our best to create a new theory of security "Terrorism as Violence attack" by critic the theory of Dr. Naef Al- Rodhan [1] in Security an intenational relation because the most whriter in field of middle east conflict ignor the effect of Historical Elements which I could called it **"Historo- Polotic"** if we understand those elements we could found soulotions for the conflict because all of types of conflicts like Ehnic & Terrorism have roots from Middle ages till 21th Century.Most believe that private security is a relatively new invention, with some thinking it's a phenomenon created from Neolithic ages, in old Civilization, Ancient Egyptian Kings. At The first written Historical accounts refer that, the great pharaohs and their court officials hired private security to protect themselves and their possessions, pharaoh Ramses II ,in 1300 B.C privately hired Nubian Medjai ,Syrian,Lyban,and Sardinian warriors to supplement his official military and police forces.During the story of Hoopoes of Solomon, in 1000 B.C, we could learn from this Agent Rating, Arrangement, Analyzing, and Prioritization of Security Information by this little Bird.

Middle Ages, the period in European history from the collapse of civilization, Ancient Roman Empire in the 5th century CE to the period of the Renaissance variously interpreted as beginning in the 13th Century, 14th Century, or 15th century, depending on the region of Europe and other factors. A brief treatment of The Middle Ages follows. It would seem unnecessary to observe that the men and women who lived during the thousand years or so preceding the Renaissance Era were not conscious of living in The Middle Ages. [2] The Concept "Middle Ages" tell us more about the Renaissance that followed it than it does about the era itself. Starting around the 14th century, European philosophers, thinkers, writers and artists began to look back and celebrate the art and culture of ancient Greece and Rome. Accordingly, they dismissed the period after the fall of Rome as a Middle or even Dark Age in which no scientific accomplishments had been made, no great art produced, no great leaders born. [3] The Catholic Church in the middle Ages era, after the fall of ancient Roman empire, no single state or government united the people who lived on the European continent. Instead, the Catholic Church became the most powerful institution of the medieval period. The Kings, the queens and other leaders derived much of their power from their alliances with and protection of the Church. [4]

Terrorism can be seen as a specific phenomenon to an asymmetric conflict, waged from inferior states or states, organizations that abstain from the rules imposed by the Geneva Conventions.This is the overriding reason why prevention and combat of this scourge must be found in the national security strategies of all the states in the world..During the whole history, terrorism has existed since ancient times – since antiquity and the middle Ages – its purpose was to cause terror and panic, aggression on human beings and, at the same time, civilization and systems values. The first organization that brings today's terrorist forms of organization is considered by specialists and historians as the zealots of Judea who were organized in various

(1) Zanaty, G., An Introduction to anew Historical Interdiciplinary Studies, Horus Puplicher,Alex,2020,P.3-7.

(2) Jean, P .(2000), "Urban Life," in The New Cambridge Medieval History, vol. 6, ed. Michael Jones (Cambridge: Cambridge University Press), 102-123,.

(3) Jean P., Op.Cit, 102-112.

(4) Zanaty, G., Structure and Functions of Cosmopolitan as a Symbol of Creative Cities, Book of "Creative Cities and Advanced Models for Knowledge, IGI, USA, 2021, p.323-341.

forms to assassinate the Romans (as occupation forces) as well as the Jews, these the latter accusing him of collaborating with the Romans. The motivation of the zealots was of a religious nature, given the differences of religion between them and the Romans, considering that because of the Romans they cannot practice their own religion.Then followed the actions of those in the Order of Assassins, actions that were strikingly similar to those of today's organizations – sending one man to kill an important leader from the enemy. The group disappeared in 1273, after two centuries of its actions sowed terror in the Middle East.From the disappearance of the Assassins' Order to the end of the 1700s, no significant terrorist groups have been registered, and after the French Revolution, the modern era of terrorism began. In 1795, during the French Revolution, for the first time, the word terrorist and the word terrorism were used when the revolutionary government initiated a regime of terror. In response to the regime set up by the government, those who did not recognize. (1)

The Difference between **Startegy** and **Tactics**., the complementary nature of stategy and tactics has defined intertwined existence.in military realm,tactics teach the use of armed forces in engagements,while strategy teaches the use of engagaments to achieve the goals of the war.just as the term "Startegy" originated with the Greeks,so too did term "Tactics".The original meaning of tactics is order literally the "ordrering of information on the battlefield".Chinese general Sun Tzu described the difference this way : All the men can see tactics I use to conquer,but what none can see is the strategy out of which great victory ".(2) Strategy and Tactics atre both how you will achieve your goals and objectives.

The revolution – its opponents – used assassination and intimidation of revolutionary agents as terrorist tactics.Romania has been considered, for a long period of time, a small state without being facing acts of terrorism. That is the reason why, in the real sense of the subject, without having the power we could not reach our way of life and the security of the state.The change has occurred since our country joined the North Atlantic Alliance (NATO) and the European Union (EU). These moments meant the assumption of obligations, including those to support the Member States and to participate – alongside them – in the fight against terrorist acts.The phenomenon of terrorism is at the moment wide and the reasons are multiple: from the increase in the resources available to certain terrorist organizations, the easy access to modern technologies, the improvement of the organizational systems of the terrorist groups, the worrying increase in the number of sympathizers, especially in Western states.All of the above considerations are, in my opinion, sufficiently serious reasons to initiate the study of the phenomenon of terrorism and neoterorism from its own perspective, which – I am sure – will lead to the knowledge of all the procedures and of the ways of action, with the aim of managed to provide confidence, security and freedom to all the inhabitants of the country.**The ancient Greeks** Developed a Sophisticated system of security forces to protect essential government officials as well as the public highways leading into major cities. The practice continued in ancient Rome, where government and wealthy individuals hired private security for protection, often professional soldiers who became mercenaries between the wars and needed the work.

(1) Cosmin-Marius GROZAV, TERRORISM AND NEOTERRORISM,THE ROMANIAN APPROACH, Land Forces Academy Review,Vol. XXIII, No 4(92)) SSciendo,2018).

(2) Cf,Sun Bin,The Art of Warfare : A Translation of the Classic chinese work of philosophy and stategy,by D.C Lau and Roger T. Ames,state University of New york Press,USA,19 mars. 2003.34 Chapter,see Introduction,Strategic Advantage.

About 400 AD.During the Byzantine era, the emperor created the Varangian Guard, to protect himself and his family. The Romans also wrote the "twelve tablets" they formed as Praetorian Guard around this time, thought to be the first official police force. **In Middle Ages**, In Europe in 1215 AD king John of England Refer to duty in fighting crime, Asia (china, Mongol & Japan like Ninja assassins branch of Samurai ,Arab Gulf) the warlords and their wealthy subjects once again were able to utilize private security forces to protect their land and possessions, for Example Prophet Muhammad Created two Individual Agencies for security, first For National Security, Second for National Intelligence.**The Concept of National Security**., A countries national security is its ability to protect itself from threat of violence attack.That is often understood as a capacity of nation to Mobilize Military forces to guarantee its borders and to deter or successfully defend against physical threats including military aggression and attacks by non-state actors such as Terrorism**.International security** also called **global security** is the measures taken by states and international organizations, such as the United Nations, European Union, and others, to ensure mutual survival and safety. (1)

Term of "**Middle East**" (ME), refers to the region from Afghanistan to Morocco geographically, but historically it refers to Mesopotamian region of the Levant.**Estimation of Sitiuation & Expextations:** We could expect that during the conflict during Cold War 1945 till 2019 there is three projects in Geopolotical map in Middle East: First National project from Abd El Nasser to Sadam to El Qadafi to Al Assad, Second, Islamic project in Musslim Brothehood Turkey and Iran as a sympole.Third Poject of Democratic Middle East its has three vision by Israel, Arabs, Kurds). (2)

There were some instances of aircraft hijackings and bombings (such as over Lockerbie Scotland), and a few embassies were attacked or even seized (such as in Tehran), but these operations were not carried out by groups of the Extreme Left The most deadly terrorist act in

(1)Cf, Zanaty, G.(2021), Inteligence Code, 12 Vol, I, History of ancient Espionage, Horus Puplicher,Alex,p.23-118.

(2) Researcher.Zanaty,G.for Example , **Turkey:** Erdogan Will Stay supporting Musslim Brotherhood as a Dream to restore dream of Ottoman Empire " after 100 years of Treaty Lusan 1923" , he also completed his speech against Egypt by support ISIS in lybya he will try to get some victory "Gass Fields" in Midternean Sea Qatar & Israel will support him.**Iran:** It will be under control of united state because united state will make political & SocioEconomic Strategy Norrowing understanding using KSA, UAE, and Israel to make more weakness in Iran.**Israel:** a head of Israel Government by support of White House support and will make more relation Socioeconomic relation with Arabian Gulf against Iran (in Yaman) ,he will using power and mediation of united state , may be used after that its relations with Egypt (for example Stoped Erdogan movements in lybya & Medternean Sea) to make deal with Palstine & Jordan for Israel. **Syrya:** Russia and United States will do mediation between SDF & Al Assad and Al Assad will Leave 28 % from Syrya to SDF, USA will stay to Keep its Geopolotic Goals against Iran and Petrorlyan Fields.Also Erdogan will use Turkman against Kurds of Rojava Syrya but USA will stop him by using EU.**Yaman: Arabian Gulf :** United States of America will make a mediation between Legitimate authority (KSA,, UAE,Egy) and Hothic Forces(Iran ,Qatar) after that yaman will be confiderate state.also USA will support relations between Israel & Arabian Gulf States.possibly be a correct explanation because terrorism had been altogether absent precisely in the most oppressive regimes of the 20th century—Nazi Germany and Stalinist Russia. True, there was virtually no terrorism in the very richest societies and the most egalitarian—but nor was there terrorism in the very poorest A decade passed and most of the terrorist groups of the Far Left disappeared. If there was terrorism during the 1980s, it came to large extent from small cells of the Extreme Right.

the United States prior to September 11 ,2001 ,was the 1995 bombing of a federal building in Oklahoma City, carried out by right-wing extremist sectarians. Nationalist, terrorism continued (in Ulster, the Basque region of Spain, Sri Lanka,Israel, and some other places), but the Islamist terrorism that figures,so prominently today was, as yet, hardly in appearance except sporadically, in some Middle Eastern countries.Today, terrorism and al-Qaida, and similar groups motivated by religious fanaticism, have virtually become synonyms, inevitably perhaps, because most contemporary terrorism is carried out by their adherents. But the temptation to equate terrorism with these groups should be resisted for the simple reason that terrorism ntedates militant Islamism by a very long time and, for all one knows, will continue to exist well after the present protagonists of jihadism have disappeared.Terrorism is not a political doctrine, even though some have attempted to transform it into an ideology; it is, instead, one of the oldest forms of violence—even though it goes without saying that not all violence is terrorism. It probably antedates regular warfare because the fighting of armies involves a certain amount of organization and sophisticated logistics that primitive man did not have [1]. By 18th century, migration into cities was well underway in Europe, with a resultant rise in crime .in 1737 taxes were first used to pay for a night patrol in London and other cites, and in 1748 Hennery Fielding proposed creating a permanent official professional force of security guards. America soon followed the Example .in 1850 created Pinkerton.During World War II (1939-1945 AD) the U.S government used private security to protect vital industries. Afterward, the Cold War created a further need for security for protection against espionage. Security was developed from old to Modern Ages.

For our aims of study this Research is Interdisciplinary Study aims to explain relation between Branches Social Science Like History, Sociology, Economic, Political Science and security and Fostering **A Historical Theorization** by demonstrate that The Concept of Terrorism have a roots during Historical Ages.**Methodology:** Methodology of this research is a comparative analytical study that uses Historical Methodology and the descriptive method and trying to Answer a Research questions: What are the concept of Terrorism in Middle East?, For that the different understanding for this reasons and for the study approach I used in the study is based really on contemporary events, sources close timetable of events and time – delayed sources, while reference is relied upon in the case of thought or idea.

(1) Walter Laqueur, Terrorism: A Brief History, Countering the Terrorist Mentality, eJournal , Research Council at the Center for Strategic and International Studies, Washington, D.C.,2007,. P. 1-4.

Historical Background

Terrorism appears in the Bible's Old Testament, and there were frequent incidents of political murder, even systematic assassination in Greek and Roman history.The murder of Julius Caesar, to give but one example, preoccupied writers and artists for the next two millennia. The question of whether tyrannicide (such as undertaken by Investigators examine the remains of Pan Am flight 103, which exploded over Lockerbie, Scotland, on December 22, 1988. All 259 persons on board and 11 people on the ground died. Sicarius" redirects here. For the terrorist group named after the Sicarii, For the Haredi gang named after the Sicarii, see Sikrikim. For the Roman-era laws concerning the usurping occupant of lands in Judea.The Sicarii (Modern Hebrew סיקריים :(siqariyim) were a splinter group of the Jewish Zealots who, in the decades preceding Jerusalem's destruction in 70 CE, strongly opposed the Roman occupation of Judea and attempted to expel them and their sympathizers from the area. The Sicarii carried sicae, or small daggers, concealed in their cloaks. At public gatherings, they pulled out these daggers to attack Romans and alleged Roman sympathizers alike, blending into the crowd after the deed to escape detection.The Sicarii are regarded as one of the earliest known organized assassination units of cloak and daggers, predating the Islamic Hashishin and Japanese ninja by centuries.The derived Spanish term sicario is used in contemporary Latin America to describe a hitman working for a drug cartel. (1)

Philosophers and theologians were aware even then that there was a grave danger of misusing the doctrine of justifiable tyrannicide.claiming ultima ratio when, in fact, there was no justifiable reason for killing (such as in the case of the murder of the good King Henri IV of France) or when there existed other ways to express protest and Resistance In the meantime, small groups engaging in systematic terrorism over long periods had arisen, such as the secret sect of the Assassins, an offshoot of the Muslim Ismailis, which operated from the 8th into the 14th century from what is now Iraq and Iran, killing governors prefects, caliphs, and a crusader king of Jerusalem. They pioneered suicide terrorism—their weapon was always the danger, and since their victims were usually well guarded, the chances of escaping were virtually nil. Even the language they used has survived—a fighter was a fida'i, a term used to this day Terrorism continued to be active through the end of the Middle Ages into Modern Times, though on a somewhat reduced scale. This was the age of great wars such as the Thirty Years War (1618-1648) and the Napoleonic Wars (1799-1815). And in such periods, when a great many people

(1) Goodman, Martin (2008). Rome and Jerusalem: The Clash of Ancient Civilizations. New York City: Vintage Books. p. 407.Cf,Pichtel, John, Terrorism and WMDs: Awareness and Response, CRC Press (April 25, 2011) p.3-4.

were killed and wounded on the battlefields, no one would pay much attention if terrorist violence occurred here and there on a small scale [1].

Terrorism is a highly complex and constantly changing phenomenon, which makes headlines on a daily basis and stands at the forefront of national and international agendas. It has many forms and is associated with a wide variety of groups. They range from nationalist-separatist organisations and right-wing and left-wing groups, to political religious networks and groups and individuals that commit terrorist acts based on other or mixed motivations or ideologies .Of all different kinds of political-religious terrorism, (transnational) jihadi terrorism is the most threatening one to western values, interests and societies. This form of terrorism is the product of a combination of Islamist ideology and the idea of the jihad. The latter term can be translated as a fight or a quest. It connotes a wide range of meanings and has two distinct forms.The first is the so-called 'greater jihad' as explained by The Prophet Mohammed. This jihad is inward-seeking: it involves the effort of each Muslim to become a better human being, to struggle to improve him- or herself and, as a result, to be a good Muslim. In addition, the greater jihad is a test of each Muslim's obedience to God and willingness to implement His commands on earth. The second form is the so-called 'lesser jihad'. It sanctions the use of violence against an unjust ruler, whether Muslim or not, and can become the means to mobilize that political and social struggle.Today's most radical and violent Islamic groups ignore the greater jihad and adopt the lesser jihad as a complete political and social philosophy.1 These groups also advocate the lesser jihad as a duty for all individual Muslims [2].

What impact will terrorism have on ME cities? Historically, large-scale violence has impacted cities in three ways. First, concentrations of people have an advantage in defending themselves from attackers, making cities more appealing in times of violence. Second, cities often make attractive targets for violence, which creates an incentive for people to disperse. Finally, since warfare and terrorism often specifically target means of transportation, violence can increase the effective cost of transportation, which will usually increase the demand for density. Evidence on war and cities in the 20th century suggests that the effect of wars on urban form can be large (for example, Berlin in World War II), but more commonly neither terrorism nor wars have significantly altered urban form. As such, across America the effect of terrorism on cities is likely to be small. The only exception to this is downtown New York which, absent large-scale subsidies, will probably not be fully rebuilt. Furthermore, such subsidies make little sense to us.The tendency of marauders to destroy large urban areas helps us to understand why, historically, urban life disappears during chaotic periods. For example, the urban world.that grew under the Pax Romana disappeared from much of Europe during the subsequent middle ages. In no small part, this disappearance occurred because large cities were regularly being sacked. The most famous example, of course, is Rome itself which was sacked regularly for centuries after Alaric first seized the city. A farmer in the campagna might hope to avoid the attention of the marauding hordes. A shopkeeper in Rome was pretty sure to have his goods and shop stolen or destroyed. Unsurprisingly the Rome in 800 A.D. had less than 10 percent of its 400 A.D. population Rome is, of course, far from being the only example of a target city. Indeed, as Pounds. Writes "the destruction of urban life. Was on a far greater scale along the

(1) Ibid,p.5-6.

(2) Edwin Bakker,Jihadi terrorists in Europe ,NETHERLANDS INSTITUTE OF INTERNATIONAL RELATIONS,CLINGENDAEL, December 2006,p.1-2.

empire's northern frontier and in the Balkan peninsula." Trier in Belgium was sacked three times in other times and in other places, wars have also decimated cities. The Thirty Years War led to a massive de-population of German cities. Wedgwood, writes that between 1620 and 1650, "the population of Marburg, eleven times occupied, dwindled by half." Augsburg also lost more than one-half of its population. The great cities of pre Columbian America all but disappeared during the Spanish conquest. The urban world of the Byzantine Empire collapsed along with imperial authority when cities end up without the military strength to protect their riches, they are invariably targets, and destruction tends to follow. The objective of terrorists is destruction, not plunder, but cities are still ideal targets. The best evidence for this is that the September 11 attack targeted the single highest density area in the United States. It seems likely that this attraction of terrorism to density will continue and will create an added cost to urban agglomeration [(1)].

while identifying many of the same characteristics, adds that the "Middle Ages in Western Christendom between the 11th and the 14th centuries was nevertheless held together by the dual yet competitive universalistic claims of the Empire and the Church.21 In his view, the notion of the Middle Ages as a disorderly system ignores the forces which gave it coherence. He then argues that a similar dualism exists today with regard to the state on the one side and the globalized market economy on the other.There are several difficulties with this, however. First, Friedrichs discussion of the Middle Ages is highly selective both geographically and temporally. Second, even if we accept that the universalistic claims he identifies provided a critical degree of order, it is not clear that either the state or the transnational market economy can do the same in the 21st century. On the contrary as suggested below—globalization, far from helping to impose a degree of order, actually compounds the disorder Clearly, Cerny's encapsulation of the new medievalism is far more compelling than Friedrichs especially in terms of its emphasis on disorder Unlike Friedrichs, Cerny sees contemporary forces such as globalization and connectivity as having profoundly negative as well as positive effects. When combined with technology that has become more diffused and easily acquired, the result is not only an empowerment of what James Rosenau almost 20 years ago termed "sovereignty-free actors," but also a turbocharging of global politics.23 The speed of travel and communications, the ease and low cost of business transactions, the volume and velocity of financial flows the pervasiveness of television, and the growing reach of the Internet have created a world that would be unintelligible not only to citizens in the Middle Ages but also to many of those who lived in the first half of the 20th century.We live in a somewhat paradoxical era when political conditions and the dispersion of authority increasingly resemble the Middle Ages, but the forces of modernity, technology, and globalization add a whole new set of challenges to the viability and integrity of the state system and make the provision of security—at the national, public, and individual levels—increasingly problematic. Cerny, of course recognizes all this and sums it up in his notion of the security deficit." 24 This is based on the contention that traditional state approaches to the provision of security such as the maintenance of a global or regional balance of power are increasingly irrelevant to contemporary and future challenges At the same time, Cerny contends that "such turbulence does not necessarily mean chaos.

([1]) Edward L. Glaeser, Jesse M. Shapiro, CITIES AND WARFARE, THE IMPACT OF TERRORISM ON URBAN FORM, aper was written for a Journal of Urban Economics Symposium on terrorism and the future of cities. , Harvard University, November 30,2001,P.1-2,9.

In the late 1980s, Fourth Generation Warfare (4GW) theorists began to recognize a shift in warfare which they assumed was both in the character and nature of war their ideas and publications triggered a captivating dialogue on how warfare was changing. This debate helped prompt the U.S. military to recognize the change and begin its transformation. However, over the ensuing years, a number of military thinkers and strategists demonstrated that the 4GW theorists did not get it all right. They set the stage for a generation of subsequent theorists to follow with their own predictions of future warfare. Frank Hoffman entered the scene near the end of the future war debate He compellingly argued that warfare is converging, blending into a hybrid form, wherein adversaries will use all capabilities at their disposal. The key to success in such a period of change and persistent conflict is an agile strategic approach that relies on a wide array of capabilities. Accordingly, the U.S. must review and adjust its national strategies, warfighting concepts, and force structures. The nation must be able to adaptively and effectively combine these new capabilities to prevail in the hybrid conflicts that will dominate the near to mid-term.

There are four prior generations of warfare: First Generation involves mass anpower. Second Generation is mass firepower that replaced mass manpower where movement became based on advancing lines of firepower. Third Generation involves qualitative maneuver opposed to quantitative fire. Lastly, the Fourth Generation represents nsurgency. In Fourth Generation we see global insurgency involving franchises on non-state actors acting in coordinated concert against the state-based system. This entailed psychological warfare and the fighting against the technology of westernized, developed states where groups, such as al-Qaeda, thrived. 5GW involves conflict between identity-based groups, which broadly includes cultural, social, economic conflict. This can be seen as warfare designed to end democracy. It is not aimed at the state, but is focused on the erosion of state institutions, and weakening the bonds that hold states together. 5GW can therefore be used by a state, but equal, represents a move away from the state towards a particular cause empowered by its populations [(1)].

One of the characteristics of human beings is that we make war with weapons our limbs and teeth are unimposing, and have probably atrophied over evolutionary time because our big brains allowed us to hunt and fight as a cooperative enterprise. Big brains also allowed us to fashion clubs, spears and other such instruments of violence The earliest weapons—clubs, spears, slings, bows and arrows—typically required wood construction, even if the business end was made of sharpened stone or, at later times, of metal [(2)].

Guerrilla warfare as a global concern despite the impressive technological innovations of the twentieth century, the principles of warfare are not modern but ancient; they were well established when Caesar marched out on his first campaign. And what is true of war in general is even more true, if possible, of guerrilla warfare in particular. In the works of modern theorists certain parallel terms such as people's war, mobile war and protracted war are often found, as well as the expressions of terrorism and urban-terrorism. In essence these may all be related to guerrilla warfare, yet there are fundamental differences which should be kept in mind. Laqueur warns in the preface of his book that terms such as revolutionary war, people's war or iberation

(1) Cf, Colonel Steven C. Williamson ,FROM FOURTH GENERATION WARFARE TO HYBRID WAR ,United States Army,USA,2009,p.3.see also Phil Williams,FROM THE NEW MIDDLE AGES,TO A NEW DARK AGE,THE DECLINE OF THE STATE,AND U.S. STRATEGY,June 2008,P.5-10.

(2) J.R. McNeill, Forests and Warfare in World History, Georgetown University, USA,p .1-3.

struggle may be applicable to certain specific cases, yet can be misleading if used elsewhere. Furthermore the description urban-guerrillas is more accurately expressed as urban-terrorists [1].

In the year 1118--nineteen years after the first crusade had ended with the defeat of the Moslems, the capture of Antioch and Jerusalem, and the instalment of Godefroi de Bouillon as king of the latter city--a band of nine French gentilshommes, led by Hugues de Payens and Godefroi de Saint-Omer, formed themselves into an Order for the protection of pilgrims to the Holy Sepulchre. Baldwin II, who at tmoment succeeded the throne of Jerusalem, presented them with a house near the site of the Temple of Solomon--hence the name of Knights Templar under which they were to become famous. In 1128 the Order was sanctioned by the Council of Troyes and by the Pope, and a rule was drawn up by St. Bernard under which the Knights Templar was bound by the vows of poverty, chastity, and obedience. [2] But although the Templars distinguished themselves by many deeds of valour, the regulation that they were to live solely on alms led to donations so enormous that, abandoning their vow of poverty, they spread themselves over Europe, and by the end of the twelfth century had become a rich and powerful body. The motto that the Order had inscribed upon its banner, "Non nobis, Domine, sed nomini tuo da gloriam," was likewise forgotten, for, their faith waxing gold, they gave themselves up to pride and ostentation. Thus, as an eighteenth-century masonic writer has expressed it: The war, which for the greater number of warriors of good faith proved the source of weariness, of losses and misfortunes, became for them (the Templars) only the opportunity for booty and aggrandizement, and if they distinguished themselves by a few brilliant actions, their motive soon ceased to be a matter of doubt when they were seen to enrich themselves even with the spoils of the confederates, to increase their credit by the extent of the new possessions they had acquired, to carry arrogance to the point of rivalling crowned princes in pomp and grandeur, to refuse their aid against the enemies of the faith, as the history of Saladin testifies, and finally to ally themselves with that horrible and sanguinary prince named the Old Man of the Mountain Prince of the Assassins [3].

The truth of the last accusation is, however, open to question. For a time, at any rate, the Templars had been at war with the Assassins. When in 1152 the Assassins murdered Raymond, Comte de Tripoli, the Templars entered their territory and forced them to sign a treaty by which they were to pay a yearly tribute of 12,000 gold pieces in expiation of the crime. Some years later the Old Man of the Mountain sent an ambassador to Amaury, King of Jerusalem, to tell him privately that if the Templars would forgo the payment of this tribute he and his followers would embrace the Christian faith. Amaury accepted, offering at the same time to compensate the Templars, but some of the Knights assassinated the ambassador before he could return to his master. When asked for reparations the Grand Master threw the blame on an evil one-eyed Knight named Gautier de Maisnil [4]. It is evident, therefore, that the relations between the Templars and the Assassins were at first far from amicable ; nevertheless, it appears probable that later on an understanding was brought about between them. Both on this charge and on that

---

([1]) Cf, CONTEMPORARY CONFLICT & THE FIFTH GENERATION OF WARFARE Date: February, 22nd 2018,p.1-4.see University of Pretoria etd - McLeod AJ, (2004),p.49-51.

([2])Nesta Webster ,The Knights Templar, the Assassins, the Johannite Heresy, and Satanism ,p.1-3.

([3]) Ibid, p.4-12.see also Développement des abus introduits dans la Franc-maçonnerie,1780, p.56.

([4]) Jules Loiseleur, La doctrine secrète des Templiers, p. 89.

of treachery towards the Christian armies, Dr. Bussell's impartial view of the question may be quoted: When in 1149 the Emperor Conrad III failed before Damascus, the Templars were believed to have a secret understanding with e garrison of that city; . . . in 1154 they were said to have sold, for 60,000 gold pieces, a prince of Egypt who had wished to become a Christian; he was taken home to suffer certain death at the hands his fanatical family. In 1166 Amaury, King of Jerusalem, hanged twelve members of the Order for betraying a fortress to Nureddin.And Dr. Bussell goes on to say that it cannot be disputed hat they had " long and important dealings " with the Assassin " and were therefore suspected (not unfairly) of imbibing their precepts and following their principles [1].

By the end of the thirteenth century the Templars had become suspect, not only in the eyes of the clergy, but of the general public. "Amongst the common people," one of their latest apologists admits" vague rumours circulated. They talked of the covetousness and want of scruple of the Knights, of their passion for aggrandizement and their rapacity. Their haughty insolence was proverbial. Drinking habits were attributed to them ; the saying was already in use ' to drink like a Templar.' The old German word Tempelhaus indicated house of ill-fame [2].The same rumours had reached Clement V even before his accession to the papal throne in 1305,and in this same year he summoned the Grand Master of the Order, Jacques du Molay, to return to France from the island of Cyprus where he was assembling fresh forces to avenge the recent reverses of the Christian armies.Du Molay arrived in France with sixty other Knights Templar and 150,000 gold florins, as well as a large quantity of silver that the Order had amassed in the east. [3] The Pope now set himself to make enquiries concerning the charges of unspeakable apostasy against God, detestable idolatry, execrable vice, and many heresies " that had been " secretly intimated " to him. But, to quote his own words Because it did not seem likely nor credible that men of such religion who were believed often to shed their blood and frequently expose their persons to the peril of death for Christ's name and who showed such great and many signs of devotion both in divine offices as well as in facts, as in other devotional observances, should be so forgetful of their salvation as to do these things, we were unwilling . . . to give ear to this kind of insinuation (hujusmodi insinuacioni ac delacioni ipsorum…aurem noluimus inclinare). [4]

The King of France, Philippe le Bel, who had hitherto been the friend of the Templars, now became alarmed and urged the Pope to take action against them; but before the Pope was able to find out more about the matter, the King took the law into his own hands and had all the Templars in France arrested on October 13, 1307. The following charges were then brought against them by the Inquisitor for France before whom they were examined. The ceremony of imitation into their Order was accompanied by insults to the Cross, the denial of Christ, and gross obscenities. The adoration of an idol which was said to be the image of the true God.,

---

([1])F.W. Bussell, D.D., Religious Thought And Heresy in the Middle Ages, pp. 796, 797 note 3.

([2]) G. Mollat, Les Papes d'Avignon, 1912, p. 233.

([3]) Michelet , Procès des Templiers, I.2 (1841). This work largely consists of the publication in Latin of the Papal bulls and trials of the Templars before the Papal Commission in Paris contained in the original document once reserved at Notre Dame. Michelet says that another copy was sent to the Pope and kept under the triple key of the Vatican. Mr. E.J. Castle, K.C, however, says that he has enquired about the whereabouts of this copy and it is no longer in the Vatican (Proceedings against the Templars in France and in England for Heresy, republished from Ars Quatuor Coronatorum, Vol. XX. Part III. p 1.

([4]) M. Raynouard, Monuments historiques relatifs à la condamnation des Chevaliers du Temple et de l'abolition de leur Ordre,1813, p, 17.Cf , Michelet, op. cit.,1841, I. 2.

The omission of the words of consecration at Mass.,the right that the lay chiefs arrogated to themselves of giving absolution., authorization of unnatural vice .To all these infamies a great number of the Knights, including Jacques du Molay, confessed in almost precisely the same terms ; at their admission into the Order, they said, they had been shown the cross on which was the figure of Christ, and had been asked whether they believed in Him, when they answered yes, they were told in some cases that this was wrong (dixit sibi quod male credebat) (1) because He was not God, He was a false prophet (quia falsus propheta erat, nec erat Deus).Some added that they were then shown an idol or a bearded head which they were told to worship (2); one added that this was of such " a terrible aspect that it seemed to him to be the face of some devil, called in French un maufé, and that whenever he saw it he was so overcome with fear that he could hardly look at it without fear and trembling. (3)All who confessed declared that they had been ordered to spit on the crucifix, and very many that they had received the injunction to commit obscenities and to practise unnatural vice. Some said that on their refusal to carry out these orders they had been threatened with imprisonment, even perpetual imprisonment ; a few said they had actually been incarcerated (4); one declared that he had been terrorized, seized by the throat, and threatened with death. (5) Since, however, a number of these confessions were made under torture, it is more important to consider the evidence provided by the trial of the Knights at the hands of the Pope, where this method was not employed Now, at the time the Templars were arrested, Clement V, deeply resenting the King's interference with an Order which existed entirely under papal jurisdiction, wrote in the strongest terms of remonstrance to Philippe le Bel urging their release and even after their trial, neither the confessions of the Knights nor the angry expostulations of the King could persuade him to believe in their guilt. (6) But as the scandal concerning the Templars was increasing, he consented to receive in private audience " a certain Knight of the Order, of great nobility and held by the said Order in no slight esteem," who testified to the abominations that took place on the reception of the Brethren, the spitting on the cross, and other things which were not lawful nor, humanly speaking, decent(7) The Pope then decided to hold an examination of seventy-two French Knights at Poictiers in order to discover whether the confessions made by them before the Inquisitor at Paris could be substantiated, and at this examination, conducted without torture or pressure of any kind in the presence of the Pope himself, the witnesses declared on oath that they would tell " the full and pure truth." They then made confession which were committed to writing in their presence, and these being afterwards read aloud to them, they expressly and willingly approved them (perseverantes in illis eas expresse et sponte, prout recitate fuerunt approbarunt) (8).Besides this, an examination of the Grand Master, Jacques du Molay, and the Preceptors of the Order was

(1) Michelet, Procès des Templiers, II. 333.
(2) Ibid., 290, 295,299,300, 333.
(3)Dixit per juramentum suum quod ita est terribilis figure et aspectus quod videbatur sibi quod esset figura cujusdam demonis, dicendo gallice d'un maufé, et quod quocienscumque videbat ipsum tantus timor eum invadebat, quod vix poterat illud respicere nisi cum maximo timore et tremore."--Ibid., p. 364.
(4) Ibid, pp. 284, 338.CF " Ipse minabatur sibi quod nisi faceret, ipse ponereteum in carcere perpetuo-Ibid., p. 307.

(5) et fuit territus plus quam unquam fuit in vita sua : et statim unus rum accepit eum per gutur, dicens quod oportebat quod hoc faceret, vel moreretur."--Ibid., p. 296.
(6)Mollat, op. cit., p. 241.
(7) Procès des Templiers, I. 3 : Mr. E.J. Castle, op. cit. Part III. p. 3. (It should be noted that Mr. Castle's paper is strongly in favour of the Templars.
(8) Ibid., I. 4.

held in the presence of " three Cardinals and four public notaries and .many other good men." These witnesses, says the official report, " having sworn with their hands on the Gospel of God " (ad sancta dei evangelia ab iis corporaliter tacta) that they would on all the aforesaid things speak the pure and full truth, they, separately, freely, and spontaneously, without any coercion and fear, deposed and confessed among other things, the a denial of Christ and spitting upon the cross when they were received into the Order of the Temple. And some of them (deposed and confessed) that under the same form, namely, with denial of Christ and spitting on the cross, they had received many Brothers into the Order. Some of them too confessed certain other horrible and disgusting things on which we are silent. . . . Besides this, they said and confessed that those things which are contained in the confessions and depositions of heretical depravity which they made lately before the Inquisitor (of Paris) were true.Their confessions, being again committed to writing, were approved by the witnesses, who then with bended knees and many tears asked for and obtained absolution(1).The Pope, however, still refused to take action against the whole Order merely because the Master and Brethren around him had " gravely sinned," and it was decided to hold a papal commission in Paris. The first sitting took place in November 1309, when the Grand Master and 231 Knights were summoned before the pontifical commissioners. " This enquiry," says Michelet, " was conducted slowly, with much consideration and gentleness (avec beaucoup de ménagement et de douceur) by high ecclesiastical dignitaries, an archbishop, several bishops, etc. (2) But although a number of the Knights, including the Grand Master, now retracted their admissions, some damning confessions were again forthcoming. It is impossible within the scope of this book to follow the many trials of the Templars that took place in different countries--in Italy, at Ravenna, Pisa, Bologna, and Florence, where torture was not employed and blasphemies were admitted, (3) or in Germany, where torture was employed but no confessions were made and a verdict was given in favour of the Order. A few details concerning the trial in England may, however, be of interest. It has generally been held that torture was not applied in England owing to the humanity of Edward II, who at first, absolutely refused to listen to any accusations against the Order.On December 10, 1307, he had written to the Pope in these terms : And because the said Master or Brethren constant in the purity of he Catholic faith have been frequently commended by us, and by all our kingdom, both in their life and morals, we are unable to believe in suspicious stories of this kind until we know with greater certainty about these things.We, therefore, pity from our souls the suffering and losses of the Sd. Master and brethren, which they suffer in consequence of such infamy, and we supplicate most affectionately your Sanctity if it please you, that considering with favour suited to the good character of the Master and brethren, you may deem fit to meet with more indulgence the detractions, calumnies and charges by certain envious and evil disposed persons, who endeavour to turn their good deeds into works of perverseness opposed to divine teaching ; until the said charges attributed to them shall have been brought legally before you or your representatives here and more fully proved (4).(21 Edward II also wrote in the same terms to the Kings of Portugal, Castile, Aragon, and Sicily. But two years later, after Clement V had himself heard the confessions of the Order and

(1) Procès des Templiers, I. 5.
(2)Michelet in Preface to Vol. I. of Procès des Templiers
(3)Jules Loiseleur, 1872, La Doctrine Secrète des Templiers, p. 40.
(4) Ibid., p. 16.CF, Proceedings against the Templars in France and England for Heresy, by E.J. Castle Part I. p. 16, quoting Rymer, Vol. III. p. 37.

a Papal Bull had been issued declaring that «the unspeakable wickednesses and abominable crimes of notorious heresy " had now " come to the knowledge of almost everyone," Edward II was persuaded to arrest the Templars and order their examination. According to Mr. Castle, whose interesting treatise we quote here, the King would not allow torture to be employed, with the result that the Knights denied all charges ; but later, it is said, he allowed himself to be overpersuaded, and torture appears to have been applied on one or two occasions [1]with the result that three Knights confessed to all and were given absolution [2].At Southwark, however, " a considerable number of brethren " admitted that " they had been strongly accused of the crimes of negation and spitting, they did not say they were guilty but that they could not purge themselves . . . and therefore they abjured these and all other heresies. [3] Evidence was also given against the Order by outside witnesses, and the same stories of intimidation at the ceremony of reception were told. [4] At any rate, the result of the investigation was not altogether satisfactory, and the Templars were finally suppressed in England as elsewhere by the Council of Vienne in 1312. In France more rigorous measures were adopted and fifty-four Knights who had retracted their confessions were burnt at the stake as "relapsed heretics" on May 12, 1310. Four years later, on March 14, 1314, the Grand Master, Jacques du Molay, suffered the same fate.Now, however much we must execrate the barbarity of this sentence--as also the cruelties that had preceded it--this is no reason why we should admit the claim of the Order to noble martyrdom put forward by the historians who have espoused their cause. The character of the Templars is not rehabilitated by condemning the conduct of the King and Pope. Yet this the line of argument usually adopted by the defenders of the Order. Thus the two main contentions on which they base their defence are, firstly, that the confessions of the Knights were made under torture, therefore they must be regarded as null and void; and, secondly, that the whole affair was a plot concerted between the King and Pope in order to obtain possession of the Templars' riches. Let us examine these contentions in turn. In the first place, as we have seen, all confessions were not made under torture. No one, as far as I am aware, disputes Michelet's assertion that the enquiry before the Papal Commission in Paris, at which a number of Knights adhered to the statements they had made to the Pope, was conducted without pressure of any kind. But further, the fact that confessions are made under torture does not necessarily invalidate them as evidence. Guy Fawkes also confessed under torture, yet it is never suggested that the whole story of the Gunpowder Plot was a myth. Torture, however much we may condemn it, has frequently proved the only method for overcoming the intimidation exercised over the mind of a conspirator; a man bound by the terrible obligations of a confederacy and fearing the vengeance of his fellow-conspirators will not readily yield to persuasion, but only to force. If, then, some of the Templars were terrorized by torture, or even by the fear of torture, it must not be forgotten that terrorism was exercised by both sides. Few will deny that the Knights were

---

([1]) Ibid., Part II. p.1.

([2])Ibid., Part II. pp. 25-7.

([3])Ibid., Part II. P.30.

([4])Another witness of the Minor Friars told the Commissioners he had heard from Brother Robert of Tukenham that a Templar had a son who saw through a partition that they asked one professing if he believed in the Crucified, showing him the figure, whom they killed upon his refusing to deny Him, but the boy, sometime after, being asked if he wished to be a Templar said no, because he had seen this thing done. Saying this, he was killed by his father. . . . The twenty-third witness, a Knight, said that his uncle entered the Order healthy and joyfully, with his birds and dogs, and the third day following he was dead, and he suspected it was on account of the crimes he had heard of them; and that the cause of his death was he would not consent to the evil deeds perpetrated by other brethren."--Ibid, Part II. p. 13.

bound by oaths of secrecy, so that on one hand they were threatened with the vengeance of the Order if they betrayed its secrets, and on the other faced with torture if they refused to confess. Thus they found themselves between the devil and the deep sea. It was therefore not a case of a mild and unoffending Order meeting with brutal treatment at the hands of authority, but of the victims of a terrible autocracy being delivered into the hands of another autocracy.Moreover, do the confessions of the Knights appear to be the outcome of pure imagination such as men under the influence of torture might devise? It is certainly difficult to believe that the accounts of the ceremony of initiation given in detail by men in different countries, all closely resembling each other, yet related in different phraseology, could be pure inventions. Had the victims been driven to invent they would surely have contradicted each other, have cried out in their agony that all kinds of wild and fantastic rites had taken place in order to satisfy the demands of their interlocutors. But no, each appears to be describing the same ceremony more or less completely, with characteristic touches that indicate the personality of the speaker, and in the main all the stories tally.The further contention that the case against the Templars was manufactured by the King and Pope with a view to obtaining their wealth is entirely disproved by facts. The latest French historian of mediæval France, whilst expressing disbelief in the guilt of the Templars, characterizes this counter-accusation as "puerile." "Philippe the Bel," writes M. Funck-Brentano, " has never been understood ; from the beginning people have not been just to him. This young prince was one of the greatest kings and the noblest characters that have appeared in history [1].

Without carrying appreciation so far, one must nevertheless accord to M. Funck-Brentano's statement of facts the attention it merits. Philippe has been blamed for debasing the coin of the realm; in reality he merely ordered it to be mixed with alloy; as a necessary measure after the war with England,[2] precisely as our own coinage was debased in consequence of the recent war. This was done quite openly and the coinage was restored at the earliest opportunity. Intensely national, his policy of attacking the Lombards, exiling the Jews, and suppressing the Templars, however regrettable the methods by which it was carried out, resulted in immense benefits to France ; M. Funck-Brentano has graphically described the prosperity of the whole country during the early fourteenth century--the increase of population, flourishing agriculture and industry. «In Provence and Languedoc one meets swineherds who have vineyards, simple cowherds who have town houses. [3]

The attitude of Philippe le Bel towards the Templars must be viewed in this light--ruthless suppression of any body of people who interfered with the prosperity of France. His action was not that of arbitrary authority; he "proceeded," says M. Funck-Brentano," by means of an appeal to the people. In his name Nogaret (the Chancellor) spoke to the Parisians in the garden of the Palace (October 13, 1307). Popular assemblies were convoked all over France "; [4]" the Parliament of Tours, with hardly a dissentient vote, declared the Templars worthy of death. The University of Paris gave the weight of their judgement as to the fullness and authenticity of the confessions." [5]

([1])F. Funck-Brentano, Le Moyen Age, p. 396 (1922).
([2])Ibid. p. 384.
([3])F. Funck-Brentano, op. cit., p. 396.
([4]) Ibid., p. 387.
([5]). Dean Milman, History of Latin Christianity, VII. 213.

Even assuming that these bodies were actuated by the same servility as that which has been attributed to the Pope, how are we to explain the fact that the trial of the Order aroused no opposition among the far from docile people of Paris? If the Templars had indeed, as they professed, been leading noble and upright lives, devoting themselves to the care of the poor, one might surely expect their arrest to be followed by popular risings. But there appears to have been no sign of this as to the Pope, we have already seen that from the outset he had shown himself extremely reluctant to condemn the Order, and no satisfactory explanation is given of his change of attitude except that he wished to please the King. As far a his own interests are concerned, it is obvious that he could have nothing to gain by publishing to the world a scandal that must inevitably bring opprobrium on the Church. His lamentations to this effect in the famous Bull (1) clearly show that he recognized this danger and therefore desired at all cost to clear the accused Knights, if evidence could be obtained in their favour. It was only when the Templars made damning admissions in his presence that he was obliged to abandon their defence. (2) Yet we are told that he did this out of base compliance with the wishes of Philippe le Bel Philippe le Bel is thus represented as the arch-villain of the whole piece, through seven long years hounding down a blameless Order--from whom up to the very moment of their arrest he had repeatedly received loans of money--solely with the object of appropriating their wealth. Yet after all we find that the property of the Templars was not appropriated by the King, but was given by him to the Knights of St. John of Jerusalem What was the fate of the Templars' goods? Philippe le Bel decided that they should be handed over to the Hospitallers. Clement V states that the Orders given by the King on this subject were executed. Even the domain of the Temple in Paris . . . up to the eve of the Revolution was the property of the Knights of St. John of Jerusalem. The royal treasury kept for itself certain sums for the costs of the trial. These had been immense. (3)These facts in no way daunt the antagonists of Philippe, who, we are now assured--again without any proof whatever--was overruled by the Pope in this matter. But setting all morality aside, as a mere question of policy, is it likely that the King would have deprived himself of his most valuable financial supporters and gone to the immense trouble of bringing them to trial without first assuring himself that he would benefit by the affair? Would he, in other words, have killed the goose that laid the golden eggs without any guarantee that the body of the goose would remain in his possession? Again, if, as we are told, the Pope suppressed the Order so as to please the King, why should he have thwarted him over the whole purpose the King had in view? Might we not expect indignant remonstrances from Philippe at thus being baulked of the booty he had toiled so long to gain? But on the contrary, we find him completely in agreement with the Pope on this subject. In November 1309 Clement V distinctly stated that " Philippe the Illustrious, King of France," to whom the facts concerning the Templars had been told, was " not prompted by avarice since he desired to keep or appropriate for himself no part of the property of the Templars, but liberally and devotedly left them to us and the Church to be administered," etc. (4)

(1) E.J. Castle, op. cit., Part I. p. 22.

(2)Thus even M. Mollat admits : " En tout cas leurs dépositions, défavorables à l'Ordre, l'impressionnèrent si vivement que, par une série de graves mesures, il abandonna une à une toutes ses oppositions."Les Papes d'Avignon, p. 242.

(3)F. Funck-Brentano, op. cit., p. 392.

(4)E.J. Castle, Proceedings against the Templars, A.Q.C., Vol. XX. Part III. p. 3.

Thus the whole theory concerning the object for which the Templars were suppressed falls to the ground--a theory which on examination is seen to be built up entirely on the plan of imputing motives without any justification in facts. The King acted from cupidity, the Pope from servility, and the Templars confessed from fear of torture--on these pure hypotheses defenders of the Order base their arguments.The truth is, far more probably, that if the King had any additional reason for suppressing the Templars it was not envy of their wealth but fear of the immense power their wealth conferred; the Order dared even to defy the King and to refuse to pay taxes. The Temple in fact constituted an imperium in imperio that threatened not only the royal authority but the whole social system. (1)An important light is thrown on the situation by M. Funck-Brentano in this passage: As the Templars had houses in all countries, they practised the financial operations of the international banks of our times ; they were acquainted with letters of change, orders payable at sight, they instituted dividends and annuities on deposited capital, advanced funds, lent on credit, controlled private accounts, undertook to raise taxes for the lay and ecclesiastical seigneurs. (2) Through their proficiency in these matters--acquired very possibly from the Jews of Alexandria whom they must have met in the East--the Templars had become the " international financiers " and " international capitalists " of their day ; had they not been suppressed, all the evils now denounced by Socialists as peculiar to the system they describe as " Capitalism "--trusts, monopolies, and " corners "--would in all probability have been inaugurated during the course of the fourteenth century in a far worse form than at the present day, since no legislation existed to protect the community at large. The feudal system, as Marx and Engels perceived, was the principal obstacle to exploitation by a financial autocracy. (3) (37

Moreover, it is by no means improbable that this order of things would have been brought about by the violent overthrow of the French monarchy--indeed, of all monarchies ; the Templars, " those terrible conspirators," says Eliphas Lévi, threatened the whole world with an immense revolution (4).Here perhaps we may find the reason why this band of dissolute and rapacious nobles has enlisted the passionate sympathy of democratic writers. For it will be noticed that these same writers who attribute the King's condemnation of the Order to envy of their wealth never apply this argument to the demagogues of the eighteenth century and suggest that their accusations against the nobles of France were inspired by cupidity, nor would they ever admit that any such motive may enter into the diatribes against private owners of wealth to-day. The Templars thus remain the only body of capitalists, with the exception of the Jews, to be not only pardoned for their riches but exalted as noble victims of prejudice and envy. Is it merely because the Templars were the enemies of monarchy? Or is it that the world revolution, whilst attacking private owners of property, has never been opposed to International finance, particularly when combined with anti-Christian tendencies , It is the continued defence of the Templars which, to the present writer, appears the most convincing evidence against them. For

(1)Even Raynouard, the apologist of the Templars (op. cit., p. 19), admits that, if less unjust and violent measures had been adopted, the interest of the State and the safety of the throne might have justified the abolition of the Order.

(2)Funck-Brentano, op. cit., p. 386.

(3)The bourgeoisie, whenever it has conquered power, has destroyed all feudal, patriarchal, and idyllic relations. It has pitilessly torn asunder all the many-coloured feudal bonds which united men to their ' natural superiors,' and has left no tie twixt man and man but naked self-interest and callous cash payment."--The Communis Manifesto.

(4)Eliphas Lévi, Histoire de la Magie, p. 273.

even if one believes them innocent of the crimes laid to their charge, how is it possible to admire them in their later stages? The fact that cannot be denied is that they were false to their obligations, that they took the vow of poverty and then grew not only rich but arrogant ; that they took the vow of chastity and became notoriously immoral [1].Are all these things then condoned because the Templars formed a link in the chain of world revolution ؟ At this distance of time the guilt or innocence of the Templars will probably never be conclusively established either way ; on the mass of conflicting evidence bequeathed to us by history no one can pronounce a final judgement.Without attempting to dogmatize on the question, I would suggest that the real truth may be that the Knights were both innocent and guilty, that is to say, that a certain number were initiated into the secret doctrine of the Order whilst the majority remained throughout in ignorance. Thus according to the evidence of Stephen de Stapelbrugge, an English Knight, " there were two modes of reception, one lawful and good and the other contrary to the Faith. [2]

This would account for the fact that some of the accused declined to confess even under the greatest pressure. These may really have known nothing of the real doctrines of the Order, which were confided orally only to those whom the superiors regarded as unlikely to be revolted by them. Such have always been the methods of secret societies, from the Ismailis onward. This theory of a double doctrine is put forward by Loiseleur, who observes: If we consult the statutes of the Order of the Temple as they have come down to us, we shall certainly discover there is nothing that justifies the strange and abominable practices revealed at the Inquiry. But . . . besides the public rule, had not the Order another one, whether traditional or written, authorizing or even prescribing these practices--a secret rule, revealed only to the initiates? [3] Eliphas Lévi also exonerates the majority of the Templars from complicity in either anti-monarchical or anti-religious designs :These tendencies were enveloped in profound mystery and the Order made an outward profession of the most perfect orthodoxy. The Chiefs alone knew whither they were going; the rest followed unsuspectingly [4].What, then, was the Templar heresy? On this point we find a variety of opinions. According to Wilcke, Ranke, and Weber it was " the unitarian deism of Islam " [5]; Lecouteulx de Canteleu thinks, however, it was derived from heretical Islamic sources, and relates that whilst in Palestine, one of the Knights, Guillaume de Montbard, was initiated by the Old Man of the Mountain in a cave of Mount Lebanon. [6]That a certain resemblance existed between the Templars and the Assassins has been indicated by von Hammer[7],and further emphasized by the Freemason Clavel Oriental historians show us, at different periods, the Order of the emplars maintaining intimate relations with that of the Assassins, and they insist on the affinity that existed between the two associations. They remark that they had adopted the same colours, white and red ; that they had the same organization, the same hierarchy of degrees, those of fedavi, refik, and dai in one corresponding to those of novice, professed, and knight in the other ; that both conspired for

(1) E.J. Castle, op. cit., A.Q.C., Vol. XX. Part I. p. 11
(2)Ibid., Part II. p. 24.
(3) Loiseleur, op. cit., p. 20, 21.
(4)Histoire de la Magie, p. 277.
(5)Dr. F.W. Bussell, Religious Thought and Heresy in the Middle Ages, p. 803.
(6)Les Sectes et Sociétés Secrètes, p. 85.
(7)CF, History of the Assassins, p. 80.

the ruin of the religions they professed in public, and that finally both possessed numerous castles, the former in Asia, the latter in Europe(1).

But in spite of these outward resemblances it does not appear from the confessions of the Knights that the secret doctrine of the Templars was that of the Assassins or of any Ismaili sect by which, in accordance with orthodox Islamism, Jesus was openly held up as a prophet, although, secretly, indifference to all religion was inculcated. The Templars, as far as can be discovered, were anti-Christian deists; Loiseleur considers that their ideas were derived from Gnostic or Manichean dualists--Cathari, Paulicians, or more particularly Bogomils, of which a brief account must be given here The Paulicians who flourished about the seventh century A.D., bore a resemblance to the Cainites and Ophites in their detestation of the Demiurgus and in the corruption of their morals. Later, in the ninth century, the Bogomils, whose name signifies in Slavonic "friends of God," and who had migrated from Northern Syria and Mesopotamia to the Balkan Peninsula, particularly Thrace, appeared as a further development of Manichean dualism. Their doctrine may be summarized thus God, the Supreme Father, has two sons, the elder Satanael, the younger Jesus. To Satanael, who sat on the right hand of God, belonged the right of governing the celestial world, but, filled with pride, he rebelled against his Father and fell from Heaven. Then, aided by the companions of his fall, he created the visible world, image of the celestial, having like the other its sun, moon, and stars, and last he created man and the serpent which became his minister. Later Christ came to earth in order to show men the way to Heaven, but His death was ineffectual, for even by descending into Hell He could not wrest the power from Satanael, i.e. Satan.This belief in the impotence of Christ and the necessity therefore for placating Satan, not only " the Prince of this world," but its creator, led to the further doctrine that Satan, being all-powerful, should be adored. Nicetas Choniates, a Byzantine historian of the twelfth century, described the followers of this cult as " Satanists," because "considering Satan all-powerful they worshipped him lest he might do them harm"; subsequently they were known as Luciferians, their doctrine (as stated by Neuss and Vitoduranus) being that Lucifer was unjustly driven out of Heaven, that one day he will ascend there again and be restored to his former glory and power in the celestial world. Baphomet making the sign of St. John The Bogomils and Luciferians were thus closely akin, but whilst the former divided their worship between God and His two sons, the latter worshipped Lucifer only, regarding the material world as his work and holding that by indulging the flesh they were propitiating their Demon-Creator. It was said that a black cat, the symbol of Satan, figured in their ceremonies as an object of worship, also that at their horrible nocturnal orgies sacrifices of children were made and their blood used for making the Eucharistic bread of the sect (2).

Loiseleur arrives at the conclusion that the secret doctrine of the Templars was derived from the Bogomils: Thus the Templars recognize at the same time a good god, incommunicable to man and consequently without symbolic representation, and a bad god, to whom they give the features of an idol of fearful aspect (3).Their most fervent worship was addressed to this god of evil, who alone could enrich them. "They said with the Luciferians: ' The elder son of God, Satanael or Lucifer alone has a right to the homage of mortals; Jesus his younger brother does

(1) F.T.B. Clavel, Histoire Pittoresque de la Franc-Maçonnerie, p. 356 (1843).
(2)Loiseleur, op. cit., p. 66.
(3) Ibid., p. 143.

not deserve this honour. (1) " Although we shall not find these ideas so clearly defined in the confessions of the Knights, some colour is lent to this theory by those who related that the reason given to them for not believing in Christ was " that He was nothing, He was a false prophet and of no value, and that they should believe in the Higher God of Heaven who could save them. (2) According to Loiseleur, the idol they were taught to worship, the bearded head known to history as Baphomet, represented " the inferior god, organizer and dominator of the material world, author of good and evil here below, him by whom evil was introduced into creation. (3).

The etymology of the word Baphomet is difficult to discover; Raynouard says it originated with two witnesses heard at Carcassonne who spoke of "Figura Baffometi," and suggests hat it was a corruption of "Mohammed," whom the Inquisitors wished to make the Knights confess they were taught to adore. (4)But this surmise with regard to the intentions of he Inquisitors seems highly improbable, since they must have been well aware that, as Wilcke points out, the Moslems forbid all idols. (5)For this reason Wilcke concludes that the Mohammedanism of the Templars was combined with Cabalism and that their idol was in reality the macroprosopos, or head of the Ancient of Ancients, represented as an old man with a long beard, or sometimes as three heads in one, which has already been referred to under the name of the Long Face in the first chapter of this book--a theory which would agree with Eliphas Lévi's assertion that the Templars were initiated into the mysterious doctrines of the Cabala." (6)

But Lévi goes on to define this teaching under the name of Johannism. It is here that we reach a further theory with regard to the secret doctrine of the Templars--the most important of all, since it emanates from masonic and neo-Templar sources, thus effectually disposing of the contention that the charge brought against the Order of apostasy from the Catholic faith is solely the invention of Catholic writers.In 1842 the Freemason Ragon related that the Templars learnt from the " initiates of the East " a certain Judaic doctrine which was attributed to St. John the Apostle ; therefore " they renounced the religion of St. Peter and became Johannites. (7)Eliphas Lévi expresses the same opinion.Now, these statements are apparently founded on a legend which was first published early in the nineteenth century, when an association calling itself the Ordre du Temple and claiming direct descent from the original Templar Order published two works, the Manuel des Chevaliers de l'Ordre du Temple in 1811, and the Lévitikon, in 1831, together with a version of the Gospel of St. John differing from the Vulgate. These books, which appear to have been printed only for private circulation amongst the members and are now extremely rare, relate that the Order of the Temple had never ceased to exist since the days of Jacques du Molay, who appointed Jacques de Larménie his successor in office, and from that

(1) Ibid., p. 141.
(2)Dixit sibi quod non crederet in eum, quia nichil erat, et quod erat quidam falsus propheta, et nichil valebat ; immo crederet in Deum Celi superiorem qui poterat salvare."--Michelet, Procès des Templiers, II. 404. Cf. ibid., p. 384 " Quidem falsus propheta est ; credas solummodo in Deum Celi, et non in istum.
(3)Loiseleur, op. cit. p. 37.
(4)Raynouard, op. cit., p. 301.
(5) Wilhelm Ferdinand Wilcke, Geschichte des Tempelherrenordens, II. 302-12. (1827).
(6)Eliphas Lévi, Histoire de la Magie, p. 273.
(7)J. M. Ragon, Cours Philosophique et Interprétatif des Initiations anciennes et modernes, édition sacrée à l'usage des Loges et des Maçons SEULEMENT (5,842), p. 37. In a footnote on the same page Ragon, however, refers to John the Baptist in this connexion.

time onwards a line of Grand Masters had succeeded each other without a break up to the end of the eighteenth century, when it ceased for a brief period but was reinstituted under a new Grand Master, Fabré Palaprat, in 1804. Besides publishing the list of all Grand Masters, known as the "Charter of Larmenius," said to have been preserved in the secret archives of the Temple, these works also reproduce another document drawn from the same repository describing the origins of the Order. This manuscript, written in Greek on parchment, dated 1154, purports to be partly taken from a fifth-century MS. and relates that Hugues de Payens, first Grand Master of the Templars, was initiated in 1118--that is to say, in the year the Order was founded--into the religious doctrine of " the Primitive Christian Church" by its Sovereign Pontiff and Patriarch, Theoclet, sixtieth in direct succession from St. John the Apostle. The history of the Primitive Church is then given as follows: Moses was initiated in Egypt. Profoundly versed in the physical, theological, and metaphysical mysteries of the priests, he knew how to profit by these so as to surmount the power of the Mages and deliver his companions. Aaron, his brother, and the chiefs of the Hebrews became the depositaries of his doctrine. . . .The Son of God afterwards appeared on the scene of the world. . . . He was brought up at the school of Alexandria. . . . Imbued with a spirit wholly divine, endowed with the most astounding qualities (dispositions), he was able to reach all the degrees of Egyptian initiation. On his return to Jerusalem, he presented himself before the chiefs of the Synagogue. . . . Jesus Christ, directing the fruit of his lofty meditations towards universal civilization and the happiness of the world, rent the veil which concealed the truth from the peoples. He preached the love of God, the love of one's neighbour, and equality before the common Father of all men. . . .Jesus conferred evangelical initiation on his apostles and disciples. He transmitted his spirit to them, divided them into several order after the practice of John, the beloved disciple the apostle of fraternal love, whom he had instituted Sovereign Pontiff and Patriarch. . . .Here we have the whole Cabalistic legend of a secret doctrine descending from Moses, of Christ as an Egyptian initiate and founder of a secret order--a theory, of course, absolutely destructive of belief in His divinity. The legend of the Ordre du Temple goes on to say:Up to about the year 1118 (i.e. the year the Order of the Temple was founded) the mysteries and the hierarchic Order of the initiation of Egypt, transmitted to the Jews by Moses, then to the Christians by J.C., were religiously preserved by the successors of St. John the Apostle. These mysteries and initiations, regenerated by the evangelical initiation (or baptism), were a sacred trust which the simplicity of the primitive and unchanging morality of the Brothers of the East had preserved from all adulteration .The Christians, persecuted by the infidels, appreciating the courage and piety of these brave crusaders, who, with the sword in one hand and the cross in the other, flew to the defence of the holy places, and, above all, doing striking justice to the virtues and the ardent charity of Hugues de Payens, held it their duty to confide to hands so pure the treasures of knowledge acquired throughout so many centuries, sanctified by the cross, the dogma and the morality of the Man-God. Hugues was invested with the Apostolic Patriarchal power and placed in the legitimate order of the successors of St. John the apostle or the evangelist Such is the origin of the foundation of the Order of the Temple and of the fusion in this Order of the different kinds of initiation of the Christians of the East designated under the title of Primitive Christians or Johannites It will be seen at once that all this story is subtly subversive of true Christianity, and that the appellation of Christians applied to the Johannites is an imposture. Indeed Fabré Palaprat, Grand Master of the Ordre du Temple in 1804, who in his book on the Templars repeats the story contained in the Lévitikon and the Manuel des Chevaliers du Temple, whilst making the same profession of " primitive Christian " doctrines descending from

St. John through Theoclet and Hugues de Payens to the Order over which he presides, goes on to say that the secret doctrine of the Templars " was essentially contrary to the canons of the Church of Rome and that it is principally to this fact that one must attribute the persecution of which history has preserved the memory. (1)

The belief of the Primitive Christians, and consequently that of the Templars, with regard to the miracles of Christ is that He " did or may have done extraordinary or miraculous things," and that since " God can do things incomprehensible to human intelligence," the Primitive Church venerates " all the acts of Christ as they are described in the Gospel, whether it considers them as acts human science or whether as acts of divine power."Belief in the divinity of Christ is thus left an open question, and the same attitude is maintained towards the Resurrection, of which the story is omitted in the Gospel of St. John possessed by the Order. Fabré Palaprat further admits that the gravest accusations brought against the Templars were founded on facts which he attempts to explain away in the following manner : The Templars having in 1307 carefully abstracted all the manuscripts composing the secret archives of the Order from the search made by authority, and these authentic manuscripts having been preciously preserved since that period, we have to-day the certainty that the Knights endured a great number of religious and moral trials before reaching the different degrees of initiation : thus, for example, the recipient might receive the injunction under pain of death to trample on the crucifix or to worship an idol, but if he yielded to the terror which they sought to inspire in him he was declared unworthy of being admitted to the higher grades of the Order. One can imagine in this way how beings, too feeble or too immoral to endure the trials of initiation, may have accused the Templars of giving themselves up to infamous practices and of having superstitious beliefs.It is certainly not surprising that an Order which gave such injunctions as these, for whatever purpose, should have become the object of suspicion.Eliphas Lévi, who, like Ragon, accepts the statements of the Ordre du Temple concerning the " Johannite " origin of the Templars' secret doctrine, is, however, not deceived by these professions of Christianity, and boldly asserts that the Sovereign Pontiff Theoclet initiated Hugues de Payens " into the mysteries and hopes of his pretended Church, he lured him by the ideas of sacerdotal sovereignty and supreme royalty, he indicated him finally as his successor. So the Order of the Knights of the Temple was stained from its origin with schism and conspiracy against Kings.(2) Further, Lévi relates that the real story told to initiates concerning Christ was no other than the infamous Toledot Yeshu described in the first chapter of this book, and which the Johannites dared to attribute to St. John. (3)This would accord with the confession of the Catalonian Knight Templar, Galcerandus de Teus, who stated that the form of absolution in the Order was : " I pray God that He may pardon your sins as He pardoned St. Mary Magdalene and the thief on the cross " ; but the witness went on to explain: By the thief of which the head of the Chapter speaks, is meant, according to our statutes, that Jesus or Christ who was crucified by the Jews because he was not God, and yet he said he was God and the King of the Jews, which was an outrage to the true God who is in Heaven. When Jesus, a few moments before his death, had his side pieced by the lance of Longinus, he repented of having called himself God and King of

(1) J.B. Fabré Palaprat, Recherches historiques sur les Templiers, p. 31 (1835).
(2)Eliphas Lévi, Histoire de la Magie, p. 277.
(3)Eliphas Lévi, La Science des Esprits, pp. 26-9, 40, 41.

the Jews and he asked pardon of the true God; then the true God pardoned him. It is thus that we apply to the crucified Christ these words: " as God pardoned the thief on the cross [1]

Raynouard, who quotes this deposition, stigmatizes it as "singular and extravagant" ; M. Matter agrees that it is doubtless extravagant, but that " it merits attention. There was a whole system there, which was not the invention of Galcerant.[2] Eliphas Lévi provides the clue to that system and to the reason why Christ was described as a thief, by indicating the Cabalistic legend wherein He was described as having stolen the sacred Name from the Holy of Holies. Elsewhere he explains that the Johannites " made themselves out to be the only people initiated into the true mysteries of the religion of the Saviour. They professed to know the real history of Jesus Christ, and by adopting part of Jewish traditions and the stories of the Talmud, they made out that the facts related in the Gospels "--that is to say, the Gospels accepted by the orthodox Church-- " were only allegories of which St. John gives the key [3].But it is time to pass from legend to facts. For the whole story of the initiation of the Templars by the "Johannites" rests principally on the documents produced by the Ordre du Temple in 1811. According to the Abbés Grégoire and Münter the authenticity and antiquity of these documents are beyond dispute. Grégoire, referring to the parchment manuscript of the Lévitikon and Gospel of St. John, says that " Hellenists versed in palaeography believe this manuscript to be of the thirteenth century, others declare it to be earlier and to go back to the eleventh century.[4] Matter, on the other hand, quoting Münter's opinion that the manuscripts in the archives of the modern Templars date from the thirteenth century, observes that this is all a tissue of errors and that the critics, including the learned Professor Thilo of Halle, have recognized that the manuscript in question, far from belonging to the thirteenth century, dates from the beginning of the eighteenth. From the arrangement of the chapters of the Gospel, M. Matter arrives at the conclusion that it was intended to accompany the ceremonies of some masonic or secret society. [5]

We shall return to this possibility in a later chapter.The antiquity of the manuscript containing the history of the Templars thus remains an open question on which no one can pronounce an opinion without having seen the original. In order, then, to judge of the probability of the story that this manuscript contained it is necessary to consult the facts of history and to discover what proof can be found that any such sect as the Johannites existed at the time of the Crusades or earlier. Certainly none is known to have been called by this name or by one resembling it before 1622, when some Portuguese monks reported the existence of a sect whom they described as "Christians of St. John" inhabiting the banks of the Euphrates. The appellation appears, however, to have been wrongly applied by the monks, for the sectarians in question, variously known as the Mandæans, Mandaites, Sabians, Nazoreans, etc. called themselves Mandaï Iyahi, that is to say, the disciples, or rather the wise men, of John, the word mandaï being derived from the Chaldean word manda, corresponding to the Greek word , or wisdom [6].The multiplicity of names given to the Mandæans arises apparently from the fact that in their dealings with other communities they took the name of Sabians, whilst they called the wise and

([1])Raynouard, op. cit., p. 281.
([2]) Matter, Histoire du Gnosticisme, III. 330.
([3]) Eliphas Lévi, Histoire de la Magie, p. 275.
([4]) M. Grégoire, Histoire des Sectes religieuses, II. 407 (1828).
([5]) Matter, Histoire du Gnosticisme, III. 323.
([6])Ibid., III. p. 120.

learned amongst themselves Nazoreans. (1)The sect formerly inhabited the banks of the Jordan, but was driven out by the Moslems, who forced them to retire to Mesopotamia and Babylonia, where they particularly affected the neighbourhood of rivers in order to be able to carry out their peculiar baptismal rites. (2)There can be no doubt that the doctrines of the Mandæans do resemble the description of the Johannite heresy as given by Eliphas Lévi, though not by the Ordre du Temple, in that, the Mandæans professed to be the disciples of St. John--the Baptist, however, not the Apostle--but were at the same time, the enemies of Jesus Christ. According to the Mandæans' Book of John (Sidra d'Yahya), Yahya, that is to say, St. John, baptized myriads of men during forty years in the Jordan. By a mistake--or in response to a written mandate from heaven saying, " Yahya, baptize the liar in the Jordan "--he baptized the false prophet Yishu Meshiha (the Messiah Jesus), son of the devil Ruha Kadishta. (3) The same idea is found in another book of the sect called the " Book of Adam," which represents Jesus as the perverter of St. John's doctrine and the disseminator of iniquity and perfidy throughout the world. (4)

The resemblance between all this and the legends of the Talmud, the Cabala, and the Toledot Yeshu is at once apparent ; moreover, the Mandæans claim for the " Book of Adam " the same origin as the Jews claimed for the Cabala, namely, that it was delivered to Adam by God through the hands of the angel Razael.(5) This book, known to scholars as the Codex Nasarous, is described by Münter as " a sort of mosaic without order, without method, where one finds mentioned Noah, Abraham, Moses, Solomon, the Temple of Jerusalem, St. John the Baptist, Jesus Christ, the Christians, and Mohammed." M. Matter, whilst denying any proof of the Templar succession from the Mandæans, nevertheless gives good reason for believing that the sect itself existed from the first centuries of the Christian era and that its books dated from the eighth century (6); further that these Mandæans or Nazoreans--not to be confounded with the pre-Christian Nazarenes or Christian Nazarenes--were Jews who revered St. John the Baptist as the prophet of ancient Mosaism, but regarded Jesus Christ as a false Messiah sent by the powers of darkness. (7) Modern Jewish opinion confirms this affirmation of Judaic inspiration and agrees with Matter in describing the Mandæans as Gnostics: " Their sacred books are in an Aramaic dialect, which has close affinities with that of the Talmud of Babylon. " The Jewish influence is distinctly visible in the Mandæan religion. It is essentially of the type of ancient Gnosticism, traces of which are found in the Talmud, the Midrash, and in a modified form the later Cabala (8). It may then be regarded as certain that a sect existed long before the time of the Crusades corresponding to the description of the Johannites given by Eliphas Lévi in that it was Cabalistic, anti-Christian, yet professedly founded on the doctrines of one of the

(1) CF, Jewish Encyclopodia, article on Mandæans.
(2) Grégoire, op. cit., IV. 241.
(3) Jewish Encyclopodia, and Hastings' Encyclopodia of Religion and Ethics, articles on Mandæans.
(4) Codex Nasarous, Liber Adam appellatus, trans. from the Syriac into Latin by Matth. Norberg (1815), Vol. I. 109 : " Sed, Johanne hac ætate Hierosolymæ nato, Jordanumque deinceps legente, et baptismum peragente, veniet Jeschu Messias, summisse se gerens, ut baptismo Johannis baptizetur, et Johannis per sapientiam sapiat. Pervertet vero doctrinam Johannis et mutato Jordani baptismo, perversisque justitiæ dictis, iniquitatem et perfidiam per mundum disseminabit.
(5)Article on the Codex Nasarous by Silvestre de Sacy in the Journal des Savants for November 1819, p. 651 ; cf. passage in the Zohar, section Bereschith, folio 55.
(6) Matter, op. cit., III. 119, 120.CF, De Sacy (op. cit., p. 654) also attributes the Codex Nasarous to the eighth century.
(7)Matter, op. cit., III. 118.
(8) Jewish Encyclopodia, article on Mandæans.

St. Johns. Whether it was by this sect that the Templars were indoctrinated must remain an open question. M. Matter objects that the evidence lacking to such a conclusion lies in the fact that the Templars expressed no particular reverence for St. John ; but Loiseleur asserts that the Templars did prefer the Gospel of St. John to that of the other evangelists, and that modern masonic lodges claiming descent from the Templars possess a special version of this Gospel said to have been copied from the original on Mount Athos. (1)It is also said that " Baphomets " were preserved in the masonic lodges of Hungary, where a debased form of Masonry, known as Johannite Masonry, survives to this day. If the Templar heresy was that of the Johannites, the head in question might possibly represent that of John the Baptist, which would accord with the theory that the word Baphomet was derived from Greek words signifying baptism of wisdom. This would, moreover, not be incompatible with Loiseleur's theory of an affinity between the Templars and the Bogomils, for the Bogomils also possessed their own version of the Gospel of St. John, which they placed on the heads of their neophytes during the ceremony of initiation, giving as the reason for the peculiar veneration they professed for its author that they regarded St. John as the servant of the Jewish God Satanael. (2)

Eliphas Lévi even goes so far as to accuse the Templars of following the occult practices of the Luciferians, who carried the doctrines of the Bogomils to the point of paying homage to the powers of darkness: Let us declare for the edification of the vulgar . . . and for the greater glory of the Church which has persecuted the Templars, burned the magicians and excommunicated the Free-Masons, etc., let us say boldly and loudly, that all the initiates of the occult sciences . . . have adored, do and will always adore that which is signified by this frightful symbol [the Sabbatic goat.Yes, in our profound conviction, the Grand Masters of the Order of the Templars adored Baphomet and caused him to be adored by their initiates (3).It will be seen, then, that the accusation of heresy brought against the Templars does not emanate solely from the Catholic Church, but also from the secret societies. Even our Freemasons, who, for reasons I shall show later, have generally defended the Order, are now willing to admit that there was a very real case against them. Thus Dr. Ranking, who has devoted many years of study to the question, has arrived at the conclusion that Johannism is the real clue to the Templar heresy. In a very interesting paper published in the masonic Journal Ars Qautuor Coronatorum, he observes that " the record of the Templars in Palestine is one long tale of intrigue and treachery on the part of the Order," and finally :That from the very commencement of Christianity there has been transmitted through the centuries a body of doctrine incompatible with Christianity in the various official Churches. . . That the bodies teaching these doctrines professed to do so on the authority of St. John, to whom, as they claimed, the true secrets had been committed by the Founder of Christianity. That during the Middle Ages the main support of the Gnostic bodies and the main repository of this knowledge was the Society of the Templars. (4) What is the explanation of this choice of St. John for the propagation of anti-Christian doctrines which we shall find continuing up to the present day? What else than the method of perversion which in its extreme form becomes Satanism, and consists in always selecting the most sacred things for

(1)Loiseleur, op. cit., p. 52.
(2)Ibid. p. 51 ; Matter, op. cit., III. 305.
(3)The Sabbatic goat is clearly of Jewish origin. Thus the Zohar relates that «Tradition teaches us that when the Israelites evoked evil spirits, these appeared to them under the form of he-goats and made known to them all that they wished to learn."--Section Ahre Moth, folio 70a (de Pauly, V. 191.
(4) Eliphas Lévi, Dogme et Rituel de la Haute Magie, II. 209.

the purpose of desecration? Precisely then because the Gospel of St. John is the one of all the four which most insists on the divinity of Christ, the occult anti-Christian sects have habitually made it the basis of their rites.

Conclusion:

Important Outcomes in this research will demonstrate it, referring that Terrorism in ME is not modern concept but that was beginning with during historical periods in old Civilization to Mesopotamia, also in Middle Ages Conflict between Abasseen & Umayyed equal this meaning in functions and social structure and security strategy in Historical Ages.

In sum, terrorism in its stereotypical form has nothing to do with a specific religion or a particular belief. It is historically proven that there is no difference between the Sicari, the Templars, or the Assassins, as these organizations relied on religious propaganda to spread to their clients, despite all of them being linked to achieving political and not religious goals.Which explains the multiplicity of international links and support for ISIS by some countries, according to the opinion of analysts such as Turkey, Iran and Israel. Therefore, addressing terrorism must take into account the historical dimensions in interpreting and treating this phenomenon that threatens human and global security.

Bibliography:

Army Research Office, Elements of Armament Engeneering, Part One, Washington, US, Army Materiel Command, 1964.

Clinical Toxicology, Euroupean Association of Poison Centtres and Clinical Toxicologist, 2004, position paper: gastric lavage,J, Toxical Clin Toxical.42"7

Christopher Andrew & Vasili Mitrokhin, The Mitrokin Archive,The KGB in Europe and The west,Gardner Books,2000.

Colonel Steven C. Williamson ,FROM FOURTH GENERATION WARFARE TO HYBRID WAR ,United States Army,USA,2009.

Cosmin-Marius GROZAV, TERRORISM AND NEOTERRORISM,THE ROMANIAN APPROACH, Land Forces Academy Review,Vol. XXIII, No 4(92)) SSciendo,2018).

David,W.,Brown,The early History of 5 Spy Agencies,New York,2012.

Eliphas Lévi, Dogme et Rituel de la Haute Magie, II. 209.

Edward L. Glaeser, Jesse M. Shapiro, CITIES AND WARFARE, THE IMPACT OF TERRORISM ON URBAN FORM, aper was written for a Journal of Urban Economics Symposium on terrorism and the future of cities. , Harvard University, November 30,2001,P.1-2,9.

Edwin Bakker,Jihadi terrorists in Europe ,NETHERLANDS INSTITUTE OF INTERNATIONAL RELATIONS,CLINGENDAEL, December 2006.

E.J. Castle, Proceedings against the Templars, A.Q.C., Vol. XX. Part III. p. 3.

F. Funck-Brentano, Le Moyen Age, p. 396 (1922).

F.T.B. Clavel, Histoire Pittoresque de la Franc-Maçonnerie, p. 356 (1843).

F.W. Bussell, D.D., Religious Thought And Heresy in the Middle Ages, pp. 796, 797.

Goodman, Martin (2008). Rome and Jerusalem: The Clash of Ancient Civilizations. New York City: Vintage Books. p. 407.

J.B. Fabré Palaprat, Recherches historiques sur les Templiers, p. 31 (1835).

John,Wiley,B sons.Inc,Handbook of Information Security,Vol. 2,2006.

Jewish Encyclopodia, and Hastings' Encyclopodia of Religion and Ethics, articles on Mandæans.

Jean, P .(2000), “Urban Life,” in The New Cambridge Medieval History, vol. 6, ed. Michael Jones (Cambridge: Cambridge University Press), 102-123.

Matter, Histoire du Gnosticisme , III. 323.

Michael,Warner,The Rise and Fall of Intelegence and International SecurityGeorgTown2014.

Intelegence & Security Committee of Parliament ,annual Report 2016-2017,p.77Robert,Bruce Lockhart,Memoirs of British Agent,Lodon,2003. Michael, Warner, the Rise and Fall of Intelegence and International Security, Georg Town,2014.

Mary Ellen Oconnell, Chatham House, Meeting Summary, International law and The Use of Drones, Summary of The International Law Discussion Group meeting held at Catham House, on Thursday,21 October, 2010.

Michelet , Procès des Templiers, I.2 (1841).

Pat,Phelam,Fourth Generation Warfare & its Chalange for The Miltary & Society,Defence Studies,Vol.11,N.1,March,2011Szoldra,Paul,These 17 Agencies Make Up Most Sphisticated Spy Network in The World.

Pichtel, John, Terrorism and WMDs: Awareness and Response, CRC Press (April 25, 2011) p.3-4.

Ryan's Unmanned spy planes,1982, Armed Forces Journal Innternational.

Sun Bin,The Art of Warfare : A Translation of the Classic chinese work of philosophy and stategy,by D.C Lau and Roger T. Ames,state University of New york Press,USA,19 mars. 2003.

Wagner, William, Lightning Bugs and other Reconnaissance Drones,The can-do Story of

Wilhelm Ferdinand Wilcke, Geschichte des Tempelherrenordens, II. 302-12. (1827).

Walter Laqueur, Terrorism: A Brief History, Countering the Terrorist Mentality, eJournal , Research Council at the Center for Strategic and International Studies, Washington, D.C.,2007.

Yakov, Katz, Israel Vs Iran,The Shadow War ,Potomac Books,Inc,2012.

Zanaty, G., Security Code, Dar Horus, Cairo,12 Vol,2016- 2018.

Zanaty, G., An Introduction to anew Historical Interdiciplinary Studies, Horus Puplicher,Alex ,2020.

Zanaty, G., Structure and Functions of Cosmopolitan as a Symbol of Creative Cities, Book of "Creative Cities and Advanced Models for Knowledge, IGI, USA, 2021, p.323-341.

Zoldra, Paul, These 17 agencies Macke Up, The Most Sphisticated Spy Network in The world.

Sommaire

Article	Page
Zerouali Sanae ; Zerouali Adnane **Activités traditionnelles en crise et espoir du développement du tourisme: cas du massif des Bni-Znassen (Maroc oriental)**	**7**
Galal Zanaty **Strategy of Relegional and Polotical Terrorism in Middle East during Historical Ages: Comparative Study between Templars and Assassins "Historical Theorization" Interdisciplinary Study**	**20**

قواعد النشر بالمجلة

- أن يكون البحث أصيلا معدّا خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
- تقبل البحوث والمقالات باللغة العربية مع ضرورة مراعاة الوضوح وسلامة النص واجتناب الأخطاء النحوية والإملائية واللغوية
- **مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية** الصادرة عن المركز الديمقراطي العربي ببرلين، مجلة متخصصة لذلك تقبل البحوث المتعلقة فقط بموضوعات الدراسات الإستراتيجية والعسكرية والأمنية.
- ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليّا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
- أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الانجليزية أو الفرنسية.
- تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يبلّغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
- يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
- الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكّم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.
- يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع للتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.
- للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي: **ISSN 2626-093X**

- لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلّة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادّة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.
- أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلّق بالسرقة العلمية فسيحمّل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.
- تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.
- تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.
- لغات المجلّة هي: العربية، الانجليزية والفرنسية.
- في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

ترسل المساهمات منسقه على شكل ملف ما يكروسفت وورد،
إلى البريد الإلكتروني: strategy@democraticac.de

كيفية اعداد البحث للنشر:

- يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي اليها.

عنوان جهة الباحث:

- الملخص التنفيدي باللغة العربية- الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة ، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل اليها البحث.
- تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

§ كما يجب أن يكون البحث مرفوقا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

§ أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده" المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

§ تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

§ ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ- إذا ا كان المرجع بحثا في دورية: إسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث وإسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، إسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب إسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هدا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس (A4) ، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

- نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هوSakkal Majalla
- حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.
- حجم 11 عادي للجداول والأشكال، وحجم 12عادي بالنسبة للملخص و 10 عادي للهوامش.

- نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية أو الفرنسية Times New Roman ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

- يراعي عند تقديم المادة البحثية، إفراغها في القالب الموحد للمجلة الذي يُطلب عبر بريدها الإلكتروني.

وتعتمد "مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية، والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية"

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين

Tel: 0049-code Germany

030-54884375

030-91499898

030-86450098

مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية
Journal of Strategic and Military Studies

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

رئيس التحرير: د. عبد القادر التايري

نائب رئيس التحرير: د. خالد شيات

مدير التحرير: دة. ليلى الرطيمات

ضبط وتدقيق: د. يوسف بليط

د. محمد الحسني

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. جمال ابراهيم

الطبعة الأولى

سبتمبر/ أيلول 2021 م

البريد الالكتروني للمجلة:

strategy@democraticac.de

International Standard Serial Number

ISSN (ONLINE) 2626-093X

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والعسكرية
JSMS